المؤتمر العلمي الثاني

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

المكلا

19 ديسمبر 2017 م

المؤتمر العلمي الثاني

(التاريخ والمؤرخون الحضارمة

في القرن العاشر الهجري/

السادس عشر الميلادي)

حضرموت - المكلا 19 ديسمبر 2017م

ح مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت (٢٢٨) ٢٠١٨م

التاريخ والمؤرخون الحضارمة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الهجري، أوراق المؤتمر الدولي الثاني الذي نظمه مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر - المكلا ١٩ ديسمبر ٢٠١٧م.

٣٠٠ص، ١٧×٢٤ سم

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر
هاتف وواتس آب: 00201008170225
بريدٌ إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com

المؤتمر العلمي الثاني

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

(في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)

حضرموت - المكلا 19 ديسمبر 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة مركز حضرموت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاضرون جميعـاً...

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته..

الزملاء الكرام.. الضيوف الأعزاء

(كلنا في "التاريخ" شرق أو كلنا في الهم تاريخ فها هو اللقاء يتجدد معكم وبكم، وها هو الوعد الذي قطعناه على أنفسنا في العام الماضي صار بمشيئة الله واقعًا ملموسـاً، في العام المنصرم كنا مع المؤتمر العلمي الأول التاريخ والمؤرخون الحضارمة من القرن السادس إلى التاسع الهجريين واليوم في رحاب القرن العاشر الهجري، وما أدراك ما القرن العاشر الهجري.

إنه قرن التاريخ الحضرمي وقرن مؤرخيها، إنه قرن السلطان بدر بو طويرق الكثيري وقرن الأمير منصور بن مطران وعطيف بن دحدح والشيخ عمر العمودي ومعروف باجمال ومحمد عمر بحرق وعبدالله بن عمر بامخرمة الملقب بالشافعي الصغير إنه قرن المؤرخين: عبدالله شنبل وعبدالله باسنجلة. والطيب بامخرمة، ومحمد علي خرد، وعبدالقادر العيدروس، ومحمد عمر بافقيه.

إنه عصر ارتباط حضرموت بالتاريخ الدولي بعد وصول البرتغاليين إلى السواحل العربية الجنوبية جراء حركة الكشوف الجغرافية، إنه عصر المقاومة الشعبية في مدينة الشحر وشهدائها السبعة إنه عصر ترنح سلطنة آل يماني التميمية بتريم وصولات قبيلة نهد. وصمود دوعن العمودية.

إنه عصر الفروسية في حضرموت والمحاولات القوية لتأسيس الدولة الكثيرية وتثبيت أركانها، إنه عصر الازدهار الاقتصادي والحركة العلمية.

إنه عصر ظهور السلاح الناري في حضرموت (البنادق) التي تغيرت بموجبها قواعد الاشتباك وتحركت الخريطة السياسية في حضرموت إلى مآلات محكومة بهذه التحولات.

الزملاء الكرام الحضور الكريم..

قدمت لهذا المؤتمر أربع عشر ورقة علمية تنوعت في موضوعاتها ولكنها اتخذت لنفسها زوايا نظر متعددة، والأوراق في مجملها لامست جوانب من أحداث هذا القرن وشخوصه لكنها نبهت إلى أن استحقاقات هذا القرن تكون بإثرائه بالمزيد من الدراسات لتتناسب مع زخم أحداثه وأهمية تحولاته.

الحضور الكريم..

كم نحن في مثل هذه المؤتمرات العلمية وعند التصدي لقضايا التراث والتاريخ بشكل عام بحاجة إلى تحريك السواكن وتشجيع القراءات العلمية غير التقليدية، كم نحن بحاجة إلى معرفة أنفسنا كما كنا بأمانة لنتمكن من تحقيق ما نريد لحاضرنا ومستقبلنا، كم نحن أيضًا بحاجة إلى تحطيم الجمود الفكري كي يتغلغل النور في أعماقنا ويتدفق الهواء النقي في الشرايين.

الحضور الكريم...

لا يسعني في ختام هذه الكلمة إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل المشاركين بأوراق بحثية في هذا المؤتمر والشكر موصول لكل ضيوفنا الكرام كلًّا باسمه وصفته، والشكر موصول للسلطة في المحافظة التي نجد في تشجيعها لنا دافعًا لبذل المزيد من الجهود خدمة لحضرموت وتاريخها المجيد، والشكر الجزيل لمؤسسة ونادي متطوعون، ونأمل اللقاء بكم في فعالياتنا العلمية القادمة وخاصة المؤتمر العلمي الثالث في هذا التوقيت من العام القادم إن شاء الله

ودمتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

أ. د. عبدالله سعيد بن جسَّار الجعيدي

المدير العام للمركز

محور
المصادر والتراجم والأعلام

البرتغاليون في مصادر القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي
(قراءة تاريخية في النصوص)

أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي
كلية الآداب - جامعة حضرموت

تمهيد:

ظهور البرتغاليين على السواحل العربية الجنوبية:

تعد البرتغال الدولة الأوروبية الأولى التي كرست أكبر قدر من جهودها في البحث عن طريق ملاحي يوصلها إلى الشرق من غير المرور بالخط الملاحي الذي يسيطر عليه العرب.[1] وقد أحدثت حركة الكشوف الجغرافية تغييرات جذرية في الأوضاع القائمة في البحار الشرقية بوجه عام، والسواحل العربية في شبه الجزيرة العربية بشكل خاص، فهي لم تؤدِّ إلى تدهور السيادة الإسلامية على التجارة الدولية ونظمها الاقتصادية فحسب[2]، بل أحدثت أيضًا تغيرات في موازين القوى العالمية ووضعت أول ركيزة للاستعمار الأوروبي في سواحل المحيط الهندي، ومنها السواحل العربية، ووجد العرب أنفسهم يهاجمون من الخلف وأصبحت جزيرتهم و سواحلها الجنوبية على وجه الخصوص في قلب الأحداث الدولية[3].

وابتداءً من سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) أي بعد خمس سنوات من وصول البرتغاليين إلى الهند نشطت الأعمال العدائية البرتغالية ضد الملاحة العربية في السواحل العربية، والمحيط

(١) أحمد بوشرب، مساهمة الوثائق البرتغالية في كتابة الغزو البرتغالي لسواحل المغرب و البحر الأحمر والخليج العربي وما تولد عنه من ردود فعل، مجلة المناهل، السنة (١٠)، العدد(٢٦)، مارس ١٩٨٣، ص٧٧.

(٢) فاروق عثمان أباظه، عدن و السياسة البريطانية في البحر الأحمر، ١٨٣٩– ١٩١٨م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص ٣٣.

(٣) جمال زكريا قاسم،تاريخ الخليج الحديث والمعاصر–الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي ١٥٠٧–١٨٤٠م،المجلد الأول، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩٦م، ص٤٦.

الهندي، وقد استخدم البرتغاليون أسطولهم المزود بالمدفعية ليس في أعمال القرصنة ضد السفن التجارية العربية في عُرض البحر حسب بل في العمل على إغلاق منافذ البحر الأحمر والخليج العربي أيضـًا، وشجعهم على ذلك عدم تعرضهم لأية مقاومة جادة ضدهم[1].

مصادر الدراسة:

هذه الورقة لا تبحث في تفاصيل الهجمات العدائية للبرتغاليين على السواحل العربية الجنوبية وبخاصة موانئ حضرموت بل تحاول قراءة بنية النصوص التاريخية في مصادر القرن العاشر الهجري التي تناولت تاريخ الوجود البرتغالي في المحيط الهندي وموقف القوى الإقليمية والمحلية إزاءه، ومعروف أن هذا القرن تميز بزخم التطورات التاريخية، وبازدهار الكتابة التاريخية الحولية التي تهتم بذكر أهم الأحداث، ووفيات الأعيان، والمصادر التي رجعنا إليها هي: (تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل) مؤلفه أحمد بن عبدالله شنبل، وكتاب: (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) تأليف أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة وكتاب: (تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر) لمؤلفه عبدالله بن محمد باسنجله وكتاب: (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر) تأليف محمد بن عمر بافقيه كما اعتمدنا على نصوص من كتاب الربان سالم بن عوض باسباع الموسوم) بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر) تضمنها كتاب محمد عبدالقادر بامطرف: (الشهداء السبعة).

انتهجت هذه المصادر أسلوب الحوليات والتراجم وذلك امتدادًا للمدرسة التاريخية الإسلامية. ومما يؤخذ عمومًا على كتب الحوليات أنها لا تعطي سوى القليل من المعلومات المعزولة بعضها عن بعض، وعلاوة على ذلك فهي بخيلة في ذكر أسباب الحوادث التاريخية وبالتالي نتائجها، وتجدر الإشارة إلى أن كتب الحوليات والتراجم تتميز عن غيرها من المؤلفات التاريخية بالنقل الحرفي مما سبقها فضلًا عن أن مؤلفيها يزيدون ما يخص الحوادث والتراجم المعاصرة لهم، ورغم عيوب هذا الأسلوب في الكتابة التاريخية إلا أن الموجود منها أسهم في حفظ التاريخ الوطني في وقتٍ كان فيه عرضة للتلف، والضياع لعوامل لا مجال لذكرها.

---

(١) نفسه والصفحة نفسها وينظر: د.عبدالله سعيد الجعيدي، السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت ١٤١١ - ١٧٣٠م ط، تريم للدراسات والنشر، تريم،٢٠١٣، ص١٢٢.

مصطلح البرتغاليين:

لم تغفل النصوص في المصادر التاريخية عن ذكر الهجمات البرتغالية على السواحل العربية الجنوبية في سياق تناولها لأحداث هذا القرن بل إن الإشارات الأكثر سخونة في تلك المصادر نجدها عند تعرضها لتاريخ هذه الهجمات على السفن العربية والموانئ والجزر والمضايق الحيوية.

وأقدم إشارة للبرتغاليين وجدناها عند المؤرخ شنبل في حوادث سنة (٩٠٤هـ/ ١٤٩٩م) إذ ذكر: " وفيها ظهر الإفرنج الكفرة في مقدشوه وساح في الهند"[١]، ويليه بافقيه الذي أورد أول إشارة له عن البرتغاليين في حوادث سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م)[٢] أما بامخرمة فقد ذكر: " أنه في سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٣هـ ظهرت مراكب الفرنج في البحر بطريق البحر".[٣] وعلى العموم كانت الإشارات الأولية مقتضبة وخالية من التفاصيل مما يدل على عدم توافر المعلومات عن البرتغاليين، ولهذا لاحظنا إشارات المؤرخ باسنجلة غير قاطعة ففي آخر إفادته عن ظهور البرتغاليين سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م قال: " والله أعلم "[٤] وفي السنة التالية يذكر أن الإفرنج أخذ هرموز صلحًا ويختتم النص أيضًا بجملة (والله أعلم)[٥] وفي حوادث السنة نفسها يورد المؤرخ العيدروس المتأخر في التأليف عن باسنجلة المعلومة نفسها من غير الإشارة إلى (والله أعلم)[٦] فقد صارت المعلومات في عصره معروفة ويتناقلها الناس.

وقد أطلقت النصوص على البرتغاليين لفظة الفرنج، والفرنجة والإفرنج، ولم ترد لفظة البرتغاليين إلا في كتاب الشهداء السبعة الذي اعتمد على مخطوط معاصر وذلك بتحريف

---

(١) أحمد عبدالله شنبل، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، ط١٩٩٤م، ص ٢١٦.

(٢) محمد عمر بافقيه، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ص٤٦.

(٣) أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: محمد يسلم عبدالنور، ط١، وزارة الثقافة صنعاء، ٢٠٠٤م، المجلد ٣، ص٣٧٢٧.

(٤) عبدالله بن محمد باسنجلة، تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، ص٣٢.

(٥) عبدالله بن محمد باسنجلة، المرجع السابق، ص٣٠.

(٦) عبدالقادر شيخ العيدروس، تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص٥٨.

كلمة البرتغاليين (Portuguese) إلى (البردجيز)[1]. أما لفظة الإفرنج التي تسيدت النصوص فقد تماهت مع الأدبيات الإسلامية التاريخية المتعلقة بتاريخ الحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر وكانت اللفظة الشائعة في المصادر قبل الحملات الصليبية هي لفظة الرومان أو الروم وجاء في الآية الكريمة ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾[2] ويقصد بالروم الإمبراطورية الرومانية الشرقية(البيزنطية) وهم الذين كانوا على تماس مباشر مع المسلمين في جغرافيا متحركة وعبر مراحل متعددة من التاريخ.

ولفظة الإفرنج التي تسللت في الثقافة الإسلامية كوصف عام للأوروبيين المسيحيين بخاصة بعد الحملات الصليبية على بلدان المشرق العربي فإنها تعطي مؤشرات على ضعف معلومات المؤرخين عما يدور في القارة الأوربية من تشكلات سياسية وظهور دول مركزية قوية بمسميات معروفة.

ويتضح البعد الديني للنصوص عندما ترد لفظة الإفرنج بصور متوازية مع لفظة الكفار وأحيانًا تكتفي النصوص بلفظة الكفرة التي تؤدي الغرض نفسه في دلالته وخاصة عندما تتقابل مع لفظة المسلمين بوصفهما طرفين نقيضين وهذه الثنائية الضدية المحكومة بتاريخ من الصراع الحربي والصدام الحضاري تؤشر إلى ما يمكن وصفه بوحدة العالم الإسلامي وديار الإسلام ويقابلها بلاد الكفار بعموميته الإفرنجية المسيحية. أو العالم المسيحي ورغم ضعف الدولة المركزية الإسلامية وغياب شوكتها في مناطق الأطراف فإن الشعور الوجداني بالوحدة الإسلامية أو الأخوة الإسلامية غالبًا ما يتعزز عند ظهور المخاطر والتحديات التي تمس المسلمين في عقيدتهم وأوطانهم، ولعل هذا ما يفسّر تمترس النصوص في توصيف المواجهات بين البرتغاليين وسكان حوض المحيط الهندي من العرب وغير العرب بأنه صراع بين المسلمين والكفار، ولهذا تصف النصوص قتلى المسلمين بالشهداء وصرعى البرتغاليين بالأموات، ويعطي بامخرمة بعدًا خاصًا لكن غير بعيد عن ثنائية المسلمين

---

(١) محمد عبدالقادر بامطرف، الشهداء السبعة،ص١٠،وفي تب (البرق اليماني في الفتح العثماني)لمؤلفه قطب الدين محمد بن حمد النهروالي المكي يطلق على البرتغاليين لفظة (البرتقال) جنبا إلى جنب مع لفظة الإفرنج.

(٢) القرآن الكريم سورة الروم،الآية ٢-٣.

والكفار عندما صنف الطرفين بحزب الرحمن ويقصد بهم المسلمين وحزب الشيطان ويقصد البرتغاليين[(١)].

لكن هذه النصوص وهي تعطي توصيفها العام للمسلمين العرب وغير العرب القاطنين في حوض المحيط الهندي فإنها تشير إلى مصطلح الروم،والأروام، ورومي، ويقصد به الأتراك العثمانيين وهم من القوى الإسلامية الكبرى التي تلقب سلاطينها بخليفة المسلمين ومع هذا ربما يثير هذا المصطلح بعض الغموض عند الإحالة التاريخية إلى الرومان أو الروم (الإمبراطورية الرومانية) لكن ظهور هذا المصطلح جنبًا إلى جنب مع مصطلح الإفرنج في المصدر الواحد يدل على أن المصطلح الأخير استقر في الثقافة الإسلامية، والذاكرة الجمعية بوصفه مفهومًا يحيل إلى الشعوب الأوروبية أو أوروبا الصليبية.

الاعتداءات البرتغالية في المصادر التاريخية:

شكل ظهور البرتغاليين على السواحل العربية الجنوبية صدمة كبيرة لسكان هذه السواحل، وتتجلى هذه الصدمة في لغة النصوص التي اعتراها الارتباك والغضب الشديدين لكنها لم تمض على وتيرة واحدة وارتبطت بمدى قسوة الهجمات البرتغالية وبالمسافة التاريخية التي دوّنت فيه هذه الهجمات، وإذ توحدت مشاعر النصوص ضد البرتغاليين فإن المصادر التاريخية تباينت في معلوماتها واختلفت نبرتها بخاصة عند إشاراتها المباشرة أو الضمنية لموقف الحكام المحليين أو موقف الأهالي من هذه الاعتداءات.كما سوف نشير إلى ذلك لاحقا، وعلى أية حال فقد غلب على هذه النصوص الطابع الخبري، وكشفت حالة الفقر العربي في المعلومات عما يجري في القارة الأوروبية الناهضة.

وعموما انحازت المصادر لهويتها العربية وثقافتها الإسلامية وذلك لما تمثله الهجمات البرتغالية من تهديد محتمل للأماكن المقدسة في الحجاز، وعلى المصالح الاقتصادية لسكان السواحل العربية الجنوبية والقوى الإسلامية الأخرى التي اهتزت تجارتها البحرية بتغير الخط الملاحي بعد أن تمكن البرتغاليون من الدوران حول أفريقيا. كما أن البرتغاليين لم يحملوا أي فكرة حضارية ولو تمويهية بل نجدهم يمارسون أبشع الأساليب لفرض سيادتهم على تجارة المحيط الهندي على حساب حركة الملاحة الإسلامية.

(١) أبو محمد الطيب بامخرمة، المرجع السابق، ص ٣٧٣٢.

كما اتسمت هذه النصوص بالروح الانفعالية وعكست حالة الضعف العربي الذي اعتمد في أمنه الخارجي على القوى الإسلامية الرئيسة في مصر والشام بوصفهما كانتا تمثلان الحاجز الاستراتيجي من الهجمات المتوقعة شمالا، وتجلى هذا الضعف في ردود فعل النصوص التي ركنت إلى أسلوب الشتائم عند إشاراتها إلى الاعتداءات البرتغالية على السواحل العربية والإسلامية ولهذا لا تكاد تغادر النصوص مربع اللعنات من قبيل: (خذلهم الله - لعنهم الله- لا صحبهم الله السلامة - فهرب الملعون - أهلكهم الله)، ومن أمثلة النصوص عند بامخرمة: " وحصل على المسلمين ضرر عظيم في ناحية الهند وهرموز أهلكهم الله"[1] وعند باسنجلة: " وقتل من الإفرنج لعنهم الله جماعة فهرب الملعون إلى هرموز"[2]، وتكررت مثل هذه الألفاظ في المصادر الأخرى واللافت في كتاب شنبل تركيزه فقط على ثنائية المسلمين والكفرة وربما يعود ذلك لتوقف نصوص مؤلفه عند سنة ٩١٥ هـ/ ١٥١٠م أي قبل أن تشتد هجمات البرتغاليين وتشتهر اعتداءاتهم.

وهكذا عبرت النصوص عن وجهة النظر العربية كما أسلفنا القول ولعله لا مجال هنا في البحث عما يمكن وصفه بالحيادية أو بالموضوعية فمنهجية الكتابة عن طريق الحوليات كما هو معروف تعنى بذكر الحوادث وأحيانا التعليق العابر عليها وهي مرحلة متسقة مع واقعها ومع الثقافة التقليدية السائدة. كما أنه أمام ديمومة الهجمات البرتغالية التي اتسمت بالقسوة والوحشية يصير من المثالية بمكان البحث عن نصوص في المصادر خالية من الأسلوب القوي أو التعبوي - إن صح التعبير- وهي بهذا عبرت بصدق عن حالة السخط العام بصرف النظر عن النبرة الجامحة التي اتصفت بها.

وإذا أعطينا بعدا آخر لغضب النصوص فإنها في الأصل أعراض صدمة حضارية عند العرب أكثر منها حالة غضب. فالبرتغاليون تقدموا إلى عمق السواحل العربية بنشوة الانتصار على الممالك الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية، وبتطلعات امتزجت فيه روح الحروب الصليبية مع الأطماع في الاستحواذ على ثروات الشرق، ومما شجعهم على مغامراتهم تحرر الأفكار في أوروبا من أغلال العصور الوسطى واستخدامهم الأسلحة النارية غير المعروفة

---

(١) نفسه، ص ٣٧٢٧.

(٢) عبدالله بن محمد باسنجلة، المرجع السابق ص٦٠.

وقتئذ عند سكان السواحل العربية الجنوبية، وأمام هذه الفجوة الحضارية التي كانت في غير صالح العرب عبثت السفن البرتغالية في السواحل العربية الجنوبية وكانت لها اليد الطولى، وبالمقابل زخرت النصوص بذكر عدد الشهداء والمأسورين والسفن المنهوبة وعُمّدت النصوص في ثناياها بالدعاء باللعنات.

ومع هذه الصورة القاتمة إلا أن بعض النصوص قدمت معلومات عرضية عن موقف الحكام المحليين والأهالي من هذه الهجمات البرتغالية بل وصل بالبعض منها بتقديم الانتقادات أو السخرية جراء غياب الموقف القوي ضد تلك الهجمات من ذلك ما ذكره باسنجله في حوادث سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م عندما قال: "...إن غرابا من الإفرنج مر ببندر عدن وضرب إليها مدافع،ثم تجاوزها إلى باب المندب ومر إلى سواكن ودهلك وصادف جملة خشب وقتل جماعات من المسلمين في الخشب اللي أخذها..ولم يصده صاد ولا أزعجه مزعج هذا مع أن عدن و زبيد ملآنتان من الأروام وعُدد وغيرها، وهذا شيء عجيب تضرب به الأمثال ويؤرخ في التواريخ ولا حول ولا قوة إلا بالله."[١] كما لاحظنا أن المؤرخ باسنجلة ينفرد في نصوصه بذكر ما تصمت عنه المصادر من ذكر المواقف الايجابية النادرة عند البرتغاليين فبعد أن ذكر أعمالهم الإجرامية في رمي الحجاج في البحر قال في النص نفسه: "وجماعة افتكوا سالمين"[٢]، ومن جانب يورد إشارة ضمنية انتقد فيها تصرفات العثمانيين لقيامهم بفك سفينتين برتغاليتين مقابل مبلغ من المال[٣].

كما سجلت نصوص المؤرخ بافقيه بعض المواقف الانهزامية لقوات السلطان بدر بوطويرق بخاصة بعد سيطرة البرتغاليين على عدد من السفن الراسية في مدينة الشحر من غير مقاومة تذكر وعلق على هذه الحادثة بنقد لاذع إذ قال: " ارتجت البلاد ارتجاجا عظيما من فعلهم وحزن المسلمون لذلك وحصلت شناعة عظيمة، ذلك كله ظنا منهم أن ذلك مما يرضي الإفرنج ومما يتقربون به إليهم وهيهات لا الإفرنج راضين عنهم ولا الرومي ولا المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله"[٤].

(١) نفسه، ص ص٦٨-٦٩.

(٢) نفسه، ص ٥٥.

(٣) نفسه، ص ٩١.

(٤) محمد عمر بافقيه، المرجع السابق، ص ٢٠٧.

أما الحادثة الشهيرة في تاريخ الهجمات البرتغالية على السواحل الحضرمية هي هجومهم البري المباشر على مدينة الشحر سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م وتناولت النصوص هذا الحدث الكبير بصيغ متفاوتة وأحيانا متباينة ونحن لسنا بصدد الحديث عن تفاصيل الأحداث وحيثياتها، وعلى أية حال فلم ترد أخبار هذه الحادثة عند كل من المؤرخ شنبل والمؤرخ بامخرمة، فالأول توقف عند حوادث سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م أي قبل حاثة الشحر بتسع سنوات، أما المؤرخ بامخرمة فقد توقفت حولياته في سنة ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م.

وهناك مصادر عاصرت أو كانت قريبة العهد بهذه الحادثة من ذلك ما جاء عند باسنجلة في حوادث ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م سجل فيها الآتي: " وفيها يوم الخميس لتسع خلت من ربيع الثاني: توصل تجهيز الإفرنج- لعنهم الله- إلى الشحر نحو أربع عشر خشبة صغارا وكبارا فلما كان صبح يوم الجمعة خرج بعسكره إلى البلاد لعشر خلت من ربيع الثاني ونهبها وحرق فيها وقتل بها الأمير مرجان... وقتل بها الفقيه أحمد بن عبدالله فضل وأخوه فضل.... وخلق كثير وأسر خلق كثير فممن أسر وافتك في الحال الفقيه أحمد بن عبدالله بالرعية"[(١)]، أما بافقيه فسجل الآتي: " وفي يوم الخميس تاسع ربيع الثاني: وصل الإفرنجي المخذول في نحو تسع خشب ونزل إلى البلد يوم الجمعة وابتدأ القتال بعيد الفجر ولم يثبت له أحد من الناس بل انهزموا انهزاما قبيحا واستشهد أمير البلد الأمير المرحوم مطران بن منصور رحمه الله أصابته بندقة من بعيد فسقط مكانه"[(٢)]. وفي النور السافر للعيدروس وردت الإشارة كما يأتي:" وفيها استشهد بافضل في معركة الكفار لما دخل الإفرنج الشحر وقتلوا الأمير مطران وغيره وأسروا ونهبوا"[(٣)].

أما المؤرخ باسباع فقد انفرد بذكر تفصيلات المقاومة وقال بأسلوبه العامي:

" هدّت [عاركت] الناس يد واحدة..كل واحد يشوف دار الثاني داره والعار عاره والخو [الأخ] خوه وإذا شافوا واحد من البردجيز الملاعين حملوا عليهم"[(٤)].

---

(١) عبدالله بن محمد باسنجلة، المرجع السابق، ص٤١.

(٢) محمد عمربافقيه، المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٣) عبدالقادر شيخ العيدروس، المرجع السابق، ص١٢٦.

(٤) محمد عبدالقادر بامطرف، الشهداء السبعة، ص١٠١.

قدمت هذه النصوص قراءات خاصة بأصحابها فالمؤرخ باسسنجلة يؤكد ضمنيا على انتصار البرتغاليين الساحق. أما العيدروس فقد تبنى رواية باسنجلة مع بعض التخفيف.

أما الروايتان المغايرتان فنجدهما عند بافقيه الذي انتقد الأهالي انتقادًا لاذعا، بينما نجد باسباع الأكثر قربا من هذه الحادثة يمتدح صمود الأهالي وتكاتفهم، وقد ناقشت بعض الأدبيات التاريخية هذا الأمر ولا يسمح مجال الدراسة بالتعليق أو ترجيح الآراء، بيد أن القاسم المشترك بين هذه الروايات اتفاقها على تمكّن البرتغاليين من إحكام سيطرتهم على مدينة الشحر والدليل على ذلك إشارات النصوص للخراب الذي أحدثوه في مدينة الشحر لكن هذا لا يلغي تضمين النصوص نفسها لفعل المقاومة والتصدي من خلال ذكرها لأسماء الشهداء من أعيان الشحر ورجالها البارزين ومن عدد القتلى والأسرى وهذا لا يتم إلا في ظل معارك حقيقية، ولأن ميزان القوى لم يكن في صالح أهالي الشحر المتزودين فقط بالأسلحة البيضاء (العصي والسيوف) فإن صوت المنتصرين غالبا ما يسمع بعد انتهاء المعارك بخاصة في نصوصهم الخاصة. لكن شجاعة النصوص المحلية في نقل مشاهد الانكسار لا ريب سيعطيها نوعًا من المصداقية لاسيما عند أولئك الذين يحبذون في استنباطاتهم الإشارة إلى المقولة الشهيرة (وشهد شاهد من أهلها)، ومما سيحسب أيضًا لصالح النصوص بحسب الروايات السابقة المتباينة أنه رغم طريقة الحوليات في الكتابة التي تعتمد في النقل الحرفي للمتأخرين عن المتقدمين فإن النصوص تحركت ليس فقط في ظاهر نصوصها بل أيضًا في بعض مضمونها مما أكسبها نوعًا من الحيوية.

بقي أن نختتم بجملة لعلها الخلاصة وهي أن هذه النصوص ربما لم تسعفنا بالمعلومات التي تشبع فضول أهل التاريخ لكنها ضمنيا ألمحت إلى أن الانكسارات غالبا ما تكون نصيب الشعوب التي ركنت إلى الجمود، وتركت تيارات التاريخ المتدفقة تتجاوزها.

محمّد بن عمر الحضرميّ الشهير بـ (بحرق)
(٨٦٩ - ٩٣٠هـ)
حياته - آثاره - مكانته - أمور مشكلة في ترجمته

د. جمال رمضان حديجان
كلية الآداب - جامعة حضرموت

ملخّص البحث:

هذا البحث في ترجمة عَلَمٍ من أعلامِ حضرموت من أعيان القرن العاشر، الذي أسهمَ إسهامًا فاعلًا في نهضةِ حضرموت العلمية والثقافية والإدارية والاجتماعيّة والسياسيّة.

هذا العَلَمُ هو محمّدُ بْنُ عُمَرَ الحضرميُّ الشهيرُ بـ(بحرق) (٨٦٩ - ٩٣٠هـ)، وتمثِّلُ شخصيّةُ بحرقٍ منْ أهمِّ الشخصيّاتِ التي أسهمتْ في إثراء نهضة حضرموت العلميّة؛ إذْ كانَ إضافةً مهمّة في عِدَادِ العلماء الذينَ نهضُوا بحضرموتَ علميًّا منْ خلالِ العلمِ والثقافةِ التي تشرّبُوها فأفادُوا في نشرِ العلمِ وتعليمه في حضرموت من خلال الدروسِ والتعليم والتأليف، فضلًا عن القضاء بينَ النّاسِ.

كما كانتْ شخصيّةُ بحرقٍ حاضرةً في الجانب السياسيّ والإداري لحضرموت؛ إذْ كانَ السلطانُ بدر أبو طويرق الكثيريُّ قدْ قرّبَ العلماءَ من نفسِه مستعينًا بهم ومستشيرًا في حلِّ كثيرٍ من قضايا سلطنته وإدارته، فضلًا عنْ حلِّ قضايا الخلافِ والفتنة التي كانتْ تُثَارُ في نواحي حضرموت في فترة حكم أبي طويرق؛ إذْ كانَ له خصومٌ كُثُرٌ يستغلُّونَ بعضَ الأوقاتِ للتمرُّدِ والخروجِ عن الطاعة وإثارة الفتن هنا وهناك فكانَ أبو طويرق قد استعانَ ببحرقٍ في بعض أعماله الإدارية كما في توجُّهه إلى (قِشْن) وإخضاعه لها وبناء حصنٍ فيها وأخلفَ فيها الأمير محمّد بن مطران والشيخ بحرقًا.

كما أسهمتْ شخصيّةُ بحرقٍ في فترةِ حكمِ أبي طويرق بوجهٍ أو بآخر في جعلهِ وسيطًا في كثيرٍ من مشكلاتِ النزاعِ بينَ أبي طويرق وبين خصومه ولا سيّما آل عامر من نهد في (الهجرين) و(هَيْنَن).

كما خلصَ البحثُ إلى إبرازِ بعض المشكلاتِ والأسئلة التي راوحتْ واقعَ شخصيّته والسلطان بدر أبي طويرق.

جعلْتُ هذا البحث في تمهيدٍ وأربعة مباحث، شمل التمهيد الحديثَ عن الحياة السياسيّة والعلمية وأثرهما على شخصيّة بحرق. ثمّ تلاه المبحث الأول فشمل على حياة بحرق. ثم تلاه المبحث الثاني فاستوفَيْتُ فيما علمْتُ آثارَه العلميّة المطبوع منها والمخطوط. ثمّ تلاه المبحث الثالث فاحتوى على ما يُبْرِزُ مكانة بحرق من خلال أقوال العلماء فيه. ثمّ تلا ذلك المبحث الرابع وفيه مشكلات البحث وأسئلته.

تَمْهيد: عَصْر بحرق (٨٦٩هـ - ٩٣٠هـ)

إنَّ الحكمَ على شخصيّة بحرق لنْ يكوْنَ متَّسمًا بالإنْصَافِ أو قريبًا منْ ذلك إلاَّ بالعَودةِ إلى حياةِ ذلك العصْر، وإلى الموْطن الذي نشأ فيْه بحرَق وعَاش، حتى يُعْرَف مدى تأثُّرِ بحرْقٍ بما يدور حَوْله ومدى تأثيرِه فيْه، فآراءُ المَرْءِ وتصرُّفاته وأفكارُه تُؤَثّرُ فيْها وتُوجَهُهَا النُّظُمُ والعَاداتُ والتقاليْدُ السَائدةُ ومُجرَياتُ أموْر ذلك المجتمع الذي يعيْش فيْه.

وقَدْ بدا للبَاحثِ دراسَةُ الحيَاة السيَاسية والعلميّة لذلك العصْر لوضوح سمات هاتين الناحيتْين في حيَاة بحرقٍ وشخصيته.

أوَّلًا: الحَياة السياسيَّة:

منَ الحقِّ القولُ إنَّ تاريخَ تلك الحقْبة السياسيَّ مليءٌ بالأحداثِ المهمَّةِ، وإن أيامَ ذلكَ العصْرِ كانت مصبوْغةً بالدماءِ.

في حضرْموْتَ حيثُ وُلد بحرق قامَتْ دولةٌ وسقطَت أخْرى إلى أن قامَتْ دوْلةُ آل كثيرٍ [(١)] بعد أن أرسَت دعائمها في دورها الثاني [(٢)].

---

(١) آل كثير: أعظم قبائل همدان وأشدُّها قوة وأشرفُها مقاماً وأعزُّها رجالاً، لهم نفوس كبار وآمال عظام ومطامح جسام، وهم قبائل كآل عامر وآل كُدَّة وآل عبْد العزيز وآل عمر وهناك أفخاذ لهم كآل سند وآل جعفر بن بدر وآل منيباري وآل صقير وآل زيمة وآل سعيد بن مرعي وكذلك آل باجري وآل جابر والعوامر وآل سيف وبنو كثير في ظفار. ينظر تاريخ حضرموت السياسي لصلاح البكري ١/ ١١٤.

(٢) إذ مرّت الدولة الكثيرية في تأسيسها بدورين رئيسين، الثاني منهما عاصره بحرق وقد قام به آل جعفر بن بدر. ينظر: جواهر تاريخ الأحقاف لمحمد علي باحنان٢/ ١٦٧-١٨٧، ومعالم تاريخ الجزيرة العربية

وحتى نقف على بَعضِ أحداث ذلك العصر السياسية المتمَثِّلة في الغارات والقتْلِ القائم بين القبائل وآل كثيرْ يمكننا إيْجاز ذلك على النحْو الآتي:

١- **السلطان بدْر بْن عبْدالله بْن علي بْن عمر الكثيري (ت٨٩٤هـ)**، وهو أول سَلاطين آل كثيْر الذي عاش في عهده بحرق، ويُعَدُّ سادس سلاطين أل كثير مُذْ قامَتْ دولتهم في دوْرها الأوَّل، وقد تولَّى السلطنة بعد أخيْه محمَّد سنة ٨٥٥هـ والفتنة قائمة في البلاد بيْن الدولة الكثيرية وقبائل أُخر. وتجمَّعت حينها أحزاب القبائل ضد السلطان بدْر فجهَّز عليهم جُنْدًا قادهم بنفسه وأقبل بهم نحْو الثائرين فتلقَّتهُ قبائل حضْرموت الهائجة وكانَتْ معركة فاصلة هزمهم فيْها السلطان بدر وجنده [(١)] ثمَّ عُقِد حينها صُلْحانِ الأول بين السلطان بدر والقبائل، والآخر بينه وبين سلطان بْن دويْس لتسوية الأمور بينهم [(٢)].

وبقيَ الحالُ هادئًا غيرَ أنَّ صَاحبَ مَرْيمة في سَيْئُون ثار على السلطان بدْر فأُرْسل إليه جيشٌ حَصَرَ البلدة ولمْ يُفكَّ الحَصْرُ إلاّ بصُلْح [(٣)].

وفي سنة ٨٥٨هـ قَتَلَ السلطانُ بدرٌ ابْنَ أخيْه عليَّ بنَ محمَّد بْن عبد الله بْن علي الكثيريْ بعْدما أحسَّ بخيانته له [(٤)].

وأمَّا الشْحر فقد مدَّ السلطان بدْرٌ نفوذه عليها في سنة ٨٦٧هـ بعْد أنِ انتزعهَا من الطاهريين أهلِ عَدَن [(٥)].

وفي السنة التي تليها أي سنة ٨٦٨هـ عادَتْ تريْم إلى تمرُّدها ثانية على آل كثيرْ، فلم يكُنْ للسلطان بدر إلاَّ أنْ يحصرها ثلاثة أشهر ثم يرجع عنها [(٦)]. ثمَّ يعودُ إليها في سنةِ ٨٨٩هـ بعد

لسعيد باوزير ص٢٦٠-٢٦٢، وتاريخ حضرموت السياسي ١/ ١٢٣-١٢٧، وحضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي ص ٧٤-٧٧ وهما لصلاح عبد القادر البكري، وحضرموت تاريخ الدولة الكثيرية لمحمد هاشم ١/ ١٦-٣٧.

(١) ينظر: جواهر تاريخ الأحقاف ٢/ ١٦٧،١٦٦، وحضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٢٤.

(٢) ينظر: حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٢٥،٢٤.

(٣) ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق.

(٥) ينظر: جواهر تاريخ الأحقاف ٢/ ١٦٩، وحضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٢٥.

(٦) ينظر: حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٢٥.

بَذْلِ جُهْدٍ طائلٍ في العُدَّة والعَدد فيستولي عليها [1].

٢- **السلطانُ جعْفَر بْن عبْدالله بْن عليَ بْن عمر الكثيري (ت٩٠٥هـ)**، وهو ثاني سلاطين آل كثيْر مَرَّتْ حيَاةُ بحرَق بعهْدِهِ وقد نشأ السلطان جعفر بعيدًا عن حضرموتَ وما فيها من مشاغبات، مشتغلًا بالتجارة ومتصلًا برجال الفضْل والصَّلاح، ومع هذا لم يكُ لِيَنْسَى عشيرته ومجريات الأحداث التي تتناوبها. ثمَّ عاد إلى حضْرموْت هو وابنه عبْد الله وقام بإصْلاح حالِ قوْمه آل كثير وأزال مابنهم من خلافٍ، وجمع شملهم ووحَّد كلمتهم. ولـمَّا آلتْ إليهِ السلطنة أعدَّ منهم جيشًا سَار به إلى الشحرِ واحتلَّها بعْدما كانَتْ في أيدي غيره وذلك في سنة ٩٠١هـ، وظلَّ يحكم الشِحْرَ إلى أنْ قَتَلَهُ الظُّلْفانُ في بَوْر في سنة ٩٠٥هـ [2].

٣- **السلطانُ عَبْد الله بْن جَعْفر بْن عَبْد الله بْن عليْ بْن عمر الكثيريْ (ت٩١٠هـ)**، وهو الثالث من سلاطين آل كثيرْ الذين عاصرهم بحرق، وقد ظلَّ السلطان عبدالله يحكم الشحْرَ بعد أبيْه جعْفر وكانَ سلطانًا على عمُوم حضرموت، وقد سلكَ السبيْلَ الأقْوَمَ لتوطيدِ حكمه من خلال خلقِ مكانةٍ له في قلوبِ كُلِّ طبقات شعبه، ومضتْ سنواتُ مُلْكِهِ والأموْرُ هادئة [3].

٤- **السُلطان بدْر الدِّيْن بْن محمَّد بْن عبْد الله بْن عليّ بْن عمر الكثيْريْ (ت ٩١٥هـ)**، تقلَّد السلطنة بعْدَ مَوْتِ عمِّه عبْد الله جعْفر متفرِّغًا لإدارة شئون حضرَموْت الداخلية وإخمادِ كُلِّ فتنة، واتَّخذ من شبام مقرًّا له إلى أنْ مات بها سنة ٩١٥هـ [4].

٥- **السلطان محمد بن عبد الله بن جعْفر بْن عبْد الله بْن عليّ بْن عُمَر الكثيريّ**، تولَّى سلطنة الشحْر بعْد مَوْت أبيه عبْد الله بْن جعفر في سنة٩١٠هـ وظلَّ يَحكمُ فيها، وقد قطعَ علاقاته بقبائل آل كثير فساءت حالُهم ودبّ إليهم الخلاف [5]. ولمَّا كَان في الشحر أخَذ يتردّد على ظفار راغبًا في ضمِّها إلى ملكه وإخضاع عشائرها له.

---

(١) ينظر: جواهر تاريخ الأحقاف ٢/ ١٧٢، وحضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٢٥.

(٢) ينظر: جواهر تاريخ الأحقاف ٢/ ١٧٤-١٧٧، وحضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٢٥، ٢٦، وحضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي ص٧٦، وتاريخ حضرموت السياسي ١/ ١٢٣، ١٢٤، ومعالم تاريخ الجزيرة العربية ص ٢٦٢.

(٣) ينظر: المراجع السابقة ٢/ ١٧٦، ١٧٧، ١/ ٢٦، ٢٧، ص٧٦، ١/ ١٢٤.

(٤) ينظر: المراجع السابقة ٢/ ١٨١، ١/ ٢٨-٣٠، ص ٧٦، ١/ ١٢٤.

(٥) ينظر: حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٣٠-٣٣، وحضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي ص٧٦، وتاريخ حضرموت السياسي ١/ ١٢٤، ١٢٥.

ولمَّا كانت سنة ٩١٥هـ حكم حضرَموت عامة بعد مَوْتِ السلطان بدر الدين ثُمَّ بدأت قبائل العوابثة تهزُّ أركان سلطنته بتمرُّدها وخروجها عليْه، فجاءت سنة ٩١٦هـ فقضى على أعيَانهم [١].

وفي سنة ٩١٧هـ جهَّز جيشًا عظيمًا على الهَجَرَيْن وقامَتِ الحربُ بينه وبَيْن أهلها ورجعَ السلطان محمد منها بلا طائل، وفي السنة التي تليها ٩١٨هـ جهّز جيشًا أعظم مِنَ الذي قبله، وكان رجاله من الشحر ومن ظفار، وكان ناقمًا على الهَجرَيْن فانتزعها وأخضعها لملكه [٢]. ثم التفتَ إلى تريم ليتخلَّص من واليها ويخضعها له وذلك في سنة ٩١٩هـ وتحقَّق له ذاك [٣].

٦- **السلطان بدْر بْن عَبْدالله الكثيري الشهير بأبي طويْرق، كانَ في مديْنة شِبام،** وفيها حاول أنْ يسوِّي أمورَ شعبه ويرشدهم، ولكنَّ عائِقًا أَعاقه وهو أقرباؤه الذين كانوا ينصبون له العداء، فاضطرَّ إلى مغادرةِ البلاد ليأتي بقوْمٍ يستردُّ بهم مُلْكَه الضائع [٤]، ثمّ عاد برجال مِنْ يافعَ إلى حضْرموت ووصلَ بهم إلى الشحر، ثم جعل منهم رجالًا على دوعن [٥].

ثمَّ سار إلى شبام فعلمَتْ بقدومه وجيشِهِ قبائلُ نَهْدٍ واحتشدَتْ لصدِّه، والتقَى الجمْعان، ودارَتْ بينهما معركةٌ طاحنة كان النصرُ فيها لأبي طويرق وجُندِه [٦]. ثم وصلَ شبامًا واحتلَّها وذلك في سنة ٩٢٦هـ وحصَّنها برجالٍ مِنْ يافع [٧].

وتوجّه إلى تريْم في سنة ٩٢٧هـ واحتلَّها وجعلها مِنْ جُملْةِ مراكز دولته المهمة وحصَّنَها برجالٍ من يافع أيضًا [٨].

ثمّ توجَّه إلى مدينةِ سَيئون في رجالٍ من يافع ليحصّنها ويجعلها قلعة من قلاع دولته المهمّة [٩].

---

(١) ينظر حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٣١.
(٢) ينظر جواهر تاريخ الأحقاف ٢/ ١٨٣،١٨٢.
(٣) ينظر حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٣١.
(٤) ينظر: جواهر تاريخ الأحقاف ٢/ ١٨٥،١٨٤، وتاريخ حضرموت السياسي ١/ ١٢٥.
(٥) ينظر: المرجعان السابقان ٢/ ١٨٥، ١/ ١٢٦.
(٦) ينظر: المرجعان السابقان.
(٧) ينظر: المرجعان السابقان.
(٨) ينظر: المرجعان السابقان.
(٩) ينظر: جواهر تاريخ الأحقاف ٢/ ١٨٥، وتاريخ حضرموت السياسي ١/ ١٢٦.

ثمّ سار إلى هَيْنَن واستوْلى عليها [١]. ثمَّ أتمَّ تحصينَ أركانِ دولته بإرسال رجالٍ آخرين من يافع إلى الشحر التي فيهَا أخوه محمَّد بن عبد الله الكثيري لضمِّهم إلى جيشه لتعزيز الشحر ولتأمينها من غارات الأعداء الداخليين والخارجيين [٢]. فاغتبط بذلك أخوه فنزل عنِ الحكمِ له بنفسٍ راضية وذلك في سنة ٩٢٧هـ [٣]، ثم عمل أبو طويرق على توحيد قبائل آل كثير بعد ما قُطِع شملهم في حكم أخيه محمد.

وفي سنة ٩٢٩هـ ردَّ أبو طويرق هجمات البرتغاليين على الشحر؛ إذ أرادوا احتلالها، وقد شاركَ في ردِّ هجومهم أهالي الشحر وأعيانها وعلماؤها فضلًا عن أميرِها وجنوده [٤].

وبعْدها استقرَّ مُلْكُ آلِ كثير في حُكْمِ حضرموت في عهده وقدِ امتدَّ سلطانهم إلى العوالق غربًا وسيْحوت شرْقًا والسواحل الجنوبيّة جنوبًا والرمال شمالًا [٥]، بعد أنْ أحيا أبو طويرق ملك آبائه وأعاد لقومه مجدهم بتوحيد حضرموت.

أثر الحَياةِ السياسية في شخصية بحْرق:

يظهر أثرُ الحَياةِ السياسيَّةِ في شخصيَّة بحرق مِنْ تلك الأحْداثِ السيّاسيةِ المتمثلةِ في النزاع القائم بين القبائلِ وآل كثير طلبًا للسلطة وسوء أوضاع الحُكْمِ وعدم الاستقرار. هذه الأحداث جعلَتْ بحرقًا يَصوغُ شخصيّتَه العمليّة فترك موطنه ورحل يجوبُ البلادَ في رحْلاتٍ طويْلة، فقصدَ (الشِّحْرَ وعدنَ وزبيْد)، ثمّ الحجاز.

وفي عهد أبيْ طويْرق إزاءَ مشروعِهِ الكبير توحيد حضرموتَ في دولةٍ لها مقوِّماتُ الدُّوَلِ سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وعلميًّا عادَ بحرقٌ إلى حضرموتَ معَ حرصِ أبي طويرق على أنْ تكونَ بطانتُه ومستشارُوهُ ومعاوِنُوهُ من العلماء والقضاةِ والمخلصين الذين يمكنُه بهم إرساء دعائم دولته، ليكمل بحرقٌ مسيرة حياته العلميَّة فأقبلَ على التعليم ونفعِ النَّاسِ ويُسلَّمُ لَه قضاء الشحر، وتُسْنَدُ إليه مهام إدارية وسياسيَّة، فضلًا عنْ مهامِ أبي طويرق التي

---

(١) ينظر: المرجعان السابقان.

(٢) ينظر: المرجعان السابقان.

(٣) ينظر: جواهر تاريخ الأحقاف ٢/ ١٨٥.

(٤) ينظر: المرجع السابق ٢/ ١٨٦، ١٨٧.

(٥) ينظر: حضرموت تاريخ الدولة الكثيرية ١/ ٣٤.

كلّفَ بحرقًا بها كوساطتِه بينَ السلطانِ أبي طويرق وبعضِ قبائل حضرموتَ كقبيلة نهدٍ لأجلِ تخفيفِ حِدَّةِ التوتُّرِ وتهدئة الأمور.

فالحيَاةُ السياسية بطوْريها (النزاع والاستقرار) قد نحَتْ بشخصيَّةِ بحرق في الأول منهما نحو التكوين، وفي الثاني نحو النضج والاكتمال والأداء العمليّ.

ثانيًا: الحَياة العلميَّة:

إنَّ الحياة العلميَّة في عصْر بحرقٍ كانَتْ في قمَّةِ ازدهارها على الرغم من الأحوال الطبيعية القاسية وسوْءِ الأوضاع الاقتصَاديَّة وعدم الاستقرار السياسي واستمرار الفتن الداخلية المتمثلة في التناحر بين القبائل وطلاّبِ السلطةِ والحكم.

وقد كان تأثير هذه الحياةِ على بحرقٍ كبيرًا في صغره وعند عوْدتِهِ إلى حضرموت من رحلاته. ولنا أن نلمس ذلك الازدهار في بعضِ جوانب تلك الحياة وأهمها:

١- مراكزُ العلم وموادُّه:

وكانت أهمّ مراكز العِلم في حضْرموت تريم وشبام وسَيْئُون والهَجَرَيْن والشِحْر وغيْل باوزيْر ودَوْعن وعَمْد وقَيْدُون والغُرْفة والحَوْطة [١]، وفيْ هذه المدن والقرى مشايخ منقطعون للتدريس ونشر العلم يعقدون حلقات الدرس في المسَاجد والأربطة [٢].

وأَمَّا الموادُّ العلميَّة التي يدرِّسها المشايخ فهي التفسير والحديث والأصوْل والفقه والتصوّف والفرائض والحسَاب والفلَك وعلوْم العربيَّة [٣]. والمصادر المعتمدة في تدريس تلك المواد كما يأتي:

في التفسير تفسيرا البَغويّ والبيْضاويّ وفي الحديث صحيحا البخاريّ ومسْلم والسُنَن والأربعوْن ومنظومة البرْماويّ، وفيْ الفقهِ الإرشاد والإمْداد وفتح الجوَاد والمنهاج وشروحه والتنبيه والمهذّب والوسيط والوجيز والمنهج، وفي التصوُّفِ إحيْاء علوم الدين لأبيْ حامد الغَزاليّ، وقوتُ القلوب لأبيْ طالب المكّيّ، وفي أصْول الحديث وعلله الصحاح وعمْدة ابْن

(١) ينظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي لسعيد باوزير ص ٨٩.
(٢) ينظر: المرجع السابق.
(٣) ينظر: المرجع السابق ص٩٠.

النقيب وألفية العراقي، وفي علوم العربيّة كُتُب ابْن جنّي وملحة الإعراب للحريري وألفية ابن مالك والآجرّومية والقَطْرِ لابن هشام وغيرها [1].

وكَانَ حفظُ المتونِ والرسَائلِ الصغيرة والمنظومات لازمًا على الطالب.

٢- الرحْلات الخارجيَّة:

اعتاد رجالُ العلم وطلاَّبُه في حضرموت السفرَ إلى خارج حضرمَوْت للدراسة وتَحصيْل العلم ولقاء العلماء، وكان أكثر هذه الرحلات في المدن اليمنية إلى زبيْد وتعز وعدن، وفي خارج اليمن إلى مكة والمدينة وظفار والهند وبلدان السَواحل الأفريقية وبلاد الشام ومِصْر [2].

وفي هذه الرحْلات يلتقي طلاّب العلم بالمشايخ والعلماء فيأخذون عنهم العلوم، ولا يرجعون إلاَّ وقد أُجيْزوا من شيوخهم في التدريس والإفتاء والأخْذ عنهم. كما كانَتْ تقام في هذه الرحلات المناظرات العلميَّة، وفيها لا يكتفي طلاَّب العلم إلاَّ بالأخْذِ عن جمْعٍ غفير من العلماء.

٣- أهداف التَّعليم:

إنَّ غايةَ كُلِّ عالمٍ ومُتَعَلِّم عبادةُ الله عزَّ وجلّ على بصيرة، وتزكية النفس وتهذيبها والتحلِّي بالخلق الحسَن فضلًا عن الإقبال على نفع النَّاس وذلك من خلال وَعْظِهِم وإرشادهم وتعليمهم أحكام الشريعة.

٤- النتاج العلميّ:

لعلماء حضْرمَوْت نتاجٌ علميٌّ يتمثَّلُ في تلك الفتاوى التي يحرِّرونها معتمدين في تحريرها للناس على أقوال أئمة الشافعيَّة المنصوْص عليْها في كتبهم المعتمدة. وكانَتْ هذه الفتاوى تتعلّق بعبَادات الناس والحقوق والمعَاملات، وكانَتْ تختلف قوةً وضعفًا باختلاف محرِّريها [3]. وربّما تعارضَت الفتاوى في حَادثةٍ واحدةٍ تبعًا لاختلافِ اجتهادهم أو تفاوتهم في

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص٩١، ونشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن لهادي عطية ص ٢٣٠-٢٦١.

(٣) ينظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص ٩٣.

فَهْم المَسْألَةِ المُجَاب عنها، ولذلك كانَ كلُّ واحدٍ يدافعُ عن رأيِهِ الاجتِهادي ويؤلِّفُ رسائِل في الردِّ على المخالف [١]، وكانَتْ هذه الفتاوى تُجْمَعُ في كتب لتصبح مَصْدَرًا للنَّاس عنْد حدوثِ مُشْكلة مشابهة لها، وكانَ القائمون على جَمْعها - تلاميذُ المُفْتيْن - يَضمُّون بعضها إلى بَعْض حاملةً اسمَ محرِّرها [٢].

وزيَادةً على ذلك الضمِّ ما يقوم به التلاميْذ مِنْ تدويْن أَحَاديثِ مشايخهم ودروسهم العلمية والأدبيَّة والتاريخيَّة والوعظية والفقهيَّة وغيرها في مَجالسهم الخَاصة والعَامَّة، فيُجْمَعُ ذلك كلُّه في كتابٍ يُطْلَقُ عليْه اسمُ (المجموع) وهُوَ أشبه ما يكون بالأمَالي [٣].

ولم يَكُ نتاجُ علماء حضْرموت محصوْرًا في تلك الفَتاوى والأمَالي بل تعدَّى إلى التأليف في التاريخ والسِيَر والتراجم وفي الفقه وعلوم العربيَّة والتصوّف والحسَاب والطبّ والفَلَك وغيرها، إلى جَانب نتاجهم الأدبيّ في الشِّعْر والخطب والمراسلات، وكذا شعر النظم التعليمي الذي تنظم به القواعد الفقهية والأحكام وغيْرها لتكون سهلةً على الطالب في حفظها وفهمها [٤].

٥- التعْليم وطرائقه:

ولم يكن للتعليم في حضْرموت في عهْد بحْرق ولا مِنْ قبله مراحل معروفة أو زمن محدَّد كما هو الحالُ عليهِ في زمننا هذا، بلْ كانَ الأمر قائمًا على العادات والطرائق الموروثة والتقاليْد المعروفة في مَجالس العلم والعلماء. كما لا يُشْتَرَطُ عُمْرٌ مُحَدَّدٌ، والدرُوسُ تُلْقَى في الغالب بعد الصلوات المكتوبة [٥].

وطريقة التعليْم السَائدةُ هي أنْ يجتمع الطلاَّب أمَام شيخهم صفًّا أوْ حلقة، ويحمل كلّ طالبٍ نسخةً مِنَ الكتاب المختار للشرح والدراسة، فيقرأ الطالبُ الذي يُعْهَدُ إليه بالقراءةِ فيبدأ بالافتتاحية ثمَّ يقرأُ جملةً والطلاَّب الآخرون مُلْزَمُون بالمتابعة، حتَّى يقطع الشيخ

(١) ينظر: المرجع السابق.
(٢) ينظر: المرجع السابق ص ٩٤.
(٣) ينظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص ٩٤.
(٤) ينظر: المرجع السابق.
(٥) ينظر: المرجع السابق ص ٩٥.

قراءة الطالب شارحًا وموضحًا غوامضَ الجُمَل والعبارات، ومبيِّنًا أوْجُهَ الخلاف فيْ المسَائل الخلافيةِ الاجتهاديّة، ومرجّحًا ما اعتمده أئمَةُ مذهبه في تحرير تلك المَسائل [1]. كما لا يحدّ حلقة الدرْس زمنٌ بعينه وإنّما قد تزيد وقد تنقص حَسْبَ مقامِ الشرحِ طولًا وقُصْراً.

وبعْدما يُنْتَهَى مِنْ شرْح هذا الكتابِ يمنحُ الشيخُ طُلَّابَه إجازةً علميَّة يذكرُ فيها العلُومَ التي أخذَها عنْه الطلَّابُ والكتب التي قرأوها عليْه، مشيرًا في إجازته إلى سندِهِ إلى شيوخه الذين تلقّى عنهم ليصلَ بِهِ إلى طلّابه؛ ليكونَ سندًا متّصلًا، مُذيِّلًا الشيخُ إجازتَه بالثناءِ على طلّابه، موصيًا لهم بتقوى الله، وبالحرصِ على نشرِ هذا الإرثِ [2].

٦- الكتب والمكتبات:

كانتِ الكتبُ العلميةُ بمختلف أنواعها موجودةً في حضْرموت بشَكلٍ لافتٍ للنظر وداعٍ للإعجاب، ومثبتٍ حِرْصَ أهل حضْرموت على توفير وسَائل العلم. وكانَتْ بيوتات الحضْرميِّيْن المشهُورة بالعْلم توفِّرُ في مكتباتها جملةً مصادر العلم والمعْرفة [3]. وأمَّا مكتباتُ وأسوَاقُ بيْع الكتب فكانَتْ موجودة هي الأخرى، غيرَ أنَّ قيمة الكتابِ فيها عالية، ولحاجةِ المتعلِّمين والناس عامَّةً إلى الكتاب وُجِد في حضْرموت النسَّاخون والخطَّاطون الذيْن يعمَدُون إلى نسْخِ الكتاب بأيديهم فيقلّ ثمنه فيشتريه الناس، وإلى جانب مهنة الخط ظهرَتْ مهنة التجليد متزامنةً مع نسْخ الكتاب ليَسْهُل حفظه [4].

٧- الثَّقافة العَامَّة:

وهي التي يشْترك فيها جميع الناسِ طلاَّبُ العلم وغيرُهم، وهي تلك الدروس التي توضّح المتحتّمات والواجبات التي تجب معرفتها على كلِّ مُسْلم ومسْلمة، وتُتَلَقّى في المسَاجد [5].

---

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) ينظر: الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص ٩٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق ص ٩٧.

(٤) ينظر: المرجع السابق ص ٩٨.

(٥) ينظر: المرجع السابق.

المبحث الأول: حَيَاة بحرق

اسمه:

محمَّد بْنُ عُمَرَ بْنِ الـمُبَارَكِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عليٍّ الحِمْيَرِيُّ الحَضْرَمِيُّ الشَّافِعِيُّ(١).

نَسَبُه:

فأمَّا الحِمْيريُّ: فنسبةٌ إلى حِمْيَر، وهيَ أصْلٌ مِنْ أصُولِ القبائل، نَزَلَتْ أقْصَى اليَمَن، وهي القبيلُ الذي يُنْسَبُ إليهِ الحِمْيَريُّون مِنَ اليمن(٢). وقيل هي بطنٌ عظيْمٌ مِنَ القَحْطانِيَّةِ، يُنْسَبُ إلى حِمْيَرَ بْنِ سَبأ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَعْرُبَ بْنِ قحْطَان(٣).

وأمَّا الحَضْرمِيُّ: فهي نِسْبَةٌ إلى حضْرمَوْتَ، وهيَ أقصى اليمنِ(٤).

وأمَّا الشَّافِعِيُّ: فنسبةٌ إلى الإمَامِ الشَّافعيِّ أبيْ عبْدِ اللهِ محمَّدِ بْنِ إدريس، أحد الأئمَّةِ الأرْبَعَةِ المشهورين، وُلِدَ بِغَزَّة من بلاد فِلسطين بنواحي بَيْتِ المقْدِسِ سنة خمسين ومَائة، وتُوُفِّيَ بِمِصْرَ سَنَةَ أَرْبَعٍ ومائتين(٥).

وقد جاءَتْ هذهِ النِسْبَةُ لسيادةِ الـمَذْهَبِ الشافعيِّ على غَيْرِهِ من المذاهب في حضْرمَوت،

(١) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرْن التاسع للسخاوي ٨/ ٢٥٣، والنور السَّافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروس ص١٣٣، وشذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب لابْن العماد الحنبلي ٨/ ١٧٦، وهدية العَارفين ٢/ ٢٣٠، وإيضاح المكنون في ذيل كشف الظنون ١/ ٧٦ وكلاهما لإسماعيل باشا البغدادي، ونزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي اللكنوي ٤/ ٣٠٦، والأعلام للزركلي ٧/ ٢٠٧، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحّالة ١١/ ٨٩، تاريخ الشعراء الحضْرميّين للسقاف ١/ ٤٢، والفكر والثقافة في التاريخ الحضْرمي ص١٤٥ وصفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٢ وكلاهما لسعيْد عوض باوزير، والجامع لبامطرف ٤/ ٢١، ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن للحبشي ص ١٣٥، وأعلام العرب في العلوم والفنون لعبد الصاحب الدجيلي ٣/ ٣٢، وعلماء العرب في شبه القارة الهندية ليونس السامرَّائي ص٣٦٤، غير أنَّ اسماعيل باشا البغدادي قد تفرَّد من بين مَنْ ترجم لبحرق فذكر اسم بحرق أبيه وجدّه فقال: هو محمَّد بْن محمَّد بْن عمر. والصواب ما أثبتناه في المتن.

(٢) ينظر: الأنساب للسمعاني ٤/ ٢٦٤، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزري ١/ ٣٩٣.

(٣) ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة لعمر رضا كحالة ١/ ٣٠٥.

(٤) ينظر: الأنساب ٤/ ١٨٠، واللباب في تهذيب الأنساب ١/ ٣٧٠.

(٥) ينظر: المصدران السابقان ٨/ ٢١،٢٠، ٢/ ١٧٦،١٧٥.

وتفقُّهِ كثيرٍ منْ علماءِ حضرمَوْتَ به؛ فقدْ ظَهَرَ هذا المذهبُ في أوائل القرنِ الرَّابعِ الهِجْريّ[1]، وتمذهُبِ بحرق بهذا المذهبِ الفقهيّ.

لقبه:

وقد اشتهر بلقبٍ وهو (بَحْرَقٌ) [2]، ذكره كلُّ مَنْ ترجم له فصار عَلَمًا عليْه.

كما لُقِّبَ بحرقٌ بـ(جَمال الدِّين)[3]، لفقهه في الدِّينِ وعلمه به؛ إذْ درجَ مِثْلُ هذا اللقب وغيره كـ(شمس الدين) و (ناصر الدّين) على ألسنة النَّاسِ يُلَقَّبُ بها مَنْ حاز العلم في الدّين ونصرته.

مسقط رأسه:

وُلِدَ بَحْرق في مدِيْنةِ سيئون [4]، كُبْرَى مُدُنِ وادي حضْرموت.

وأمّا ما ذكره المؤرّخُ بامَطْرَف في جَامعِهِ [5] أنَّ بحرقًا وُلِدَ في مدينة الشِّحْر، فوَهْمٌ مِنْه لشُهْرَته العلميَّة في هذه المدينة وتولِّيْهِ قضاءها ومكثِهِ رَدْحًا منَ الزَّمَن فيها.

مولده:

وكانَ مَوْلِدُهُ في لَيْلَةِ النِّصفِ مِنْ شعبان سَنَةَ تِسْعٍ وستِّيْنَ وثمانمائة للهجرة، وعلى ذلك أجمعَ مَنْ ترجمَ له [6].

أسرته:

لقدْ ضنَّت المصادرُ بذكرِ ما يتعلّقُ بأسرةِ بحرق - أعني والدَيْه -، غير ما تذكُرُهُ هذه المصادر من حرصِهَا على تنشئة ابنها صاحب الترجمة تنشئة علميّة دينيّة.

ويغلبُ على الظنِّ أنَّ والدَيْ بحرق قدْ عاشَا في مرحلةِ بنائهِ العلميّ الأولى[7]، وهذا

---

(١) ينظر: مشاركة فقهاء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي لعمر الجيلاني ص ٦.

(٢) ينظر: تاج العروس للزبيدي ٢٥/ ٣٣.

(٣) ذكره أيضـًا كلُّ مَنْ ترجم له.

(٤) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢١، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص ١٤٥ وغيرهما.

(٥) ينظر: الجامع لبامطرف ٤/ ٢٢،٢١.

(٦) ينظر: الضوء اللامع ٤/ ٢٥٣، والنور السافر ص١٣٥، وشذرات الذهب ٨/ ١٧٦، ونزهة الخواطر ٤/ ٣٠٦، والأعلام ٧/ ٢٠٧، ومعجم اللمؤلفين ١١/ ٨٩، وتاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٢، وصفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٢.

(٧) غيرَ ذكر عابر لأمِّ بحرق من أنها كانت جاريةً من جواري الشيخ عبدالله العيدروس، ينظر النور السافر ص ١٣٩.

إنَّ صحَّ فيُمْكن جعله داعيًا من دواعي الرحلة، وسببًا من أسباب الإقامة في غيل باوزير ثُمَّ الشحر ثُمَّ عدن ثمَّ مكة ثمَّ زبيد، وعدم العودةِ إلى مسقط رأسه؛ إذْ ماتَ بالهند كَما سيأتي لاحقًا.

وقد تزوَّجَ بحرق في زبيد في أثناء إقامته فيْها طالبًا للعلم ليؤسِّسَ أسرتَه، فأولَدَتْ لهُ زوجُهُ ولدَيْنِ، ثمّ ماتتْ زوجتُهُ، ثمَّ مات ولدَاهُ بعدَ ذلك[1].

نشأته وطلبه للعلم:

لقد كانت بيئة بحرق بيئةً مُحافِظةً؛ إذ كانت تهتمُّ بنشأة جِيْلها نشأةً حسنةً منذ نعومة أظفارهم وتربِّيْهم تربيةً دينيةً منذ الصِّغَر، وقد حَظِيَ بحرق من ذلك بنصيبٍ وافرٍ؛ إذْ حفِظ القرآنَ في صغره.

ولـمَّا نَمَتْ مداركه غاصَ في الفقه وأصوْله واللغة وقواعدها وآدابها، زيادةً على إلمامه بكثير من العلوم الأخرى كالحديث والعقيدة والسيرة والحسَاب والطبِّ والفلك[2]، فكان بِذا موسوعةً علميَّةً في عصْره.

رحلاته:

كانَ الترحُّلُ طلبًا للعلم مِنْ دأبِ العلماء النابغين، وكان بحرق واحدًا من الذين رحلوا طلبًا للعلم ورغبةً في تحصيله، وكانَتْ أولى رحلاته إلى غيْل باوزيْر؛ فقد أخذ بها الفقه وشيئًا من طرائق الصوفية، وكانتْ رحلته الثانية إلى عدن فأخذ عن علمائها الفقه والأصول وعلوم العربية والتاريخ، وكانت ثالث رحلاته إلى زبيد كعبة العلم حينذاك وقد أخذ عن علمائها الحديث والتفسير والأصول والنحو وكذا التصوّف.

وغادر بحرق البلاد اليمنية متوجِّهًا إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وسمع من كبار علمائها كالسخاويّ الذي أخذ عنه الحديث.

وهناك رحلات أخرى لبحرق غير ما ذُكِرَ في طلبه للعلم، وهي تلك الرحلات التي قام بها في مرحلةٍ متأخرةٍ من عمره والتي تمثل مرحلة ما بعد طلب العلم، وهي رحلات أربع: كانت الأولى منها إلى الشحر ليستقرَّ بها وينشر العلم الذي تعلَّمه زيادةً على تسلّمه منصبَ القضاء فيها، ولكنَّه لم يدمْ فيه لتدخُّل أمير الشحر الأمير مطران في شئون القضاء. ولـمَّا ترك القضاء

(١) ينظر: الضوء اللامع ٤/ ٢٥٣، النور السافر ص ١٣٧.
(٢) ينظر: المصدران السابقان ٤/ ٢٥٣، ص١٣٦.

ساءتْ به الأحوال فرحل إلى عدن وهي الرحلة الثانية فأقام بعدن مدَّةً تحت رعاية أميرها، مُقْبِلًا على نفع الناس فيها. ولـمَّا ماتَ أمير عدنَ اتصل بأصحابٍ لَه في الدَّكَن بالهند فرحلَ إليها في رحلته الثالثة وحظِيَ برعايةٍ خاصة من سلطان الدَّكَن السلطان مظفّر فأحبَّه لعلمه وانتفاعِ الناس به، فأكرمه وقرّبه. ومن أجل ذا حُسِد فأُذِيْعَت عنه الدَعاوى الكاذبة والأقاويل الباطلة فاضطرَّ إلى مغادرة الدَّكَن متوجِّهًا إلى كمباية بالهند أيضًا في رحلته الأخيرة وقد أكرمه أولو شأنِ البلاد ولكنّه حُسِد أيضـًا، ولكنَّه في هذه المرَّة لم يضطرَّ إلى ترك البلاد؛ إذْ ماتَ بها مسمومًا فقد سمَّهُ بعضُ حُسَّادِه.

هكذا كانت حياة بحرق في طلبه للعلم والتعليم، رحلات جاب من خلالها البلاد متنقلًا من بلد إلى بلد.

شيوخه:

إنَّ منْ سماتِ طالب العِلْمِ المعتبرة أخذَ العلم مِنْ مظانِّه الصحيحة، وأهمّ هذه المظَانِّ العلماء والشيوخ، وقد أخذَ صاحبُ هذه الترجمة العِلمَ عَنْ أكابرِ علماء عصْره، وهم:

١- باجرفيل [١] (٨٢٠هـ-٨٨٩هـ)

هو محمدْ بن أحمد باجرْفيل الدَّوْعني[٢]، وهو واحدٌ من فقهاء حضرموْت، ومنْ كبارِ المتصوّفة ومشايخ الطريقة وأعلام أئمة الحقيقة، أقام في غيْل باوزيْر وفيْها تُوُفِّيَ، وقد أخذَ بحرقٌ عنْه الفقْه والتصوّف.

٢- السَّخاويُّ [٣] (٨٣١هـ-٩٠٢هـ)

هو محمَّد بْنُ عبْد الرحمنِ بن شمس الدّينِ السخاويّ، مؤرّخٌ حُجَّة، وعالمٌ بالحديث والتفسير والأدب، أصلُهُ مِنْ سَخَا منْ قرى مِصْرَ، ومَوْلده بمصْر في القاهرةِ سنةَ إحدى وثلاثين وثمانمائة، ووفاته بالمدينة النبويَّة سنة اثنتيْن وتسعمائة.

---

(١) انظر ترجمته في: النور السافر ص ٢٣،٢٤، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٤٣-١٤٤.

(٢) هذه النسبة إلى (دَوْعن) وهو الوادي الكبير في حضرموت وعليه تشرع القرى والمدن وهو سلسلة من الجبال، ويُنْسَبُ إليه العسلُ الدوْعني المشهور.

(٣) تنظر ترجمته في: الضوء اللامع ٨/ ١-٣٢، والنور السافر ص ١٨-٢٣، وشذرات الذهب ٨/ ١٥-١٧، والكواكب السائرة ١/ ٥٣، والأعلام ٦/ ١٩٤، ومعجم المؤلفين ٩/ ١٥٠-١٥١.

وقدْ أخذَ بحرْقٌ عنْه الحديْث بمكَّة لـمَّا قصَد الحجازَ للحجِّ فيْ سنةِ أربعٍ وتسعين وثمانمائة.

وللسخاويّ مؤلفاتٌ عِدَّةٌ، أشهرها (الضوء اللامع في أعيَان القرْنِ التاسع) وهو كتاب تراجم في اثني عشْرَ جزءًا، و(شرْحُ ألفيةِ العراقي) في مصطلح الحديث، وله كتاب (المقاصد الحسنة) في الحديث وقد اختصرَه بحرقٌ كما سيأتي في آثاره.

٣- بامخرمة [١] **(٨٣٢هـ-٩٠٣هـ)**

هو أبو الطيّب عبد الله [٢] بْن أحمد بن عليّ بن أحمد بن إبراهيم بامخرمة الحميريُّ السَيْبانيُّ [٣] الهَجَرانيُّ [٤] الحضرميُّ العَدَنيُّ [٥] الشافعِيُّ.

وُلِد ليلة الأربعاء لثماني عشرة ليلةً خَلَتْ منْ شهر رجب سنة اثنتَيْن وثلاثين وثمانمائة.

حفظ القرآنَ وتفقّه ورحلَ إلى الحجاز للحجّ، وعاد إلى عدنَ فتعلَّم وتفقَّه وقرأ في الحديثِ والتفسيرِ على شيْخيهِ محمَّد باشكيل ومحمَّد باحميش.

وكان بامخرمة قد تولّى قضاءَ عدن مدَّةً لم تَطُلْ؛ إذ اعتزله راغبًا عنه بنفسه.

له مؤلفات عدَّة منها: فتاوى مرتبة على أبواب الفقه. وتعليقات على جامع المختصرات، وله نكتٌ على ألفية ابن مالك، وشرْحٌ على ملحةِ الإعراب للحريري.

وقد أخذَ بحرقٌ عنه الفقهَ والأصوْل وعلوْم العربية والتاريخ.

---

(١) تنظر ترجمته بتفصيل في: الضوء اللامع٥/ ٨،٩، والنور السافر ص ٣٠-٣٦، وشذرات الذهب ٨/ ٢٠،٢١، وهدية العارفين ١/ ٤٧١، وإيضاح المكنون ٢/ ٤٩٣، ٥٥٢، ومعجم المؤلفين ٦٦/ ٢٨، والفكر والثقافة ص ١٣٨.

(٢) وَهِمَ ابْنُ العماد الحنبلي في شذراته ٨/ ٢٠ في ذكر اسم بامخرمة إذ قال: (هو عبدالرحمن).

(٣) هذه النسبة إلى سَيْبان، وهو بطن من بطون حمير من القحطانية، وهم بنو سيبان بن الغَوث. ينظر: الأنساب ٧/ ٢١٤، واللباب في تهذيب الأنساب ٢/ ١٦٣،١٦٤، ومعجم القبائل القديمة والحديثة ٢/ ٥٦٩، وتاريخ حضرموت السياسي ٢/ ١٠١.

(٤) هذه النسبة إلى الهَجَرَيْن (تثنية هجر) وهما مدينتان متقابلتان في رأس جبل بحضرموت حصين، يطلع إليه في منعةٍ من كل جانب.

(٥) العَدَنيُّ: بالتحريك، هذه النسبة إلى عَدَنَ الممتدَّةَ على ساحل بحر الهند، بينها وبين صنعاء ستون فرسخًا. ينظر: الأنساب ٩/ ٢٤٩، واللباب في تهذيب الأنساب ٢/ ٣٢٨، ومعجم البلدان ٤/ ٨٩، مراصد الاطّلاع ٢/ ٩٢٣.

٤- بافضل[١] (٨٤٠هـ-٩٠٣هـ)

هو جمال الدِّيْن محمد بْن أحمد بْن عبْدالله بْن محمد الشهير بابْن علي بافضْل السعدي[٢] الحضرمي ثُمَّ العَدنيّ، كان عالمًا عاملاً وَرِعًا، ولد بحضرموت في مدينة تريْم سنة أربعين وثمانمائة.

رحل إلى عدن آخذًا العلمَ عن باشكيل وباحميش، وقد جدَّ في الطلب ودأب حتَّى برع في العلوم ونُصِّبَ للتدريس والفتوى.

تُوُفِّيَ في عدن في النِّصْفِ من شوَّال سنة ثلاثٍ وتسعمائة.

وقد أخذ عنه بحرق الفقه والحديث وعلوم العربيَّة.

٥- الأهدل[٣] (٨٠٥هـ-٩٠٣هـ)

هو بدر الدين الحسين بن الصدّيق بن الحسين بن عبْد الرحمن الأهْدل، صاحب عدن، وُلِد سنةَ خمْسٍ وثمانمائة، واشتغل في الفقه والنحو والأدب، وانتقل إلى بلاد المراوعة بالقرب من زبيد وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى زبيد وأخذَ التصوّف عن علمائها، ثم عاد إلى عدن واستقرَّ فيها إلى أنْ توفي بها سنة ثلاثٍ وتسعمائة. وقد أخذ بحرق عنه الفقه والنحو والتصوّف.

٦- العيْدروس[٤] (٨٥١هـ-٩١٤هـ)

هو أبو بكر بنُ عبْد الله العيْدروس، ولد بمدينة تريم في حضرموت سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، وأقام فيْ عدن، ويُعَدُّ واحدًا منْ كبار متصوّفة اليَمن. أخذَ العلم عن محمد بن أحمد بافضل في عدن.

---

(١) انظر ترجمته بتفصيل في: الضوء اللامع٧/ ١٤، والنور السافر ص٢٤-٢٧، وشذرات الذهب٨/ ١٩، وهدية العارفين ٢/ ٢٢٢، وإيضاح المكنون٢/ ٩٦،٦٨٣، ومعجم المؤلفين ٨،٢٨٣، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٤٢.

(٢) هذه النسبة إلى سَعْد، وهم بنو سَعْد العشيرة حي من كهلان وهو سَعْد بن مالك، ينظر: الأنساب ٧/ ٨٢، واللباب في تهذيب الأنساب ٢/ ١١٧-١١٩، وشذرات الذهب ٨/ ١٩، ومعجم القبائل القديمة والحديثة٢/ ٥١٩.

(٣) تنظر ترجمته بتفصيل في النور السافر ص٢٨،٢٧، والأعلام ٢/ ٢٤٠.

(٤) تنظر ترجمته في: النور السافر ص ٧٧-٨٣، وشذرات الذهب ٨/ ٦٢،٦٣، وإيضاح المكنون ١/ ٣٦٢،٣٦١، والكواكب السائرة ١/ ١١٣، ١١٤.

وقصد زبيدًا فأكرمه الطاهريون، والتقى بالسخاويِّ في مكَّة، وتوفي سنة أربع عشرة وتسعمائة. وقد أخذ عنه بحْرقٌ التصوُّفَ.

٧- النَّاشِرِيّ [١] (٨٣٣هـ-٩٢٦هـ)

هو حمْزة بْن عبْد الله بْن محمّد الناشري أبو العباس اليمني الشافعيّ، ولد بزبيد سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ونشأ بها وأخذ الفقه والحديث عن أكابر علماء زبيد، والتقى بابْن حجر العسقلاني وأبي زكريا الأنصاري والسيوطي والسخاوي وأخذ عنهم وقد أجازوه بعد ما نبغ.

له من المؤلّفات (الأربعون التهليليّة)، ومسالك التحبير في مسائل الكبير)، و(انتهاز الفرص في الصيد والقنص)، و(البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر) وغيرها.

توفي في زبيد سنة ستٍّ وعشرين وتسعمائة. وأخذ عنْه بحرق الفقه والحديث وعلوم العربيَّة وقد صاهره بتزويجه ابنته كما مرَّ.

٨، ٩ - زين الدِّين محمد بن عبْد اللطيف الشرْجيُّ، وجمال الدِّين محمَّد بن الصدّيق الصانع (ت ٩٢٠هـ)

ذكرهما: العيدروس[٢] واللكنوي[٣]. وقد أخذ بحرقٌ عن الشرجيِّ علم الحديث، وعن الصانع علم الأصول والتفسير والحديث والنحو.

تلاميذ بحرق:

لم تذكر كتب التراجم مَنْ تتلمذ على بحْرقٍ وأخذَ عنه، غيرَ ماعرضَ له السقّاف في تاريخ الشعراء الحضرميِّين في شعر بحرقٍ في رثاء تلميذه أحمد بْن أبي بكر بْن عبْد الله العيْدروس، فقال: (شعره كثير...، من ذلك قوله يمدح تلميذه العَلاّمة السيّد أحمد بْن أبي بكر بن عبد الله العيدروس العلويّ المتوفَّى بعدن...)[٤] فلم يزد على ذلك شيئـًا. وهناك إشارات عابرة مُجْملة تشير إلى أنَّ بحرقًا قد قصده كثيرٌ مِنْ طلابِ العِلْمِ مِنَ البلاد اليمنيَّة[٥]. وأنَّه كانَ كريْمًا جوادًا محسنًا إلى طلاَّبه[٦].

---

(١) تنظر ترجمته في: الضوء اللامع ٣/ ١٦٤، ١٦٥، والنور السافر ص١٢٠-١٢٢، والأعلام ٢/ ٢٧٨، ومعجم المؤلفين ٤/ ٧٨.

(٢) ينظر النور السافر ص ١٣٥.

(٣) ينظر نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٦.

(٤) تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.

(٥) ينظر الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص ١٤٥.

(٦) ينظر النور السافر ص ١٣٦.

صفاته وخُلُقه:

أجمعَتْ كلمةُ مَنْ ترجمَ بحرقًا على قد اتصف بصفاتٍ حميدة مكَّنها في نفسه تديُّنه، وكان غايةً في الكرم مُحْسِنًا إلى غيره، كثير الإيثار، محبًا للخير، مفضالاً، جواداً، قويَّ النفس، مواظبًا على أفعال الخير، زاهدًا ورعـًا، صادعًا بالحقِّ، منصفًا ولو على نفسه، رجَّاعًا إلى الحق. فقد حُكِيَ أنه حدث مرَّةً خلافٌ بينه وبين الفقيه عبدالله بن محمد بن عبسين أحد كبار فقهاء مدينة الشحر، في مسألة فِقْهِيَّة وكثر فيها القيل والقال حتى بلغ الحديثُ الناسَ، فجاء ابْنُ عبسين بالنصوص الدالَّة على صحة ما ذهب إليه وعرضها على بحْرق فتبيَّن الأمر لبحرق فرجعَ عن قوله، وشكر لابن عبسين تحرّيه الحقَّ، ثم قصد بحرق الجامعَ فخطب في الناس شارحًا لهم موضوع الخلاف إلى أن قال: لقد وجدتُ الحقَّ معه وأشهدكم أنِّي رجعتُ عن قولي(١).

وفاته:

توفي بحرق بالهند في ولاية كمبَاية لِآخر عَشْرٍ من شهر شعبان سنة ثلاثين وتسعمائةٍ، باتِّفاقِ مُترجِميه. وقيل أنّه مات مسمومًا من بعض حسَّاده إذ حظيَ بمكانةٍ عند أولي شأن ولاية كمْبَاية بمدينة كجرات.

المبحث الثَّاني: آثارُه

وقد بدا للباحثِ ترتيبها على وفق ما يقتضيه البحث وبدأ بما للبحث له ههنا صلة.

أوَّلاً: في التاريخ والسير:

أ- تبْصرة الحضْرة الشَّاهيَّة الأحْمديَّة بسيْرة الحضْرة النبويَّة الأحْمَديَّة:

ذكره: العيدروس(٢) واللكنويّ(٣) والزركلي(٤) والسقاف(٥) وباوزير(٦) وبامطرف(٧) والحبشي(٨) ومحمد علي حمزة(٩).

(١) ينظر: النور السافر ص٤٤، والفكر والثقافة ١٤٤، وصفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٦.
(٢) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٣) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٦.
(٤) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٥) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٢.
(٦) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٣.
(٧) ينظر: الجامع ٤/ ٢١.
(٨) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٩٣.
(٩) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٧.

وذكر محمد علي حمزة أنَّه مفقود والصواب أنّه موجودٌ؛ إذْ طُبِعَ بعنوان (حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبيّ المختار صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه المصطفين الأخيار) في دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع في لبنان عام ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م بعناية محمّد غسّان نصوح عزقول. ووجدَ الباحث نسختين منها في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضْرموت بتريم، برقم (١٢٣٢) و (٣٠١٠).

ب- كتابُ عدَّة أهْلِ بدْر وشرحه:

ذكره: السقاف [(١)] وباوزيْر [(٢)] والحبشي [(٣)] ومحمد علي حمزة [(٤)].

وهو مفقود في حدود علم البَاحث.

ج- مَواهب القدّوس في مناقب أبْي بكر العيْدروس:

ذكره: العيْدروس[(٥)] وحاجي خليْفة [(٦)] والبغداديّ [(٧)] واللكنوي [(٨)] والسقاف [(٩)] وباوزير[(١٠)] وبامطرف [(١١)] والحبشي [(١٢)] ومحمد علي حمزة [(١٣)].

وقد خصَّ بحرقٌ مؤلَّفه هذا بِذكرِ مناقب شيخه أبي بكر بن عبْد الله العيْدروس (ت ٩١٤هـ) وصفاته.

وهذا الكتاب لم يطبع في حدود علم الباحث.

(١) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٢) ينظر: صفحات التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(٣) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٩٣.
(٤) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٧.
(٥) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.
(٦) ينظر: كشف الظنون ٢/ ١٨٤٣.
(٧) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣١.
(٨) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٦.
(٩) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(١٠) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(١١) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(١٢) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٤٧٧.
(١٣) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص١١.

وأمَّا نسخه المخطوطة، فقد ذكر الحبشي[١]، منها نسخةً خطيةً موجودةً في ضمن مجاميع الحبَشي في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضْرموت بتريم ولم يذكرْ رقمها واكتفى بذكر عدد أوراقها وأسطرها ٦٦ ×٢١س.

د- النبْذة المنتخبة مِنْ كتاب الأوائل للعسكري:

ذكره: العيْدروس[٢] واللكنوي[٣] ومحمد علي حمزة[٤]. وهذا الكتاب مفقود في حدود علم الباحث، وهو منتخبات انتخبها بحرقٌ مِنْ كتاب الأوائل للعسكري أبي هلال الحسين بْن عبد الله بن سهل (ت ٣٦٥هـ).

ثانيًا: في علوم العربيّة وآدابها:

أ- تحْفة الأحباب وطرفة الأصْحاب:

ذكرَهُ: العيْدروس[٥]، وابْنُ العِمَاد الحَنْبَلي[٦]، ومحمَّد إسماعيْل باشا[٧]، واللكنوي[٨]، والزركلي[٩]،وبَاوزيْر[١٠]،وبامطرف[١١]،والحبشي[١٢]،والدجيلي[١٣]،والهلالي[١٤]،ومحمد علي حمزة[١٥].

(١) ينظر: فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت ص١١١.
(٢) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٣) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٨.
(٤) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص١١.
(٥) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.
(٦) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٨.
(٧) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(٨) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٩.
(٩) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(١٠) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(١١) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(١٢) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليَمن ص٤٢٤.
(١٣) ينظر: أعلام العرب في العلوم والفنون ٣/ ٣٣.
(١٤) ينظر: نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن ص٢٨٠.
(١٥) ينظر: محمَّد بحرق وكتابه نشْر العلم ص١٠.

وتحْفة الأحْباب وطُرفة الأصْحاب شرحَ فيه بحرْقٌ ملْحةَ الإعْراب للحريْري (ت ٥١٦هـ).

وأمّا نسخ هذا الكتاب المطبوعة منها والمخطوطة، فقد وجد الباحث منَ المطبوعة اثنتين، إحداهما طُبعت في سنة ١٣١٩هـ بالمطبعة الميمنية في مصْر والأخرى طُبِعَت طبعة حديثةٌ في مطابع دار الفكر في لبنان لم يُكْتَب عليها سنةُ طبعِها.

وذكر الحبشي أنَّ هذا الكتاب قد طبع في مصْر طبعات عدَّةَ منها ما هو فيْ سنة ١٢٩٦هـ، ومنها ما هو في سنة ١٣٠٦هـ، ومنها ما هو في سنة ١٣٠٨هـ ثمَّ تكرّرتْ طبْعاتها. ولعلَّ ما ذكره الحبشي عن طبْعات هَذا الكتاب وتكرارها يفسِّره بوضوح ما ذكره محمَّد عيْسى صالحيَّة[١]؛ إذْ ذكرَ أربعَ طبعات وهي:

١- طبعة القاهرة، المطبعة الوهبيّة، ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م وأخرى في ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م.

٢- طبعة القاهرة، مطبعة عثمان عبْد الرزّاق ١٣٠٦هـ/ ١٨٩٠ في ٥٢ صفحة.

٣- طبعة القاهرة، المطبعة الخيْريّة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١ في ٧٢صفحة.

٤- طبعة القاهرة، المطبعة الميمنية ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م في ٤٨ صفحة.

وأمّا عن نسخ شرْح الملحة المخطوْطة، فقد وقف الباحث على الموجود في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضرموت بمدينة تريْم وهي ذات الأرقام: (٢٨٨٨)، (٣٠٨٧)، (٣١١٨).

وذكرَ الرقيحي وعبْدالله الحبشي وعلي وهّاب آنسيّ[٢] وجود تسعِ نسخٍ مخطوطةٍ في المكتبة العامة بالجَامع الكبيْر بصنعاء هي ذات الأرقام: (١٧٢٣) و (١٧٢٤) و(١٧٢٥) و (١٧٢٦) و (١٧٢٨) و (١٧٢٩) و (١٧٣٠) و (١٨١٧) و (١٨١٨).

وأخرْى في ضمن مخطوطات جَامعة أمِّ القرى برقم (٣٤١/ ١)[٣].

---

(١) المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ١/ ١٤٨.

(٢) ينظر: فهرس مخطوطات مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ٣/ ١٤٥٢-١٤٥٥.

(٣) ينظر: فهرس مخطوطات جامعة أمّ القرى ١/ ٢٧٢.

ب- فتْح الأقْفَال وحَلُّ الإشْكال:

ذكره: العيدروْس[(١)]، وابْن العِمَاد الحَنْبليّ[(٢)]، وحاجي خليفة[(٣)]، والبغْدادي[(٤)]، والزركلي[(٥)]، وباوزيْر[(٦)]، والحبشي[(٧)]، والدجيْلي[(٨)]، ومحمَّد كامل بركات[(٩)]، ومحمَّد علي حمزة[(١٠)].

وهذا الكتابُ هو شرحٌ على لاميَّةِ الأفْعَال لابْن مالك (ت٦٧٢هـ) وهو المسمَّى بالشرْحِ الكبيْر.

وقدِ انماز هَذا الشرْحُ من الشرْح الصَّغيرْ بكثْرةِ إيْراد الأمثلة والمواد للأبنية المختلفة والتنبيْه على معَاني الألفاظ، وذكرِ الفوائد والتتمَّات والتنبيْهات.

وأمَّا نسخ هذا الكتاب المطبوعة منْها والمخطوطة، فقد وجدَ الباحثُ منها نسختين مطبوْعتين، إحداهما فيْ مصْر بمطابع مصْطفى البابي في سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م وهي الطبْعة الثانية حسبما ذكر على غلاف النسخة، والأخرى من مطبوعات جامعة الكويت عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م بتحقيق الدكتور مصطفى النحّاس.

وأمَّا عن نسخه المخطوطة، فقد وجدَ الباحث نسختين اثنتين منها في مكتبة الأحقاف بمدينة تريْم في حضرموت رقماها (٢٥٦٤) و (٣٠٩٠).

وذكر الحبشي[(١١)] نسْخة واحدة مخطوطة فيْ صنعاء بالجامع الكبيرْ في المكتبة الغربية أشار إليها بـ(في جامع غربية ٣٧).

---

(١) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.
(٢) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٨.
(٣) ينظر: كشف الظنون ٢/ ١٥٣٦.
(٤) ينظر: هدية العارفين٢/ ٢٣١، وقد ذكره باسم: (فتح الأقفال وضرب الأمثال).
(٥) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٦) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٤.
(٧) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٤٢٥.
(٨) ينظر: أعلام العرب في العلوم والفنون ٣/ ٣٣.
(٩) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابْن مالك، مقدّمة التحقيق ص٣٠.
(١٠) ينظر: محمّد بحرق وكتاب نشر العلم ص١٠.
(١١) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٤٢٤.

وذكرَ أسامة النقشبندي [١] نسخةً مخطوطة توجد فيْ دار صدام للمخطوْطات فيْ بغْداد وهي ذات الرقم (١٣٣٦).

وذكر محمَّد كامل بركات [٢] نسختين مخطوطتين برقم (١٨٣) ورقم (٢٤٠) في ضمن مجاميْع دار الكتب العلمية في مصْر، وستًّا أُخر بالأرقام: (١٢٢) و(٢٦٥) و(٢٨٣) و(٢٨٤) و(٢٨٥) و(٩٠٣) في ضمن مجاميْع مكتبة الأزهر.

وأما محمَّد حَجِّي فقد ذكر [٣] نسخة واحدة مخطوطة في ضمن مجاميع الخزانة العلمية الصبيحيَّة بسَلا في المملكة المغربيّة.

وذكر عليٌّ أبو حسين [٤] نسخة واحدة مخطوطة في ضمن مجاميع مخطوطات دوْلة البَحْرَيْن برقم (٣١٩).

وذكَر الهلالي تحْت عنْوان (فتح الأقفال في شرْح أبنية الأفعال) ((لمحمَّد بْن عمر بحرق المتوفَّى سنة (٩٣٠هـ)، ويُظَنُّ أنّه غيْر شرْح القصيْدة اللامية المسمّاة بلاميَّة الأفعال في علم الصَرْف للإمام جمال الدّين محمَّد بْن عبْد الله بْن مالك)) [٥]. ولعلَّ ذلك وَهْمٌ حصَل له لعدم وقوفه عَلى هَذا الشرْح، ووقوفه على الشرح الصغير المسمَّى شرْح أبنية الأفعال على لامية الأفعال وعليْه حاشية أحمد الرفاعي.

وذكر محمَّد علي حمزة [٦] هذا الشرْح باسْم (فتح الأقفال وضرْب الأمثال) متابعًا في ذلك البغدادي [٧]، ولعلَّ الصَواب ما أثبته البحثُ باسم (فتح الأقفال وحلّ الإشكال بشرح لاميّة الأفعال) على وفقِ ما أثبت على غلاف طبعة الكتاب نفسه، وتقريبًا لعبارة المؤلف: ((...فوفقني الله وله الحمد أنْ شرحْتُ القصيْدة اللامية....فضبطت ألفاظها وفتحتُ مقفلها، وحلّلتُ مشكلها...)) [٨].

---

(١) ينظر: المخطوطات اللغوية في دار صدام للمخطوطات ص٤٩.

(٢) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك، مقدّمة التحقيق ص٣٠.

(٣) ينظر: فهرس الخزانة العلمية الصبيحية ص٣٦٢.

(٤) ينظر: فهرس مخطوطات البحرين ١/ ٢١٣.

(٥) نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن ص ٣٢٤.

(٦) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص١٠.

(٧) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣١.

(٨) فتح الأقفال وحلّ الإشكال بشرح لامية الأفعال ص٢.

ج- شرح أبنية الأفعال عَلى لاميَّة الأفْعال:

ذكره العيْدروس[١]، وابْن العماد الحنْبلي[٢]، وحاجي خليفة[٣]، والزركلي[٤]، وباوزيْر[٥]، وبركات[٦].

وهذا الشرح هو الصغيرْ على لامية الأفعال لابْن مالك وينماز الصغيرْ من الكبير أنه لم يستوفِ كُلَّ مواد الشرح الكبير وأمثلتها.

وأمَّا عَنْ طبعاتِ هَذا الشرح ونسخه المخطوطة، فقد طبع طبعات متعددة، ولمْ يعرف البَاحث منها إلاَّ ثلاثـًا، فالأوْلى طبعت سنة ١٣٠٦هـ بالمطبعة الميمنية في مصْر وعليْها حاشية أحمد الرفاعي والثانية بالحاشية نفسها طُبِعَتْ بدار الآفاق الجديْدة في بيروت سنة ١٩٨١م بتحقيق لجنة إحيَاء التراث العربيّ، والطبعَة الثالثة طبعت في مصر وعليها حاشية الطالب بن حمدون بْن الحَاج، وقد طبعت بدار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي وشركاه،لم يكتب عليها سنة الطبع.

وأمَّا نسخ هذا الشرح المخطوطة فكثيرة، وقفَ الباحث على اثنتين منها مرقمتين برقم (٧١) و (٢٦٦٩) في ضمن مجاميع مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضْرموت بمدينة تريْم. ومنها النسخة التي ذكرها بركات[٧] في ضمن مجاميْع دار الكتب بمصْر ذات الرقم (٣٦). ومنها أيضًا ما ذكره محمد حجَّي[٨] في ضمن مجاميْع الخزانة العلميَّة الصبيحية بسلا في المملكة المغربية. ومنها أيضًا ما ذكره عبد الحفيظ منصور[٩] في ضمن مخطوطات خزانة جامع الزيتونة بتونس ذات الرقم (٣٩٦٤).

---

(١) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.
(٢) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.
(٣) ينظر: كشف الظنون ٢/ ١٥٣٦.
(٤) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٥) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(٦) ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، مقدمة التحقيق ص٣٠.
(٧) ينظرالمرجع السابق
(٨) ينظر: فهرسة الخزانة العلمية الصبحية بسلا ص ٣٦٢.
(٩) ينظر: فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونة) ص٣٤٧.

د- أرجوْزة في مَعاني الحروف:

ذكرها: الزركلي[١]، وباوزيْر[٢]، وبامطرف[٣]، والحبشي[٤]، والهلالي[٥]، ومحمد علي حمزة[٦]، وهذا المؤلف عبارة عن نَظْمٍ نحْويٍّ في معاني الحروْف.

هـ-فتح الرؤوْف في مَعاني الحروْف وما في معناهَا من الأسماء والظروف:

ذكره: الزركلي[٧]، وباوزيْر[٨]، وبامطرف[٩]، والحبشي[١٠]، والهلالي[١١]، ومحمد علي حمزة[١٢]. وهذا الكتاب هو شرحٌ للأرجوْزة التي نظمها بحرق في مَعانِيْ الحروْف.

توجد منه نسخة مخطوطة ذكرَهَا كلٌّ مِنْ: أحمد عبد الرزّاق الرقيحي وعبدالله الحبشي وعلي وهّاب آنسي[١٣]، في ضمن مجاميْع مكتبة الجامع الكبيْر في صنْعاء برقم (١٧٩٢).

وقد حقّق الكتابَ الباحثُ عبدالحافظ بن حسن بن عبدالله باطاهر لنيل درجة الماجستير في جامعة حضرموت عام ١٤٣٠ - ٢٠٠٩م.

و- خطْبة بحرْق فيْ النحْو:

ذكره: الحبشي[١٤]، والهلالي[١٥].

---

(١) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٢) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(٣) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(٤) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٤٢٤.
(٥) ينظر: نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن ص ٣٠٨.
(٦) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٩.
(٧) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٨) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(٩) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(١٠) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٤٢٤.
(١١) ينظر: نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن وتطورها ص ٣١٥.
(١٢) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٩.
(١٣) ينظر: فهرست مخطوطات مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ٣/ ١٤٨٧.
(١٤) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٣٩٣.
(١٥) ينظر: نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن وتطورها ص ٣١٣.

وقد ذكرا أنَّ عليها شرحًا لعبْد الكريْم بْن عَبْد الله أبو طالب (ت١٣٠٩هـ). وهذه الخطبة وشرحها من آثار بحرق المفقودة في حدود علم الباحث

ز- البهْجة في تقويْم اللهْجة:

ذكره: عبْدالله السقّاف [١]، وباوزير [٢]، والحبَشي [٣]، والهلالي [٤]، ومحمَّد علي حمزة[٥].

وهذا الكتابُ مفقودٌ في حدود علم الباحث.

ح- نشْر العلم في شرْح لاميَّة العَجم:

ذكرَه: العيْدروس [٦]، وحاجي خليفة [٧]، والبغدادي [٨]، واللكنوي[٩]، والزركلي[١٠]، وكحَّالة[١١]، وباوزيْر [١٢]، وبامطرف [١٣]، والسقاف [١٤]، وعلي جواد الطاهر [١٥]، ومحمد علي حمزة[١٦].

وهَذا الكتابُ هو شرْحٌ شرحَ فيْه بحرقٌ لاميَّة العَجم للطُغْرائي مؤيّد الدّين إسماعيل بْن الحسيْن بن علي (ت٥١٤هـ)، وشرحُ بحرْقٍ هَذا اختصارٌ لشرحٍ آخر للامية العجَم

(١) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٢) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ١٤٤.
(٣) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليَمن ص ٤٢٥.
(٤) ينظر: نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن وتطورها ص ٣٢٧.
(٥) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص١٠.
(٦) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٧) ينظر: كشف الظنون ٢/ ١٥٣٧، ١٥٣٨.
(٨) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣١.
(٩) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٦، ٣٠٩.
(١٠) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(١١) ينظر: معجم المؤلفين ١١/ ٩٠.
(١٢) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٤.
(١٣) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(١٤) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(١٥) ينظر: لامية الطغرائي ص٤٤.
(١٦) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص ١٠.

قام به صلاح الدّين خليْل بْن أيبك الصفديّ (ت٧٧٤هـ) المسمَّى (الغيْثُ المسجم في شرح لامية العجم) وكانَ مطوَّلًا مُسْتَطردًا فيه فاختصَره بحرق و((جرَّد أكثرَه من شرح الصفديّ واختارَ مَحاسنَ شِعْرِهِ واقْتصر منه على ما يتعلَّق بشرْحِ القصيْدة))[1]، وقد شرح هذِهِ اللاميَّة غيْرُ وَاحد منَ الأدبَاء[2]. وهناك بحْث لطيْف كتبه الدكتور أحمد علي حمزة أستاذ النحو والصرف في جامعة صدّام للعلوم الإسلاميّة سابقًا، تحدَّث فيْه عن الكتابِ، وأسماه (محمد بحرق وكتابه نشر العَلَم)، والبَحْثُ لم يُنْشَرْ بَعْد.

وأمَّا عن طبْعاته فهي كثيرة، وقد اطّلع الباحثُ على ثلاثٍ منها، الأولى طُبِعَتْ سنة ١٢٨٣هـ بالمطبعة الكاستلية في القاهرة بمصْر، والثانية طبعت سنة ١٣٢٠هـ بالمطبعة العَامرة الخيرية بمصْر، والثالثة طبعت بدار المنهاج للنشر والتوزيع عام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

وذكر محمد عيسَى صالحيَّة [3] أربع طبْعاتٍ لهذا الشرح وهي:

١- طبعة القاهرة، على نفقة إسماعيْل البغدادي، المطبعة الكاستلية ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، تصحيح عبْدالنبي سعيْد الحسيني، في ٦٦ صفحة. وهي الأولى التي أشار إليها الباحث.

٢- طبعة القاهرة، مطبعة المعاهد ١٣٥٣هـ/ ١٩٤٠م في ٧٩ صفحة.

٣- طبعة القاهرة، مطبعة التقدم العلمية ١٣١٩هـ في ٦٤ صفحة.

٤- طبعة القاهرة، المطبعة الخيْريَّة ١٣٢٠هـ في ٧٦صفحة. وهي الثانية التي أشار إليها الباحث.

وأمَّا المخطوط منْها، فقد ذكر علي جواد الطاهر [4] منه نسخًا كثيرة مخطوطة لم يعيّنْ مكانها، وأنها طبعت في مصْر أكثر من مرَّة.

وذكر محمد علي حمزة نقلًا عن بروْكلمان أنَّ مِنْ هذا الكتاب نسخًا كثيرة بلغ عددُ المخطوط منها ثمانيَ عشرة نسخةً، والمطبوع خمسًا.

---

(١) كشف الظنون ٢/ ١٥٣٧، ١٥٣٨.

(٢) منهم: بدر الدين محمد بْن أبي بكر بن عمر المالكي الدماميني (ت٨٢٨هـ)، وابْن جماعة النحوّي وسمّاه: إيضاح المُبْهم من لامية العجم، وعلي بن قاسم الطبري وسمّاه: حلّ المُبْهم والمُعْجَم في شرح لامية العجم، وغيرهما.

(٣) ينظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ١/ ١٤٩.

(٤) ينظر: لامية الطغرائي ص ٤٤، ٤٥.

وذكرَ أحمد محمد عيسوي ومحمد سعيْد المليح[1] نسخةً خطيَّةً توجد في المكتبة الغربية بالجامع الكبيْر بصنعاء في ضمن المجموع (١٩٤:١٩-٣٣).

ط- شرْحُ منظوْمةٍ في العروْض:

ذكره: السقَّاف[2]، وباوزيْر[3]، والحبشي[4]، والهلالي[5]، ومحمد علي حمزة[6].

وأشار محمد علي حمزة إلى أنَّ بروْكلمان ذكر شرحًا لبحرق على كتاب (العروض الأندلسيّة) لأبيْ محمد بْن حسين أبْي الجيْش الأندلسيّ الأنصاريّ (ت ٦٢٦هـ)، مشيرًا إلى وجود نسخةٍ مخطوطة منه في القاهرة برقم (٢/ ٢٣١)، وكأنَّ محمد علي حمزة لمْ يَرْتضِ ذلك ورجَّح ما أورده الحبشي في مصادره بعنوان (شرح منظومَة في العروْض). والذيْ بدا للباحث أن يَجْمَعَ ما بيْن المقالتيْن. فهذا الكتاب شرْحٌ على منظومة في العروْض، وهذه المنظومة هي (الأندلسيَّة فيْ العروض) كما ذكر ذلك كلٌّ مِنْ الرقيحي والحبشي وآنسي[7]؛ إذ أشاروا إلى وجود نسخةٍ مخطوطةٍ مِنْ هذا الشْرحِ في مكتبة الجَامع الكبيْر بصنعاء في ضمن (مجاميْع٨٨) باسم (شَرْح الأندلسيَّة في العروْض).

ويظهر للباحث أنَّ هذا الشرح لم يُطْبَعْ بَعْد.

ي- شرْح الهَمْزيَّة:

ذكره: عيسوي والمليح[8]، ومحمد علي حمزة[9].

وليس من هذا الشرح -في حدود علم الباحث- غيرُ نسخةٍ واحدةٍ مخطوطة هي التي ذكرها العيسوي والمليح وهي الموجودة في المكتبة الغربيّة بالجامع الكبيْر في صنْعاء في ضمن المجموع ١٣٥: ١٣٦-١٣٩.

---

(١) ينظر: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبيْر بصنعاء ص ٧٩٩.
(٢) ينظر: تاريخ الشعراء الحضْرميين ١/ ١٢٣.
(٣) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٤.
(٤) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليَمن ص ٤٢٥.
(٥) ينظر: نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن وتطورها ص ٣٣٨.
(٦) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٩.
(٧) ينظر: فهرست مخطوطات مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ٤/ ١٦١٧، ١٦١٨.
(٨) ينظر: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ص ٧٧٦.
(٩) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص ١٠.

وقد رجَّح محمد علي حمزة ما ذهبَ إليه العيسوي والمليح إذ قالا: ((شرحُ الهمزية للإمام بحرق التي أجاب بها عن السيِّد العيْدروس الحسين))[١]، وجعَلَ هذا الشرْح إحدى قصَائد بحرق التي أشار إليْها العيدروس بقوله: ((...وكان السلطان عامر بن عبْدالوهاب يراسل الشيخ حسين بْن عبدالله العيدروس بقصائد يخبر فيها بأموره ويطلب منه الدعاء فكان الفقيه المذكور [٢] يجيبه عنها))[٣].

ولعلَّ الصَّوابَ غيرُ ما ذُكر، فاسْمُ الكتابِ بعيدٌ جدًّا عمَّا ذكرَهُ الأفَاضل. إذْ هُوَ (شرْحٌ) على قصْيدةٍ اسمها (الهمزيَّة)، وأمَّا القَصائد التي يكتبها بحرق للعيدروس جوابًا للسلطان عامر فهيَ أبياتٌ يخبره فيها بحاله وأموره وغير ذلك والله أعلم.

ثالثًا: في علوم القرآن:

أ- مختصر كتاب التعريْف والأعلام:

ذكره: الحبشي[٤]، وذكره أيضًا في كتاب آخر هو والرقيحي وآنسيّ [٥].

وهَذا الكتاب تلخيصٌ لكتاب التعريْف والأعلام لما أبهم من القرآن للسُهيلي أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١هـ)، وحرصَ بحْرقٌ فيْه على إبقاء ذكرِ كل اسم عَلَمٍ مُبْهمٍ في القرآن نبيًّا كانَ أو وليًّا أو مَلَكًا أو حَيًّا أو بلدةً أو شجرَةً أو كوكبًا أو ممَّا له اسمٌ عُرِفَ عند نقلة الأخبار والعلماء والأخيَار.وهذا الكتاب لم يطبع بعْدُ.

وأمَّا نسخه المخطوطة فقد ذكر الحبشي [٦] أنه توجد منْه نسْخة مخطوطة في مكتبة الأحقاف في حضْرموت بتريم في ضمن مجاميْع وقف آل يَحْيَى برقم (٢٧٤٣) في المجموْعة رقم (٣٠).

وذكرها معه الرقيحي وآنسي في ضمن مجاميْع المكتبة العامة بالجامع الكبير بصنعاء برقم (١٢١١).

---

(١) فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير في صنعاء ص٧٧٦.
(٢) يعني صاحب الترجمة بحرقًا.
(٣) النور السافر ص ١٣٧.
(٤) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٢٤.
(٥) ينظر: فهْرس مخطوطات مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ١/ ٣١.
(٦) ينظر: فهرس المخطوطات اليمنية في حضْرموت ص٣٨.

ب- تفسيرُ آية الكرْسيّ:

ذكره: الزركلي [١]، وبامطرف [٢]، والحبشي [٣]، ومحمد علي حمزَة [٤].

ولم يطبع هذا المؤلَّفَ في حدودِ علم الباحث، ومنه نسخةٌ مخطوطة أشار الحبشي إليها ولم يعيّنْ مكانَها.

ج- ذخيْرة الإخْوان مِن كتاب الاستغناء بالقرآن:

ذكره: العيدروس[٥]، والبغدادي[٦]، واللكنوي [٧]، والسقّاف [٨]، وباوزير[٩]، والحبشي [١٠]، ومحمد علي حمزة [١١].

وذكر الحبشي أنَّ هذَا الكتابُ اختصَارٌ أو تلخيصٌ لكتاب الاستغناء بالقرآن وأشارَ إلى أنَّه توجد منه نسخةٌ مخطوطة في ضمن مجاميع وقف آل يحيى في تريم في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بحضرموت كتبت في سنة (١٠٦٤هـ).

د- مخْتصَرُ الهدَاية فيْ عِلْم القراءةِ:

ذكره: السَّقاف [١٢]، وباوزيْر [١٣]، والحبشي [١٤]، ومحمد علي حمزة [١٥].

---

(١) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٢) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(٣) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٢٤.
(٤) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص ٦.
(٥) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٦) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(٧) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٩.
(٨) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٩) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٣.
(١٠) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٢٤.
(١١) ينظر: محمد بحرْق وكتاب نشر العلم ص٦.
(١٢) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(١٣) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٣.
(١٤) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٢٤.
(١٥) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشْر العلم ص٦.

وذكرَه السقاف وباوزير ومحمّد علي حمزة باسم (مختصر نهاية النَّاشري في عِلمِ القراءات).

ومهما يكن من اخْتلافِ المسَّميَات فإنَّ هَذا المؤلَّف قد ألّفه بحرق لاختصار كتاب النَاشري عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت ٨٤٨هـ) في علم القراءات.

وقد حقّق هذا الكتاب الدكتور حسن مبارك هبشان ونشرَه في مجلّة البحوث والدراسات القرآنية الصادرة عن مجمّع الملك فهد بالمدينة المنوّرة بالسعوديّة في عددها الثالث عشر.

هـ-إيْضاح المُستفيْد لمعاني مقدّمة التجْويْد:

ذكره: الزركلي[١]، والسقاف[٢]، وبَاوزيْر[٣]، وبامطرف [٤]، والحبشي [٥]، ومحمد علي حمزة[٦].

وهَذا الكتاب هو شرْحٌ على متْن الجزْريَّة في فنّ التجويْد للجزريّ شمس الدّين محمّد بْن محمد (ت ٨٣٣هـ).

ذكره الزركلي وبامطرف باسم (شرْح المقدَمة الجزرية)، وباوزيْر بـ(شرْح الجزريَّة في عِلم التجْويد)، وعيسوي والمليح بـ(تحفة القاري والمقري شرح مقدّمة محمّد بن الجزري)[٧].

ولا توجد من هذا الكتاب نسخةٌ مطبوعة في حدود علم الباحث.

وقد حقّق الكتابَ الباحثُ عبدالله بن سالم باحارث في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة بالسعوديّة للحصول على درجة الماجستير عام ١٤٣٣ه - ٢٠١٤م.

وأمَّا المخطوطات فقد وقفَ البحثُ على نسخةٍ خطية منها توجد في مكتبة الأحقاف للمخطوْطات في حضْرموت بتريم في ضمن المجموعة (٣١٩) برقم (١٨٠). وذكر أحمد عيسوي ومحمد المليح نسختين خطيتين في المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء في

---

(١) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.

(٢) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.

(٣) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.

(٤) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.

(٥) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٢٤.

(٦) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٦.

(٧) ينظر: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ص٧٥٨، ٧٦٢.

ضمن مجموع (٨١:٢٩-٥٢)، وفي مجموع (٨٥:٥١-٨٠)، وذكر الرقَيْحي والحبشي وآنسي [١] نسخة مخطوطة في ضمْن مجاميْع مكتبة الجامع الكبير بصنْعاء برقم (١٥٧٥).

رابعًا: في علوم الحديث والفقه:

أ- مختصر الترغيْب والترهيْب:

ذكره: العيدروس[٢]، وابْن العماد الحنْبلي [٣]، وكحَّالة [٤]، والسقاف [٥]، وباوزير [٦]، ومحمد علي حمزة [٧].

وهو كتاب جعله بحرقٌ اختصارًا لكتاب الترغيْب والترهيْب للمنذري أبيْ محمد عبْد العظيْم بْن عبْد القويّ بْن عبْد الله (ت ٦٥٦هـ) ويحتوي على أحادِيْث نبويَّة في بابَيْ الوَعْد (الترغيب) والوعيْد (الترهيب).

وهو من كتب بحْرقٍ المفقودة في حدودِ علم البَاحثِ.

ب- مختَصَرُ المقاصد الحسَنة:

ذكره: العيْدروس[٨]، وابن العماد الحنبلي[٩]، والبغدادي[١٠]، واللكنوي[١١]، والسقاف[١٢]، وباوزير [١٣]، ومحمد علي حمزة [١٤].

---

(١) ينظر: فهرست مخطوطات مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ١/ ٢٥.
(٢) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٣) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.
(٤) ينظر: معجم المؤلفين ١١/ ٩٠.
(٥) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٢.
(٦) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(٧) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشرُ العلم ص٧.
(٨) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٩) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.
(١٠) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(١١) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٩.
(١٢) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٢.
(١٣) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(١٤) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٧.

وهَذا المؤلَّف اختصار لكتاب المقَاصدِ الحسَنة لمؤلفهِ الحافظ السخاوي محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدّين (ت ٩٠٢هـ)، أحد شيوخ بحرْق كما مرَّ، وهو كتاب يهتم بالحديْث النبويْ الشريف سَندًا أو متنـًا، وصحّةً وضعفًا؛ إذ اشتهرتْ كثيرٌ من الأحاديث الضعيفة وعمل بها المسلمون، فجاءَ هذا الكتابُ واحدًا من تلك الكتبِ التي عُنِيَتْ بتنقية الأحاديث مما رانَها من الضعفِ فبيّنها مختصرةً من مقاصدِ شيخه السخاويّ.

وقد سمّى السقاف وباوزير والحبشي هذا الكتاب ((تجريْد المقاصد عن الأسَانيْد والشواهد)).

وهَذا الكتابُ أيضًا من كتب بحرق المفقودة في حدود علم الباحث.

ج- الأسْرار النبويَّة في اخْتصَار الأذكَار النوويَّة:

ذكره: العيْدروس [١]، وابن العماد الحنْبلي [٢]، والبغدادي [٣]، واللكنوي [٤]، وكحَّالة [٥]، والسقاف [٦]، وباوزيْر [٧]، ومحمَّد علي حمزة [٨].

وهَذا الكتابُ اختصارٌ لكتاب الأذكار لأبي زكريَّا يَحْيَى بْن شرف النووي الدمشقي (ت٦٧٦هـ).

وذكر محمد علي حمزة أنَّه مفقود، والصوابُ أنه موجودٌ؛ إذْ طُبِعَ الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ، في دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع بصنعاء.

وأمَّا عن النسخ المخطوْطة فقد وقف الباحث منها على نسخٍ كثيرة في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضرموت بتريم.

---

(١) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٢) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.
(٣) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(٤) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٨، ٣٠٩.
(٥) ينظر: معجم المؤلفين ١١/ ٩٠.
(٦) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٢.
(٧) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(٨) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٧.

وقد نال بتحقيق هذا الكتاب الباحث أنور رمضان مبارك مسيعد درجة الكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة أم درمان بالسودان عام ١٤٣٤ه - ٢٠١٣م.

د- حليَةُ البنات وَالبنين فيْما يحتاج إليه منْ أمر الدّيْن:

ذكره: العيْدروس [١]، والبغدادي [٢]، واللكنوي [٣]، والزركلي [٤]، والسقاف[٥]، وباوزير [٦]، وبامطرف [٧]، والحبشي [٨]، ومحمد علي حمزة [٩].

وهو كتيِّبٌ صغيرٌ حوى مسائل فقهية، وأخرى في الترغيْب والترهيْب. مرصَّعة بجواْهر الحديْث النبويّ الشريْف مجرَّدة عن الأسانيد.

وأمّا عنْ طبعاته فقد طبع أربع طبعات في حدود علم الباحث، اثنتان منها في القاهرة بمطبعة المدني. والثالثة طبعة حديثة طبعتْ في مطابع مكتبة الثقافة بعدن، والأخيْرة طبعت في المديْنة النبويَّة.

وذكَرَ محمّد عيْسى صالحيَّة [١٠] أنّ هَذا الكتاب قد طبع طبعتين في القاهرة بمطابع مكتبة مصْطفى البابي الحلبي، الأولى منهما سنة ١٢٤٦هـ في ٧٦ صفحة، والأخرى سنة ١٣٤٦هـ في ١٠٤ صفحات.

وأمَّا المخطوط منها فقد وجد الباحث نسخة خطية في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضْرموت بتريْم برقم (٣٠٨٥).

(١) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٢) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(٣) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٨.
(٤) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٥) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٢.
(٦) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٣.
(٧) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(٨) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٢٣٣.
(٩) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٧.
(١٠) ينظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ١/ ١٤٨.

هـ- النبْذة المختصرة في معرفة الخصَال المكفِّرَة للذنوب المُقَدَّمَة والمؤخّرة:

ذكره: العيدروس[(١)]، والبغدادي[(٢)]، واللكنوي[(٣)]، والسقاف[(٤)]، وباوزير[(٥)]، والحبشي[(٦)]، ومحمد علي حمزة[(٧)].

وهذا المؤَلَّفُ جمعَ فيه بحرقٌ الأمور التي يكفّرُ بها المرءُ ذنوبه مقدّمها ومؤخّرها. وهذا ظاهر من عنوانه. وهو من الكتب المفقوْدة في حدود علم الباحث

و- المطالبُ السنيَّة في أهمِّ العلوْم الدينيَّة:

لم يذكره أحد، غيرَ أنَّ الباحثَ وجدَ نسخًا ثلاثًا منه مخطوطةً في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضْرموت بتريْم، اثنتان منها في ضمن مجاميع الرباط (٣٤٧) برقم (١٨٨١) و (٣٠٩٧)، والأخيْرة مفردة إلى غير مجاميع برقم (١١٤٢).

ز- النبْذة المقرَّرة للدعوى المحرَّرة:

ذكره: محمَّد عيْسى صالحيَّة[(٨)]، وعمر بْن حامد الجيْلانيّ[(٩)].

وذكر محمد عيْسى صالحيَّة أنَّ هذا المُؤلَّف قد نشَره المستشرق R.B.Serjent في مجلة (Rivista Degle Studi Orientali (R D S O في عددها التاسع والعشريْن سنة ١٩٥٤م (ص١٥-٢٠).

ووجدَ الباحثُ ثلاثَ نسخ مخطوطة منه في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضْرموت بتريم، الأوليان منها برقم (٢٦٢٦) و(٢٩٨٩)، والأخيرة في ضمن مجاميع ذات الرقم (٢٩٨) ورقم المخطوط (٦٣٢).

وهذا الكتابُ خصَّة بحرق بفقْه المعاملات والبُيُوْع لحاجة الناس إليهما.

---

(١) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٢) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣١.
(٣) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٨.
(٤) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٥) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٣.
(٦) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٣١٨.
(٧) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٩.
(٨) ينظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ١/ ١٤٩.
(٩) ينظر: مشاركة فقهاء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي ص٢٥.

ح- كتاب المقدّمة:

ذكره: أحمد محمد عيسوي ومحمّد سعيْد المليح [1]، ولم يذكرْه غيرهما.

وهو كتاب لا يزال مخطوطًا، وتوجد نسخة واحدة منه هي التي ذكرها عيسوي والمليح في ضمّن المجموع (٢٥٨: ١١٠-١١٧) في المكتبة الغربية بصنعاء.

خامسًا: في علم العقائد:

أ- العقيْدة الشَّافعية في شرْح القصيْدة اليَافعيّة:

ذكره: العيْدروس [2]، والبغْدادي [3]، والزركلي [4]، والسقاف [5]، وباوزيْر [6]، وبامطرف [7]، والحبشي [8]، ومحمد علي حمزة [9].

وقد سمَّى الزركلي هذا الكتاب (شرح عقيدة اليافعي).

والكتاب لم يطبع في حدود علم البَاحث.

وأمَّا نسخه المخطوطة فقد ذكر الزركلي منها نسخةً مخطوطةً غير أنَّه لم يعيِّنْ مكانها.

وأمَّا الحبشي فقد ذكر نسخةً مخطوطة منها توجد في ضمن مجاميع الكاف في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضْرموت بتريم برقم (١٩٥) [10].

---

(١) ينظر: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ص٨٢٠.
(٢) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٣) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(٤) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٥) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٦) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٣.
(٧) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(٨) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ١٣٥.
(٩) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشْر العلم ص٩.
(١٠) ينظر: فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت ص١٩.

ب- الحَواشي المفيْدة على أبْيات اليافعي في العقيْدة:

ذكره: العيْدروس [١]، والبغْدادي [٢]، واللكنوي [٣]، والسقاف[٤]، وباوزير[٥]، والحبشي [٦]، ومحمد علي حمزة [٧].

وهذا الكتابُ والذي قبله يوضّحان أبيات القصيدة اليافعية؛ إذ الأول شرحٌ لها موضِّحٌ لأبياتها والثاني حواش يسيْرة على الأبيات. وهذا الكلام تقريْب لما ذكره العيْدروس[٨]، عن شروح أبيات القصيْدة اليافعية لبحرْق وعدَّد ثلاثة منها بسيْطًا ووسيطًا ووجيزاً، ولعلَّ هذيْن الكتابين هما الأوَّل والثالث منها والله أعلم.

وقال محمد علي حمزة: إنَّ هذا الكتاب مفقود، والصواب أنّه ليس مفقودًا بل هو مطبوْعٌ، ذكر محمد عيسى صالحية[٩] أنَّه طبع في أربع صفحات حاشيةً على كتاب (الكفاية في شرْح الهداية) للغزالي، صحَّحه طه قطرية الدمياطي بمشاركة محمَّد البلبيْسي في القاهرة سنة ١٢٩٦هـ على نفقة الحاج ندا محمد الكشميري وأبي طالب الميمني بالمطبعة الوهبية.

ج- عَقْدُ الدُّررِ فيْ الإيْمان بالقَضاء والقَدَر:

ذكره: العيْدروس [١٠]، وابن العِماد الحنْبلي [١١]، والبغدادي [١٢]، والزركلي[١٣]،

---

(١) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.

(٢) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.

(٣) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٨.

(٤) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.

(٥) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٣.

(٦) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص١٣٥.

(٧) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٨.

(٨) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.

(٩) ينظر: المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ١/ ١٤٨.

(١٠) ينظر: النور السافر ص١٣٦.

(١١) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.

(١٢) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.

(١٣) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.

وكحَّالة[١]، والسقاف [٢]، وباوزيْر [٣]، وبامطرف [٤]، والحبشي [٥]، ومحمد علي حمزة [٦].

وهذا الكتاب لم يُطْبَعْ في حدود علم الباحث.

وأمَّا نسخه المخطوطة فهناك ثلاث نسخ مخطوطة منه موجودة في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضرموت بتريم، وقفَ الباحث منها على اثنتين، أولاهما برقم (٢٦٥٨) والثانية في ضمن المجاميْع العَامّة برقم (٦٦)، والثالثة ذكرها الحبشي في ضمن مجاميْع وقف آل يَحْيَى [٧].

د- العقْد الثَّميْن في إبْطالِ القَوْل بالتقبيْح والتَّحْسيْن:

ذكره: العيدروس [٨]، وابْنُ العماد الحنبلي [٩]، والبغدادي [١٠]، والسقاف [١١]، وباوزيْر [١٢]، والحبَشي [١٣]، ومحمد علي حمزة [١٤].

وقال محمد علي حمزة: هو مفقود، والصحيح أنّه موجود؛ إذْ تُوجَد منه نسختان خطيَّتان وجدهما الباحث في مكتبة الأحقاف في حضرموت بتريم الأولى برقم (٣٠٨١)، والثانية في ضمن مجاميع الحسيْني برقم (٨٤) بتسلسل (١٣٤٤). ولم يطبع في حدود علم الباحث.

(١) ينظر: معجم المؤلفين ١١/ ٩٠.
(٢) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٣) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٣.
(٤) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(٥) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص١٣٥.
(٦) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٩.
(٧) ينظر: فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت ص٣٣.
(٨) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٩) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.
(١٠) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(١١) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(١٢) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٣.
(١٣) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ١٣٥.
(١٤) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص ٨، ٩.

هـ- الحسَام المسْلول على منتقصي أصْحاب الرسوْل:

ذكره: العيْدورس[(١)]، وابْن العماد الحنْبلي[(٢)]، والبغدادي[(٣)]، واللكنوي[(٤)]، والزركلي[(٥)]، والسقاف[(٦)]، وباوزيْر[(٧)]، وبامطرف[(٨)]، والحبشي[(٩)]، ومحمد علي حمزة[(١٠)].

وهذا الكتاب عبَارة عن ردٍّ ردَّ فيْه بحْرق على الشيْعة الروافض الذيْن يسبُّون أصحابَ النبي صلّى الله عليه وسلّم وينتقصونهم.

وقد وجدَ الباحث نسخةً مطبوعة منه في مصْر في مطبعة المدني الطبعة الأوْلى سنة ١٣٨٦هـ بتحقيق وتصْدير حسنيْن محمّد مخلوْف.

وقد حقَّقه أخونا الأستاذُ الباحثُ الشيخ أكرم مبارك عصبان عام ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

وأمَّا النسخ المخطوطة فقد وقف الباحث على واحدةٍ منها في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضْرموت بتريْم برقم (٢٧٠٧).

و- رسَالة في إثبات رسَالة هارون أخي موسى عليْهما السلام وكُفْر فرْعون:

ذكرها: السَّقَّاف[(١١)]، وبَاوزيْر[(١٢)].

ويظهر للباحث من العنْوان أنها رسَالة اعتنى فيْها بحرق بالرّدِّ على مَنْ ينحِّي هارون أخا موسى من إرساله إلى فرعوْن ويثبت أنهما رسوْلان معـًا، وذلك ما دلَّتْ عليْهِ نصُوصُ

---

(١) ينظر: النور السافر ص١٣٦.
(٢) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.
(٣) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(٤) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٦.
(٥) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٦) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٧) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٣.
(٨) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(٩) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ١٣٥.
(١٠) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٨.
(١١) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(١٢) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.

الكتاب والسنة. وردَّ أيضًا على مَنْ يقول بإيْمانِ فرعَوْن [1]، وأثبت بحرق كفرَه مستندًا إلى نصوص الكتاب العزيز والسُّنَّة.

وهذه الرسَالة في حدود علم الباحث مفقودة.

سادسًا: في التصوُّف:

لقد نشأ بحرْق نشْأة صوفيَّة على أيْدي كبار طرائق التصوف، وأخذ عنهم ذلك خلقًا وعلمـًا، حتى بدا ذلك على لسانه وقلمه فيما ألَّف.

فمِنْ إشاراته إلى ذلك قوله: ((وإنّما أعْيتِ الفضلاء الحيلة في تحصْيل مقاصدهم المالية لأنّ الرزق شيءٌ مفروْغٌ منه كالأجَل بإرادةٍ أزليَّة وقسمة إلهية ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ... الآية﴾ [2]، "لا مانعَ لِمَـا أعطيْتَ ولا معطي لِمَا منعْتَ... الحديث" [3]، ولهذا قيل:

كـمْ عاقـلٍ عاقـلٍ أعيـتْ مذاهبـه وجَاهـلٍ جاهـلٍ تَلْقَـاهُ مَرْزُوْقـًا

هـذا الـذي ترك الأوْهـامَ حَائـرةً وصَيَّـرَ العالـمَ النِّحْريـرَ زنديْقـًا

وإنما الذي صار زنديقًا المنجّم والطبيْعيّ لعدم إسنادهِ القسمة إلى الحكم المختار سبْحانه الذي يرزق مَنْ يشاءُ بغير حساب، فأمّا أربابُ البَصائر فأجملوا في الطلب ووطّنُوا نفوسهم على الرضا بالقسْمة وأيقنوا بتصديقِ قوْل الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [4]...)) [5].

وقال أيضـًا: ((مثاله أنَّ تركَ المعاصي سببه الظاهر الخوف من الله تعالى وذلك في حقِّ العَوام. وأمّا الخواص فله عنْدهم سببان الخوف والإجلال)) [6].

وقال: ((هَذا والرضا بالقضاء شرْط في كمال الإيمان، قال الإمام حجة الإسلام أبو حَامد محمد بن محمد بن محمد الغَزالي قدّس الله روحه: "ولا يتمّ - أي الرضا بالقضاء- إلاَّ

---

(١) كابْن عربي في كتابه (فصوص الحكم)، فص موسى عليه السلام، والدَّواني محمد عضد الدِّين في (إيمان فرعون).

(٢) من الآية (٣٢) من سورة الزخرف.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري ١/ ٢٥٥، ومسلم ١/ ٤١٤.

(٤) من الآية (٢) من سورة فاطر.

(٥) نشرُ العلم ص١٤.

(٦) المصدر السابق ص ٤٢.

بأن تعتقد جَزْمًا أنّ الله تَعالى لو كشفَ لأعْقَلِ العُقَلاء عواقب الأمور وأطلعه على لطائف الحكمة لم يمكّنه أنْ يدبّر الملك والملكوت بأَحْسَنَ ممَّا هو عليْه"...)) [1].

وقال: ((إنَّ ركوبَ الأخطار في طلب الجاه والمال طريقة أبناء الدنيا، وإنَّ الزُّهدَ فيها وإيثار الخمُول طريقة أرباب البصَائر)) [2].

وقال: ((والكمَالات التي يتأهَّلُ بها النوع الإنْساني لمقام الخلافة ترجع إلى أربعةِ أصول: أحدها العِلم بالله سبْحانه ومَا يجبُ له مِنَ الكمال ويستحيْل عليْه النقْص، ومحلُّ ذلك علم أصوْل الدّين، ثانيْها العِلمُ بمَا يحتاجُ إليه الإنْسانُ منَ المعَاملةِ مَعَ الخَلْقِ والخالقِ وذلك عِلْمُ الفِقه، ثالثها عِلْمُ العِلْمِ بالنفسِ وصفاتها المَحموْدة لتُكْتَسَبَ، والمذمومة لتُجْتَنَبَ وذلك علمُ الطريْقة، رابعها العلم بالأمْور الأُخْرويَّة وما هو النافِعُ فيها والضار وذلك علم الرقائق والمواعظ ومحلُّ تحقيقِ هذه الأربعة الأصوْل مستوفٍ بالكمال في كتابِ إحْياء علوْم الدّين لحجّة الإسْلام الغزالي رحمه الله، فمَنِ اتّصفَ بما فيْه ادّعى عظيمًا في ملكوتِ السموات والأرض وبلغ رتبة الخلافة والرعاية ومَنْ جهلَ ذلك فهو من الهمل النازل إلى رتبة البهائم، قال الله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا[3]﴾ [4].

وأمَّا مؤلفاتُ بحرق في التصوف فهي على النحو الآتي:

أ- العروة الوَثيقة في الشريعة والطريْقة والحقيْقة:

ذكره: البغدادي[5]، والزركلي[6]، والسقاف[7]، وباوزيْر[8]، وبامطرف[9]، ومحمد علي حمزة[10].

---

(١) المصدر السابق ص٥٥.
(٢) المصدر السابق ص٧٠.
(٣) من الآية (٤٤) من سورة الفرقان.
(٤) نشر العلم ص٧٥.
(٥) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(٦) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٧) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٨) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٣.
(٩) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(١٠) ينظر: محمد عمر بحرق وكتاب نشر العلم ص٨.

وهَذا المؤلَّفُ نظمٌ نظمه بحرق وبيَّنَ فيه ملامح شريعة التصوف وطريقته وحقيقته لنيل منازلها ورتبها.

وذكر الزركلي وبامطرف هذا الكتاب باسم (العُرْوة الوُثْقى)، وأشار الزركلي إلى نسخةٍ خطيةٍ منه لكنّه لم يُعيِّن مكانها.

ب- الحَديْقة الأنيقة في شرْح العُرْوَة الوثيقة:

ذكره: العيدروس [(١)]، وابْنُ العماد الحنْبلي [(٢)]، والبغدادي [(٣)]، واللكنوي [(٤)]، وكحَّالة[(٥)]، والسقاف [(٦)]، وباوزير [(٧)]، والحبشي [(٨)]، ومحمد علي حمزة [(٩)].

وهذا الكتابْ شرْحٌ على الذي قبله المسمَّى (العروة الوثيقة).

وقد طبع -في حدود علم الباحث- طبعتين، الأولى منهما بمطبعة المدني في مصْر سنة ١٣٨٠هـ بتحقيق حسنين محمد مخلوف، والأخْرى بدار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع في صنْعاء سنة ١٤١٥هـ.

وأما نسخ هذا الكتاب المخطوطة فقد وجدَ الباحث ثلاثًا منْها في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضرموت بتريم برقم (٢٩٧٢) و(٣٠٤٢) و(٣٠٨٨).

وأشار العيسوي والمليح إلى وجوْد نسخة خطيّة منها في المكتبة الغربية بالجامع الكبير في صنعاء المرقمة برقم (٤٦)[(١٠)].

وقد درسَ الباحث خلف الله حسن الطيّب حاج علي الأحاديث والآثار الواردة في هذا

(١) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.
(٢) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.
(٣) ينظر: هدية العارفين ٢/ ٢٣٠.
(٤) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٨.
(٥) ينظر: معجم المؤلفين ١١/ ٩٠.
(٦) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٧) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٣.
(٨) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٣١٨.
(٩) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٨.
(١٠) ينظر: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ص١٥٥.

الكتاب للحصول على درجة الماجستير من كلية الدراسات العاليا بجامعة أم درمان بالسودان عام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

ج- ترتيب السلوك إلى مَلِكِ الملوك:

ذكره: العيدروس[١]، والبغدادي[٢]، واللكنوي[٣]، والسقّاف[٤]، وباوزير[٥]، والحبشي[٦]، ومحمد علي حمزة[٧].

وقال محمد علي حمزة: مفقود، والصحيح أنه موجود؛ إذْ تُوجَد منه نسختان خطِّيتان وقفَ عليهما الباحث في مكتبة الأحْقاف للمخطوطات في حضْرموت بتريم، الأولى برقم (٢٧٢٤)، والأخرى في ضمن المجاميع العَامَّة برقم (١٢٦).

د- متْعة الأسْماع بأحكام السَّماع:

ذكره: العيْدروس[٨]، وابن العماد الحنبلي[٩]، وحاجي خليفة[١٠]، والبغدادي[١١]، واللكنوي[١٢]، والسقاف[١٣]، وباوزير[١٤]، والحبَشي[١٥]، ومحمد علي حمزة[١٦].

---

(١) ينظر: النور السافر ص١٣٦.

(٢) ينظر: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون١/ ٧٩، وهدية العارفين ٢/ ٢٣٠.

(٣) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٦.

(٤) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.

(٥) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.

(٦) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٣١٨.

(٧) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٧.

(٨) ينظر: النور السافر ص١٣٦.

(٩) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.

(١٠) ينظر: كشف الظنون ٤/ ٤٢٦.

(١١) ينظر: إيضاح المكنون ٢/ ٤٢٦ وهدية العارفين ٢/ ٢٣١.

(١٢) ينظر: نزهة النواظر ٤/ ٣٠٦.

(١٣) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.

(١٤) ينظر: صفحات من التاريخ الحضري ص ١٤٤.

(١٥) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ٣١٨.

(١٦) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٨.

وهذا الكتاب هو اختصار لكتاب الإمتاع في أحكام السماع لكمال الدِّين أبي جعفر بن تغلب الأدفوي الشافعي (ت ٧٤٩هـ) (١).

وهو مفقود في حدود علم الباحث.

سابعًا: في علم الفَرائض:

كانَ علماءُ حضرمَوْت يُجِيْدُونَ علم الفرائض والمواريْث لعموم البلوى، وحاجة الناس الماسَّة إليْها، ولبحْرق في هذا العلمِ نصيْبٌ ومشاركة؛ إذْ كانَتْ له إشارات في ذلك، منها قوله: ((ومثال ذلك أيْضًا أنَّ الإرْثَ له أسباب القرابة والنكاح والوَلاء، فلو أعتقَ رجلٌ ابْنَةَ عمِّهِ ونكحَها وهو عصبتها جازَ أنْ يرثها بكُلٍّ منَ الأسْبابِ الثلاثةِ حتى لو طلقها وماتَتْ. فقال رجلٌ لو كانَ زوجها لورثها. قلتُ له وكذا لَوْ لم يكُنْ زوجَها لَورَثَها أيْ بالنسب، ولو لم يكُن ابْنَ عمِّها، قلتُ أيضًا ولو لم يكُنْ ابْنَ عمِّها لَورِثَها بالولاء)) (٢).

وممَّا ألفَّه بحرق في هذا العلم منظومةٌ نظمها أسمَاهَا (منظوْمة في الفرائض) ذكرها: الحبشي (٣)، ومحمد علي حمزة (٤).

وهذا المؤلَّف لم يطبع في حدود علم الباحث، وتوجَد منه نسخة مخطوطة ذكرها الحبشي في ضمن مجاميع الجامع الكبير بصنعاء برقم (٨٨).

ثامنًا: في علم الفلك:

ومنَ العلوْمِ التي برعَ فيْها الحضارمةُ ومنهم بحرْق علم الفلك، وكانَتْ له فيْه إشارات منها قوله: ((... والحَمَل بالحاء المهملة محرّكًا أولُ بروجِ الشمْس الاثنَيْ عشر، وفيْه أشرف الشمس؛ لأنه أوَّلُ فصْل الربيع، وله منَ المنازل على حسَابِ طالع الفجْر منزلتان وثلث، وهي الشرطين المسمَّى بالنْطح والبطين وثلث الثريّا، وهكذا سَائر البروْج لكلّ برج منزلتان وثلث منَ المنازل الثمانية والعشْرين...)) (٥).

---

(١) ينظر: كشف الظنون ١/ ١٦٧.
(٢) نشر العلم في شرْح لاميّة العجم لبحرق ص٤٢.
(٣) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٢٩٥.
(٤) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص٧.
(٥) نشر العلم ص٥٠.

وقوله: ((وزُحل نجْمٌ معروْف وهُو أحَدُ السبعة السيَّارةِ وفلكه أعْلاها لأنه السابع وتحته فلَكُ المشتري وتحتَ المشتري المَرِّيخ وتحت المريخ الشمس فهي في الفلكِ الرابع فتكونُ كواسطةِ عِقْدِ الأفْلاك، وتحتها الزُّهْرةُ وتحتَ الزهرةِ عطارد وتحت عطارد القمَر))[١].

ومِنْ مُؤلفَاتِهِ في هَذا العلم: (رسَالةٌ في عِلْمِ الميقات):

ذكرها: العيدروس[٢]، وابْن العماد الحنْبلي[٣]، واللكنوي[٤]، والزركلي[٥]، والسقاف[٦]، وباوزير[٧]، وبامطرف[٨]، والحبشي[٩]، ومحمد علي حمْزة[١٠].

ولعلَّ مضمون هذه الرسالة هو أهمية علم الفلك والميقات، ومعْرفة المطالع، وشروق الشمْس وغروبها، وأوقات الصلوات، ومعرفة الشهور والأيام وغير ذلك؛ إذ اهتمَّ علماء حضْرموت بذلك كثيراً.

وقد أشار محمَّد علي حمزة إلى أنَّ هذه الرسالة أرجوزةٌ نظمها بحرْق في هذا النوع من العلوْم، والصواب غيرُ ذلك إذ هي رسَالةٌ وليسَتْ نظمـًا. وأشار أيضًا إلى أنَّ الزركلي ذكرَ شرحًا لبحرق عليْها ولم يَرِدْ ذلك عن الزركلي لعلّه وهمٌ من محمد علي حمزة؛ إذ إنَّ اسم الرسَالة قد وقع بعْدَ اسمَيْ أرجوزتَيْه في الطبّ والحساب وشرحهما عند الزركلي فظنّ الرسَالة أيضًا أرجوزةً وعليها شرح.

ورسَالة علم الميقات لبحرق تُعدُّ مِنْ تراثه المفقود في حدود علم الباحث.

تاسعًا: في علم الحسَاب:

ولبحرق أيضًا عِلمٌ بالحساب إذْ يُعَدُّ من العلوْم الأوليَّة في طلب العلم في حضرموت بعد

(١) المصدر نفسه ص٦١.
(٢) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.
(٣) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.
(٤) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٩.
(٥) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٦) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٧) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(٨) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(٩) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٥٤٠.
(١٠) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص ١٠.

القرآن واللغة. وكانتْ له فيه إشارات منها قوله: ((...والصاعُ أربعة أمْداد، والمُدُّ رَطْلٌ وثُلُث بالبغداديّ، والرَّطْلُ نِصْفُ المنِّ وهُو مائةٌ وثلاثةٌ وثلاثونَ درهمـًا، والدرهم قفلة، والجريب بفتح الجيم مساحة عشْرِ قصبات في عَشرِ قصبات، والقصبة ستة أذرع، فالجَريْبُ إذًا ستونَ ذراعًا طولًا في ستين ذراعًا عَرْضـًا، ومبلغ مساحة ثلاثَة آلافٍ وستمائة ذراع)) [١].

ومِنْ مؤلفاته في هذَا العلم (أرجُوْزةٌ في علْم الحسَاب وشرْحها).

ذكرها: العيدروس [٢]، وابْن العماد الحنبلي [٣]، واللكنوي [٤]، والزركلي [٥]، والسقاف [٦]، وباوزير [٧]، وبامطرف [٨]، والحبشي [٩]، ومحمد علي حمْزة [١٠].

وهو عبارة عن أبياتٍ نَظمها في هذا العلم وجعل عليه شرحًا ليَسْهُلَ فهمه.

وقال محمد علي حمزة هي مفقودة، والصواب أنها ليست موجودة؛ إذْ تُوجَد منها نسختان خطيّتان في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضرموت بتريم، الأولى برقم (٢٩٢٩)، والثانية في ضمن مجاميْع الحسيْني (٧٩) برقم (٦٠٤).

وأخبرني بعضُ آلِ بحْرقٍ في سيْئون بوجوْدِ نسخة خطيَّة منها لديهم.

وأمَّا عن طبعها فلم يقف الباحثُ على شيءٍ من ذلك، غير أنَّ شيخَنَا العالمَ الفقيه الشيخ علي بكيِّر المديْر السَابق لمكتبة الأحقاف قد أخبرني عنْ نسخةٍ مطبوعةٍ قدْ قرأهَا.

عاشرًا: في عِلْم الطبّ:

أرْجُوْزةٌ في الطِبِّ وشَرْحُها:

---

(١) تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب ص٢٨، وينظر: نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن ص٢٠٥.
(٢) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.
(٣) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.
(٤) ينظر: نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٩.
(٥) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.
(٦) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.
(٧) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.
(٨) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.
(٩) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٥٤٩.
(١٠) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص١٠.

ذكرها: العيدروس [١]، وابن العماد الحنبلي [٢]، والزركلي [٣]، والسقاف [٤]، وباوزير [٥]، وبامطرف [٦]، والحبشي [٧]، ومحمد علي حمزة [٨].

وهذه الأرجوزةُ لم تطبع في حدود عِلم البَاحث.

وأمَّا المخطوط منها، فقد وجدَ الباحث ثلاثَ نسخٍ منْها في مكتبة الأحقاف للمخطوطات في حضرموت بتريم، الأوْليان منها برقم (٢٦٤٩) و (٢٨٠٣)، والأخيرة في ضمن مجاميْع آل جنيْد (٢٩٣) برقم (٤١٣). ومِنْ خلال تصفُّح المخطوطات تبيَّن للباحث أنَّ اسْمَ هذه الأرجوزة هو (الكافية في أصوْل الطب).

المبحث الثالث: مكانته

حظيَ بحرق بمكانةٍ علميَّة عالية، جعَلَتْ مَنْ عَاصَرَهُ ومَنْ ترجَمَ له ونظر في علمه يعجب به ويذكره بالمحامد، مِنْ ذلك جُمْلَةٌ من أقوال العلماء فيْه، وهي على النحو الآتي:

١- قال فيه العيدروس (ت ١٠٣٨هـ): ((الشيخ الإمام البارعُ النَّحويُّ اللُّغوِيُّ الأديْب المفنن جمَال الدِّين محمَّد بْن عمر بْن مباركﷺ وكان مِنَ العلماء الراسخين والأئمة المتبحّرين، اشتغل بالعلوم وتفنَّنَ بالمنطوق منها والمفهوْم وتمهَّر في المنثور والمنظوْم، وكانَتْ له اليدُ الطّولى في جميْع العلوم، وصنَّفَ في كثير منَ الفنون كالحديْث والتصوّف والنَّحْو والصَّرْف والحساب والطبّ والأدب والفلَك وغيْر ذلك. ومَا رأيتُ أحدًا مِنْ علماء حَضْرموت أحْسنَ ولا أوْجزَ عبَارةٍ منْه)) [٩]، وقال أيضـًا: ((وبالجملة فإنَّهُ كانَ آيةً مِنْ آيات الله تعَالى، وكُتُبُهُ

(١) ينظر: النور السافر ص ١٣٦.

(٢) ينظر: شذرات الذهب ٨/ ١٧٧.

(٣) ينظر: الأعلام ٧/ ٢٠٧.

(٤) ينظر: تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣.

(٥) ينظر: صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٤٤.

(٦) ينظر: الجامع ٤/ ٢٢.

(٧) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص٥٥٢.

(٨) ينظر: محمد بحرق وكتاب نشر العلم ص١١.

(٩) النور السافر ص ١٣٣.

تدلُّ على غزارةِ علمه وكثرةِ اطِّلاعه، وكانَ غايةً في التحقيق، وجَودَةِ الفِكرِ والتدقيق)) [1]، وقال: ((وكان رحِمَهُ الله مِنْ مَحاسِنِ الدَّهْرِ، له اليدُ الطُّوْلى في النَّظْم والنَّثرِ والخُطَب وغيْرِها، وكانَ غايةً في الكَرَم، مُحْسِنًا إلى الطلبَة وغيرهم، كثيرَ الإيْثار، مُحبًّا لأهْلِ الخير، متَّصفًا بالإنْصَافِ، رجّاعًا إلى الحقِّ، مفضالًا جوادًا سَيِّدًا قَويَّ النفس...)) [2].

٢- وقل المرتَضى الزَّبيْديُّ صاحب القاموس الكبير في معاني كلمات العربية (تاج العروس) (ت ١٢٠٥هـ): ((علاّمةُ اليمن)) [3].

٣- وقال فيه مُحدِّثُ الهِنْدِ الإمَام عبْدُ الحيِّ اللكنوي (ت ١٣٤١هـ): ((الشيْخ العَلاّمة المحدِّثُ جمَالُ الدّين محمَّد بْن عُمَر بْن مبارك بْن عبْد الله بْن عليّ الحميريّ الحضْرميّ الشافعيُّ الشهيرُ ببحرق كانَ منَ العلماء المحقّقينَ والفضلاء المدقّقين)) [4].

٤- وقال فيه كحَّالة: ((عالمٌ مشاركٌ في الحديْثِ والتصوُّفِ والنَّحْو والصَرْفِ والحسَاب والطبّ والأدبِ والفَلَكِ وغيْر ذلك)) [5].

٥- وقال فيه بَاحنَّان: ((الفقيْه المتفنّن محمَّد بْن عمر بْن مبارك بْن عبْدالله بْن عليّ بحرق)) [6].

٦- وقال فيه بَاوزِيْر: ((محمَّد بْن عمر بحرق أحَدُ العِصَاميِّيْن النَوابغ الذيْن يَصِلُونَ إلى المجْدِ والشُهْرةِ لا عَنْ طريْق النَّسبِ والوراثة، عن جدارةٍ واستحقاقٍ، وبواسطة الكفاءة وحُسْن الاستعدادِ ومواصلة الكفاح)) [7]، وقال فيه: ((فأصبحَ أحدَ العلماء النَوابغِ الذيْنَ يُشَارُ إليهمْ بالبَنَان)) [8]. وقال: (وكانَ مثالاً للعَدْلِ والنزاهةِ والجهْرِ بالحقِّ، قصَده الطَلبةُ في كُلِّ أنحاء البلادِ للأخذِ عنْه والدراسَة عليْه)) [9].

(١) المصدر السابق ص ١٣٥.
(٢) المصدر السابق ص ١٣٦.
(٣) تاج العروس ٢٥/ ٣٣، مادة (بحرق) تح/ مصطفى حجازي.
(٤) نزهة الخواطر ٤/ ٣٠٦.
(٥) معجم المؤلفين ١١/ ٨٩.
(٦) جواهر تاريخ الأحقاف ٢/ ١٨٧.
(٧) صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٤٢.
(٨) المرجع السابق ص١٤٣.
(٩) الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص ١٤٥.

٧- وقال فيه السَّقَّاف: ((علاَّمة نابغة، واسع المعلومات، خصبُ الذَّكَاء، كثيرُ الإنْتاج))[١].

٨- وقال فيه محمَّد الزهريُّ الغمراويّ: ((العالمُ العلاَّمة، والحبر والبحر الفهَّامة الشيْخ محمَّد بحرق الحضرمي)) [٢].

٩- وقال فيه عَبْد الجوَاد خلف الصّفتي: ((العَلاَّمة القدْوة الفَهَّامة الشيخ جمال الدّين محمَّد بْنُ عُمَر بْنُ مبَارك الحضْرميّ)) [٣].

المبحث الرابع: مشكلات في ترجمة بحرق

من مشكلاتِ البحث في ترجمة بحرق ما يأتي:

١- أنَّ بحرقًا قد أجمع المترجمون أنَّه ماتَ سنةَ ثلاثين وتسعمائة هجريّة (ت٩٣٠هـ)، وأنَّه -رحمه الله- قد كانَ مستشارًا للسلطانِ بدر أبي طويرق، وأنَّه شاركَ في إدراة السلطنة في مجال التهدئة بين السطان أبي طويرق وبعض القبائل المناوئة.

والمشكلة التي تواجهُ البحثَ ههنا أنَّ السلطانَ أبا طويرق قد تسلّمَ السلطنةَ وبدأ في إدارة حضرموت سنة ستٍّ وعشرين وتسعمائة هجرية (٩٢٦هـ) أو في سنة سبعٍ وعشرين وتسعمائة هجريّة (٩٢٧هـ)، وهذه السنة من أخرياتِ عُمْرِ بحرقٍ، فضلًا عنْ أنَّ بحرقًا قد غادرَ اليمنَ (عدن) وتوجّهَ إلى الهند سنة سبعٍ وعشرين وتسعمائة هجريّة ولمْ يَعُدْ منها حتّى وفاتِهِ بها.

فأنَّى له أنْ يكونَ مستشارًا من مستشاري أبي طويرق أو يُشَارِكَ في إدراة السلطنة في مجال الوساطة والتهدئة بين السطان أبي طويرق والقبائل المناوئة له وقد غادرَ البلاد اليمنية وهو غير موجودٍ بها ؟!

٢-أنَّ صاحبَ كتابِ (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر) محمّد بن عمر الطيّب بافقيه المتوفَّى في النصف الأوّل من القرن الحادي عشر الهجري ذكرَ في أحداثِ سنة ثلاثين وتسعمائة هجريّة (٩٣٠هـ) وفاةَ بحرقٍ، ثمّ بعدَ ذلك يتناولُ في أحداثِ سنةِ خمسٍ وخمسين وتسعمائة أنَّ بحرقًا قد ماتَ في هذه السنة إثْرَ وجودِ نزاعٍ بينَ قبائل آل عامر من نهد وآل مخاشن في (هَيْنَن) من جهة وبين السلطان أبي طويرق من جهة أخرى [٤].

---

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢١.

(٢) تحفة الأحباب وطرفة الأصحاب لبحرق شرح ملحة الإعراب للحريري ص ٤٨.

(٣) نشرُ العلم في شرح لامية العجم لبحرق ص٧٦.

(٤) ينظر تاريخ الشحر ص ٣٣٣.

فكيفَ يموتُ بحرقٌ مِيْتَتَيْنِ في عامَيْنِ مختلفَيْنِ ذكرهما بافقيه في كتابه تاريخ الشحر، الأولى في سنة (٩٣٠هـ) والأخرى سنة (٩٥٥هـ) ؟!

٣- أنّ صاحبَ (تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر) بافقيه قد مرّ أنّه ذكرَ في أحداث سنة (٩٣٠هـ) وفاة محمّد بن عمر بحرق، وهو الأمرُ الذي عليهِ مَنْ ترجمَ بحرقًا، ثمّ يذكر بافقيه في أحداث سنة ثلاثٍ وخمسين وتسعمائة (٩٥٣هـ) أنَّ السلطانَ بدر أبي طويرق وأخاه محمّدًا قد رجعا من (قِشْن) بعد أن استولى عليها السلطان أبوطويرق وبنى بها حصنًا وخلفَ بها الأمير محمّد بن مطران والفقيه بحرق [1].

كما ذكر في أحداثِ سنة (٩٥٥هـ) أنّ بحرقًا قدْ شاركَ السلطان بدر أبا طويرق في أعمال إدارة السلطنة من خلال ما يُسْنَدُ إليه من مهامّ تمثّلتْ في العمل بلجان الوساطة بين السلطان أبي طويرق والقبائل المناوئة له ولاسيّما قبائل آل عامر من نهد في الهجرين وآل مخاشن بهَيْنَن انتهتْ هذهِ المشكلاتُ بموتِ بحرق بقرية (هَيْنَن) [2].

فكيفَ لبحرقٍ أنْ يُشَارِكَ أبا طويرق في إدارة سلطنته سنتَيْ (٩٥٣هـ) و(٩٥٥هـ) وقد ماتَ سنة (٩٣٠هـ) كما ذكره بافقيه ومترجموه ؟!

---

(١) ينظر المرجع السابق ص ٣٢٢.

(٢) ينظر المرجع السابق ص ٣٣٣.

جهود العلامة بحرق العلمية في حضرموت من خلال كتابه رسالة في الطب

د. محمد منصور علي بلعيد
كلية التربية - زنجبار

المقدمة:

أسهم العلامة محمد عمر بحرق في إثراء التراث اليمني والإسلامي بغزارة إنتاجه العلمي، وهو ما رفع من مكانته العلمية في اليمن وخارجها خلال القرن العاشر الهجري، هذه المكانة هي ما شَدت الباحث لتناول جهود بحرق في أحد أهم مصادر التراث اليمني الطبي، وأتمنى أن يكون بدايه لأعمال أخرى في المجال نفسه.

قسم الباحث الدراسة إلى أربعة مباحث رئيسة، وفي كل مبحث عدد من المتطلبات، فتناول في المبحث الأول عصر بحرق والمتغيرات السياسية في عصره، وكذا التغيرات والتبدلات المناخية، وأثرها على الوضع الصحي في حضرموت، وكذا تاريخ الطب والتداوي في حضرموت إلى عصر بحرق، فيما تناول المبحث الثاني العلامة: بحرق، نسبه، ومولده، وتعليمه، ورحلاته العلمية إلى نهاية عمره.

وتناول المبحث الثالث جهود بحرق العلمية في حضرموت وتصوفه ونتاجه العلمي، فيما ألقى المبحث الرابع الضوء على جهوده الطبية من خلال كتاب رسالة في الطب وتناول منهجه العلمي، ومصادره ومفهومه للطب، والتداوي، والأمراض، وأسبابها، وأهم الأغذية والأطعمة والأمراض المنتشرة في حضرموت، التي عالجها بحرق، وطرق علاجها.

و يضع الباحث اللمسات الختامية لهذا العمل، ويتمنى أن يكون وفق في مسعاه لخدمة تراث العلامة بحرق، وإبانة الجانب الطبي في أعماله.

ويتقدم الباحث بالشكر الجزيل للدكتور أحمد صالح رابضة محقق كتاب (رسالة في الطب) بإخراجه هذا السفر الجليل للنور خدمة للعلم وطلبة العلم والمهتمين بالتراث الإسلامي عامة.

المبحث الأول: (الأوضاع العامة في حضرموت في عصر بحرق)

١- عصر بحرق:

يُعد عصر بحرق عصر التحولات السياسية في اليمن والعالم، ونهاية دولة وبروز أخرى، فقد عاش بحرق خلال المدة ما بين ٨٩٦هـ، أي خلال حكم الدولة الطاهرية في اليمن، التي شملت حكم الظافر عامر(٨٥٨ -٨٧٠هـ)، والمنصور(٨٨٣-٨٩٤هـ)،والظافر الثاني (٨٩٤- ٩٢٣هـ)، وشهاب الدين أحمد بن عامر (٩٢٣-٩٢٤هـ)، والظافر عامر الثالث (٩٢٤هـ)، ومحمد بن أحمد بن عامر (٩٢٤-٩٢٦هـ)، وعبدالملك بن محمد (٩٢٦-٩٣٣هـ)، وهي مدة طويلة شهدت أوقات قوة الدولة الطاهرية في مطلعها والضعف في آخرها[١]؛ حيث امتد حكم آل طاهر إلى حضرموت، فأسقطوا سلطنة أبي دجانة في ذي القعدة ٦٩٣هـ[٢]، وعينت الدولة الطاهرية من قبلها بدر بن عبدالله الكثيري عاملاً لها على حضرموت[٣]،إلاّ أن سعد بن مبارك استعاد الشحر٨٨٣هـ، وبذلك انتهى الحكم الثنائي الطاهري الكثيري للشحر[٤]، وفي ٩٠١هـ هاجم آل كثير الشحر لاستعادتها من آل فارس بقيادة جعفر بن عبدالله بن علي الكثيري، وبدأ بذلك عهد السيادة الكثيرية المطلقة على حضرموت[٥]، واحتفظ آل كثير بعلاقة ودية مع الطاهريين، مقابل إرسال خراج سنويًا مقداره

---

(١) بلعفير، محمد صالح: العملة والتداول النقدي بعدن في عصر الدولة الطاهرية، مجلة سبأ (مجلة تاريخية حولية محكمة تصدر عن قسمي التاريخ والآثار)،جامعة عدن، دار جامعة عدن،ع ١٤-١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ/ يوليو ٢٠٠٧م، ص٢٩٦.

(٢) ابن الديبع، وجيه الدين أبو الضياء عبد الرحمن بن علي،الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م،ص١٢٧، شنبل، أحمد عبد الله،تاريخ حضرموت المعروف بـ: تاريخ شنبل، تح: عبد الله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٨٩.

(٣) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص١٣٠، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع،قسم ٢،مط،السعادة،القاهرة،١٩٧٧م،ص/ ١٥٣.

(٤) بامطرف، محمد عبدالقادر:المختصر في تاريخ حضرموت العام،ط١،دار حضرموت للدراسات والنشر،المكلا،٢٠٠١م، ص٨٣.

(٥) بامطرف، المرجع السابق، ص٨٣،البكري، صلاح عبدالقادر: تاريخ حضرموت السياسي،ج١، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة ١٩٣٦م،ص٩٥.

أربعة آلاف أشرفي ذهباً[(١)].

في ظل هذا الوضع عاش العلامة بحرق، وأقام علاقة إيجابية مع مختلف القوى السياسية في اليمن، فكان مقربًا من السلطان الظافر الثاني، ومدحه عندما شرع في إعادة بناء جامع زبيد وترميمه[(٢)] وقد كان ذلك في رمضان ٨٩٧هـ، وكلف بالبناء والي زبيد ابن شريف، والمعمار شمس الدين علي بن حسن العكبار[(٣)]، ومما مدح به عامر بن عبدالوهاب قوله:

أبى الله إلا أن تحوز المفاخرا   فسَّماك من بين البرية عامرا[(٤)]

وعلى الجانب الآخر في حضرموت كانت علاقته أكثر من جيدة مع آل كثير، وتولى لهم في الشحر القضاء والإفتاء مدة زمنية [(٥)]، وتتضح علاقته المتميزة بالقوى السياسية في تركه للعمل مع آل كثير وسفره إلى عدن، والإقامة بجوار واليها مرجان المحب للعلماء والمتصوفة، ومكث إلى جواره إلى أن مات ٩٢٧هـ[(٦)]، والظاهر أن مكانته العلمية هي التي جعلته محط احترام وتقدير مختلف القوى السياسية في اليمن وخارجها؛ إذ انتهى به المطاف في بلاط أحد سلاطين الهند(كجرات)، ويدعى السلطان مظفر شاه الثاني(٩١٧-٩٣٢هـ)[(٧)]

٢-التغييرات المناخية وأثرها على الأوضاع الصحية في حضرموت خلال عصر بحرق:

شهدت حضرموت خلال عصر بحرق عددًا من المتغيرات المناخية الواضحة المعالم،

---

(١) الشلي،محمد بن أبي بكر باعلوي: السناء الباهر بتكملة النور السافر في أخبار القرن العاشر، تح: إبراهيم بن أحمد المقحفي،مكتبة الإرشاد،صنعاء،ط١،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١١٤.

(٢) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ٨/ ٢٥٣، الشلي، السناء الباهر، ص٢١٠.

(٣) ابن الديبع، قرة العيون، ٢/ ١٨٨.

(٤) باوزير،سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة،عدن، د.ت، ص١٤٥.

(٥) العيدروس،محيي الدين عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله:النور السافر في أخبار القرن العاشر،دار الكتب العلمية،ط١،بيروت،١٤٠٥هـ١٩٨٥م، ص٢٠٦، الشلي، السناء الباهر، ص١١٣.

(٦) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٦، بافقيه، محمد بن عمر الطيب:تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المربين والأولياء الصالحين،تح:أحمد صالح رابضة، دار جامعة عدن للدراسات والنشر، سلسلة الكتاب المرجعي(٤)،عدن،٢٠١١م، ص١٣٩-١٤٠.

(٧) العيدروس، النور السافر، ص٢١٠ -٢١١، بافقيه، حوادث السنين، ص١٤٢،ينظر عن السلطان مظفر شاه: زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الأسلامي،ص٣٣٥-٣٣٦.

وأشارت لها المصادر في حولياتها على التوالي، فتنوعت ما بين طوفانات وأعاصير وأمطار غزيرة، وتركت أثرًا واضحًا على مجريات الحياة العامة، وارتبطت هذه التقلبات المناخية بالنجوم والأنواء المعروفة في التراث الحضرمي، وكان أثرها جليًا ما بين برودة قارسة إلى قيض ساخن، كان أبرزها الغيث الذي ارتبط بنجم الإكليل في ٨٩٤هـ، وأخذ الكثير من المواشي، والثمار، والناس، والنخل في حضرموت[١]، وكذا طوفان ٩١٣هـ، الذي عَمَّ السواحل وأغرق سفنًا في البحر، وأخرى في مرسى الشحر بلغت ٣٠ مركبًا [٢]،وفي العام نفسه وفي نجم القلب حدث برد شديدٌ أحرق المزروعات[٣]، ويبدو أن ذلك ترك أثرًا على حياة الناس، فحدثت مجاعة في العام نفسه في حضرموت والسواحل، ارتفعت بسببها الأسعار وغلا كل شيء؛ بسبب قلة الثمار والأمطار [٤].

ومن هذه التقلبات المناخية شهد عام ٩١٥هـ حدثًا غريبًا في حضرموت، تمثل في طلوع عمود أبيض من جهة المشرق، استمر عشرين يومًا، وأعقبه برد شديد أحرق الأجساد، وجمد الماء، وأحرق الخضروات والنخل[٥].

وكان أثر هذه المتغيرات جليا على مختلف بلدان حضرموت، فضربت البلاد سنة ٩١٨هـ أوبئة (عك) في منطقة دوعن، مات فيها كثير من أهل بضه والكسر وحضرموت واليمن، وكان هذا المرض عبارة عن حمى شديدة[٦].

وتوالت المجاعات والأوبئة خلال هذه المدة، فوقع في تريم سنة ٩١٩هـ، (هارة) وهي قحط شديد (مجاعة)، مات فيها خلق كثير من مختلف القبائل، ومات من السادة آل باعلوي ستون رجلًا غير الصبيان[٧].

(١) شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢٠٧.
(٢) المصدر السابق، ٢٢٦.
(٣) المصدر السابق ٢٢٧
(٤) المصدر السابق ٢٢٨
(٥) المصدر السابق، ٢٤٠
(٦) المصدر السابق، ٢٥٣
(٧) المصدر السابق، ٢٥٦

ومما ورد نجد أن التغييرات المناخية جعلت حضرموت خلال هذه المدة عرضة لأنواع الأمراض والأوبئة، التي دفع فيها مجتمع حضرموت آلاف الضحايا(١)، ويبدو لنا جليًا من خلال ما تعرضت له حضرموت، في أثناء هذه المدة الحاجة الملحة لعلم الطب، والتداوي وهو ما ظهر جليًا في مصنفات بحرق.

٣-تاريخ الطب والتداوي في حضرموت:

تمت الحاجة إلى التداوي والتطبيب، مع حاجة الإنسان إلى الاستمرار والبقاء كغريزة إنسانية، وُيعَّد تاريخ الطب أقدم فروع تاريخ العلوم (٢)، وكان للعرب مشاركة في هذا العلم عبر تاريخهم بمختلف مراحله، وقد ترجم ابن أبي أصيبعة في كتاب "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" ميراث هذه الأمة وصلتها بمختلف المجتمعات البشرية(٣).

ولليمن دور أساسي في تطور مختلف العلوم، وهناك من أشار إلى دور سحرة أهل اليمن في اكتشاف هذا العلم(٤)، وفي الصدد نفسه فإن المجتمع الإنساني في حضرموت كان بحاجة لهذا العلم ؛ نتيجة لما تعرض له من أنواع الأوبئة والأمراض، التي كثر ضحاياه في كل وباء(٥).

بَيْدَ أن المصادر لا تشير إلى الأطباء والمشتغلين بعلم الطب إلاَّ النزر اليسير فمنهم في القرن السابع الهجري الشيخ سالم بن بصري بن عبدا لله (ت ٦٠٤هـ)، والذي كان يعالج بالرقية الشرعية(٦)، وفي القرن الثامن الهجري برز الطبيب والعالم الشيخ سعد بن محمد بن أحمد بن أبي فضل، والذي اشتهر أنه عالمٌ بالطب والكيمياء(٧)، وله تأليف في علم الطب

---

(١) عبدالنور، محمد يسلم، الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن(الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)، منشورات وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠١٠م، ص٤٦٢.

(٢) الشمري، محمد كريم إبراهيم، إسهـامات أهل اليمن في علم الطب والطب البيطري (دراسة في التراث العلمي العربي) مجلة سبأ، ١٣٤، شوال ١٤٢٥هـ، ديسمبر ٢٠٠٤م، ص٩٢.

(٣) الشمري، إسهـامات أهل اليمن، ص٩٢.

(٤) المرجع السابق، ص٩٣، ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء، منشورات مكتبة الحياة،بيروت، د.ت،ص١٢.

(٥) عبدالنـور، الحياة العلمية في حضرموت، ص٤٦٢.

(٦) الخطيب، الجوهر الشفاف، ١/ ٥٩/ ٦٠، الشلي المشرع الروي، ص/ ١١٢.

(٧) الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م):السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء ج٢، ط٢، ١٤١٦هـ /

أسماه "المنوال في تفسير ما أشكل من العلل والأدوية والإبدال"(١).

وتعد رسالة العلامة محمد عمر بحرق في الطب منتهى ما وصل إليه تطور علم الطب والعقاقير في حضرموت، خلال مطلع القرن العاشر الهجري، ويتضح من مضمونها وتبويبها حنكة وخبرة العالم والطبيب بحرق(٢).

وهذا يؤكد للباحث أن محمد بن عمر بحرق لم يك بدعًا في علم الطب في حضرموت، وإنما كان ثمار سلسلة من العلماء والأطباء في حضرموت، خلال القرون السابقة لعصره، وما نتاجه الغزير من أراجيز وشروح في هذا العلم وغيره إلا استمرار لجهود هؤلاء الحكماء.

المبحث الثاني: (تعريف بالعلامة بحرق)

اسمه:

جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بن عبدالله بن علي الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير ببحرق بحاء مهملة بعد الموحدة، ثم راء مفتوحة بعدها قاف(٣)،كان مولده ليلة النصف من شعبان ٨٦٩هـ بحضرموت(٤)، نشأ ونال حظه من التعليم الأولي بها فحفظ القرآن في صباه(٥)، ثم انطلق في رحاب العلم وعلى أيدي علماء حضرموت تعلم فحفظ معظم الحاوي، ومنظومة البرماوي، والأصول وألفية النحو بكاملها (٦)، وكان الفضل في ذلك لجماعة من

١٩٩٥م، ٢/ ٤٨٦، الخطيب،عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن(٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب السادة الأشراف،نسخه حديثة بخط علي بن سالم الخطيب،١٤١٠هـ، ١/ ٢٣٧، بامخرمة، عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبدا لله بن أحمد، قلادة النحر في وفيات الدهر، ج٣، تح: محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ٣/ ٢١٢١،عبدالنور، محمد يسلم، منهج الخطيب التريمي ومادته التاريخية في كتابة الجوهر الشفاف، دار تريم للدراسات والنشر،٢٠١٤م.

(١) بافضل، محمد بن عوض، صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٩٧.

(٢) ينظر: بحرق، محمد بن عمر، رسالة في الطب، ت: أحمد صالح رابضة، مطابع دار الإبداع،عدن،٢٠١٠م، ص١٥-١٦، ص ٣٨.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع،٨/ ٢٥٣. العيدروس النور، السافر، ص٢٠٢، بافقيه، حودث السنين، ص١٣٨، الشبلي السنا، الباهر، ٢٠٩.

(٤) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٥، بافقيه، حوادث السنين، ص١٣٨.

(٥) العيدروس، النور السافر، ٢٠٥، بافقيه، حوادث السنين، ص١٣٩، السخاوي، الضوء اللامع،٨/ ٢٥٣.

(٦) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٥، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٩.

فقهاء حضرموت، ومنهم الفقيه الصالح محمد بن أحمد باجرفيل الدوعني[(١)] صاحب غيل أبي وزير[(٢)]، وكذا أخذ عن العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بافضل في الشحر[(٣)].

رحلاته العلمية:

أ- رحلته إلى عدن:

شهدت عدن المرحلة الأخرى من مسيرة بحرق العلمية خارج بلاد حضرموت، وفي عدن لازم الفقيه عبدا لله بن أحمد بامخرمة، ودرس عليه الفقه وأصوله وكذا العربية، وقد وصف أن جل انتفاع بحرق ببامخرمة، فمما تلقاه عنه جميع ألفية ابن مالك في النحو، وسيرة ابن هشام، وجملة صالحة من الحاوي الصغير في الفقه فضلًا عن جملة من علوم شتى[(٤)]

وفي عدن لم يقتصر طلبه للعلم على با مخرمة، وإنَّما درس أيضًا على الفقيه محمد بن أحمد با فضل[(٥)]، أحد أشهـر العلماء الحضارمة بعدن.

ب- رحلته إلى زبيد:

استمر بحرق في جني ثمار العلم على أيدي علماء اليمن، فكانت رحلته إلى زبيد، وعلى علمائها تنوعت إجادته للعلوم المختلفة، فدرس علم الحديث على الفقيه زين الدين محمد عبداللطيف الشرجي، وكذا عن محمد بن أبي بكر الصايغ[(٦)]. واستفاد من الأخير أيضًا في علم أصول الفقه والتفسير والنحو، وقرأ عليه شرح البهجة الوردية لأبي زرعة[(٧)] وفي زبيد أيضـًا، درس على الشريف السيد حسين عبدالرحمن الأهدل[(٨)]، وفي زبيد تزوج عند عودته من الحج سنة ٨٩٤هـ بابنة الشيخ حمزة الناشري[(٩)].

---

(١) العيدروس، النورالسافر، ص٢٠٥، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٩.
(٢) بافقيه، حوادث السنين، ص ١٩.
(٣) الشلي، السناء الباهر، ص٢١٠.
(٤) العيدروس،النورالسافر،ص٢٠٥،بافقيه،حوادث السنين،ص١٣٩،السخاوي،الضوءاللامع٨/ ٢٥٣.
(٥) العيدروس، النورالسافر، ص٢٠٥، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٩.
(٦) العيدروس، النورالسافر، ص٢٠٥، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٩.
(٧) العيدروس، النورالسافر، ص٢٠٥، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٩.
(٨) العيدروس، النورالسافر، ص٢٠٥، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٩.
(٩) السخاوي، الضوء، ٨/ ٢٥٣، الشلي السناء الباهر، ص ٢١٠.

ج- رحلته إلى مكة:

نال بحرق شهرة واسعة، ومرد ذلك إلى جدِّه واجتهاده في طلب العلم، وكانت رحلته إلى الحجاز للحج وطلب العلم معًا، وفيها حج وسمع من الحافظ السخاوي(١)، ومما أورده السخاوي عن بحرق في ترجمته يتضح مدى العلاقة التي ربطت بحرق بالحافظ السخاوي، إذ تتبع أخباره حال عودته إلى زبيد وزواجه وإنجابه من ابنة الشيخ حمزة الناشري صاحبه(٢)، وقد كانت رحلته للحج إلى مكة في ٨٩٤هـ ؛ إذ وافقت مجاورة الحافظ السخاوي عامي ٨٩٣ و ٨٩٤هـ، في حجته الثانية(٣).

د- رحلته الثانية إلى عدن:

عاد الفقيه محمد عمر بحرق في آخر عمره إلى عدن، وطاب له المقام فيها وخلال وجوده بعدن اتصل بوالي المدينة، فحصل له القبول عند الأمير مرجان الظافري(٤)، الذي اشتهر عنه حبه للعلماء والصالحين(٥) إلا أن وفاة الأمير مرجان في عام ٩٢٧هـ أثر على بقائه في عدن مما جعل الفقيه يعزم على مغادرة عدن إلى الهند (٦).

هـ- رحلته إلى الهند ووفاته:

لم يطب المقام للعلامة بحرق في عدن بعد وفاة صاحبها مرجان الظافري، فغادر إلى الهند، وفيها نال مقامًا عاليًا لدى السلطان مظفر شاه الثاني سلطان (كجرات) فقربه إليه، وزاد من تعظيمه وتبجيله لما عرف عنه من علم ومقام، فأنزله المنزلة التي تليق بمقامه(٧).

---

(١) العيدروس، النور، ص ٢٠٦، الشلي، ص ٢١٠، بافقيه، حوادث السنين، ص١٣٩.

(٢) السخاوي، الضوء اللامع، ٨/ ٢٥٣.

(٣) السخاوي، الضوء اللامع، ١/ ٣، ٨/ ٢٥٣.

(٤) العيدروس، النور السافر ٢٠٦، بافقيه، حوادث السنين،ص١٣٩-١٤٠.

(٥) كان للأمير مرجان اعتقاد ظاهر في الشيخ أبي بكر العيدروس، وبنى له رباطًا وقبة بعد موته، ودفن هو الآخر إلى جوار العيدروس في تلك القبة، وذكر بحرق عنه عددًا من الكرامات في كتابه مواهب القدوس، العيدروس،النور السافر،ص١٢٨،ص١٨٩.

(٦) ابن الديبع، الفضل المزيد، ص٢٤٢، بامخرمة،قلادة النحر،٣/ ٣٧٦٩،الشلي،السناء الباهر،ص٢١٣.

(٧) العيدروس، النور السافر ٢٠٦، بافقيه، حوادث السنين،ص١٣٩-١٤٠.

ويبدو أن هذه المنزلة أثارت حفيظة وزراء دولة السلطان مظفر من الفقيه محمد بحرق، ومن ذلك قيامة بمحاربة عدد من الأعمال التي تمارس في الدولة ومنها السحر[١]؛ وهذه المنزله أثارت بعض الوزراء المقربين من السلطان، وهو ما أدَّى إلى الكيد له ووفاته مسمومًا[٢] ليلة ٢٠ شعبان ٩٣٠هـ[٣]، بعد ثلاث سنوات من قدومه إليها من عدن، ويكون بذلك قد توفي عن إحدى وستين سنة[٤].

المبحث الثالث: (جهوده العلمية)

يمكن إيجاز جهود بحرق العلمية في عدة نقاط أهمها:

١- مكانة بحرق العلمية:

بلغ محمد عمر بحرق باجتهاده مكانة عالية بين أقرانه من علماء حضرموت خلال أواخر القرن التاسع، والثلث الأول من القرن العاشر الهجري، فقد وصف أنه: "من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين، اشتغل بالعلوم وتفنن في المنطوق منها والمفهوم وتمهر في المنثور والمنظوم"[٥]، وهذا أعطاه حظًا أعلى في جميع فنون العلم، ومن ثم جاء نتاجه العلمي متميزًا في جميع العلوم، كالحديث، والتصوف، والنحو والصرف، والحساب، والطب، والأدب، والفلك [٦]. وقال عنه با فقيه[٧]: "ما رأيت أحدًا من علماء حضرموت أحسن ولا أوجز عبارة منه".

وتتضح مكانته في وصف المصادر له بعدد من الألقاب منها الشيخ الإمام البارع، العالم العلامة، والحبر الفهامة، المفتي[٨]، وقد تجلَّت مكانته العلمية في إحقاقه للحق وإثابته ولو على نفسه، في خلافه مع الفقيه ابن عبسين الفقيه الشحري[٩] في إحدى المسائل والتي كادت أن

(١) العيدروس، النور السافر، ٢١٠، بافقيه، حوادث السنين، ص١٤١.
(٢) العيدروس، النور السافر، ص٢١٠-٢١١، بافقيه،حوادث السنين ص١٤٢.
(٣) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٢، بافقيه، حوادث السنين، ص١٣٨.
(٤) بحرق، رسالة في الطب، ص١٢.
(٥) العيدروس، النور السافر، ص ٢٠٢٠، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٨.
(٦) العيدروس، النور السافر، ص ٢٠٢، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٨.
(٧) حوادث السنين، ص ١٣٨.
(٨) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٢، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٨.
(٩) الفقيه عبدالله بن محمد بن حسن بن محمد بن عبسين (ت ٩٠٧هـ)،عمل بالتدريس والفتوى والقضاء في الشحر، واشتهر بالعدل،ومن أعماله نسخ المصاحف العيدروس، النور السافر، ص ٤٦،٤٥،٤٤.

تتحول إلى مشكلة كبيرة بينهما، وعندما جاءه ابن عبسين بالدليل من كتاب الروضة للنووي، رجع عن قوله من على المنبر وأمام الجميع(١).

٢- جهود بحرق في مجتمع حضرموت:

عاد بحرق من رحلاته العلمية واتصاله بعلماء اليمن والحجاز إلى حضرموت، ليقدم علمه وجهده لبلاده، فاشتغل بالتدريس والفتوى، وتولى القضاء للدولة الكثيرية في الشحر، وخلال مدة عمله لقيت أعماله وأحكامه القبول والرضى(٢)، وتصدى للتدريس في الشحر أيضـًا، ودارت المناظرات مع أقرانه أمثال الفقيه ابن عبسين(٣)، وهو ما أثرى الحياة العلمية في حضرموت، وخلال هذه المدة صنف في مختلف العلوم ومنها: الحديث، والنحو، والصرف، والحساب، والطب، الأدب، والفلك(٤).

وكانت له مساهمات في المنثور والمنظوم، التي غلبت على جميع أعماله.

٣- مؤلفاته:

وصف بحرق بأنَّه صاحب اليد الطولى في جميع فنون العلم وصنف في جميعها، كالحديث، والتصوف، والنحو، والصرف، والحساب، والطب، والأدب، والفلك(٥) -هي العلوم السبعة القديمة- وهو ما يدل على سعة علمه وغزارة إنتاجه، وأحصيت مؤلفاته، فبلغت ثلاثين مصنفًا(٦) ويمكن عرضها على النحو الآتي:

١. تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية(٧).
٢. الأسرار النبوية في اختصار الأذكار النووية(٨).
٣. مختصر الترغيب والترهيب للمنذري.

---

(١) بافقيه، حوادث السنين ص٤٦.
(٢) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٦، بافقيه، حوادث السنين، ص١٣٨، الشلي، السناء، ص٢١٣.
(٣) بافقيه، حوادث السنين، ص٤٦.
(٤) بافقيه، حوادث السنين، ص٤٦.
(٥) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٢، بافقيه، حوادث السنين، ص١٣٨.
(٦) باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٤٣، بحرق، رسالة في الطب، ص٩.
(٧) قام بتحقيقه محمد غسان نصوح عزقول تحت عنوان الحدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ونشرته دار المنهاج بجدة الطبعة الثانية،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
(٨) قامت بطبعه دار المنهاج،جدة،١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٤. كتاب الحديقة الوثيقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة[١].
٥. كتاب عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر.
٦. كتاب العقد الثمين في إبطال القول بالتقبيح والتحسين.
٧. كتاب الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسـول[٢].
٨. كتاب العقيدة الشافعية في شرع القصيدة اليافعية.
٩. كتاب شرح الحواشي المفيدة على أبيات اليافعي في العقيدة.
١٠. مختصر المقاصد الحسنة.
١١. المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن[٣].
١٢. كتاب النبذة المنتخبة من كتاب الأوائل للعسكري.
١٣. كتاب ترتيب السلوك إلى ملك الملوك.
١٤. كتاب متعة الأسماع بإحكام السماع.
١٥. كتاب النبذة المختصرة في معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة.
١٦. المختصر من كتاب الإمتاع.
١٧. كتاب شرح الملحة[٤].
١٨. كتاب مواهب القدوس في مناقب العيدروس.
١٩. شرح لامية ابن مالك في التصريف وله شرح أصغر منه.

---

(١) طبعته دار الحاوي للطباعة والنشر،صنعاء،١/ ١/ ٢٠٠٢م، والطبعة الثانية،١٤١٥هـ، وطبعته مكتبة المدينة ٢٠١٣م..

(٢) وأول من حققه حسنين محمد مخلوف ١٣٨٦هـ، ونشرته مطبعة المدني بالقاهرة، ثم قام بتحقيقه محمد بن الحبيب المغربي في رسالة علمية ونشرته مؤسسة الرسالة،٢٠٠٨م،وحققه أيضا الشيخ أكرم مبارك عصبان،حضرموت ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

(٣) حققه حسن سالم شهبا تحت اسم ذخيرة الإخوان المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن، ونشره مع دراسة متكاملة عنه في مجلة البحوث والدراسات الإسلامية بالمملكة العربية السعودية العدد ١٣ للسنة التاسعة.

(٤) طبع أربع طبعات منها عن المكتبة التوفيقيه، والثانية عن دار المشاريع ١/ ١/ ٢٠٠٠م، والثالثة عن المكتبة العصرية ١/ ٥/ ٢٠٠٣م وتحقيق سالم شمس الدين، والرابعة في ٢٣/ ٢/ ٢٠١٦م بتحقيق علي بن محمود العسكري.

٢٠. مختصر شرح الصفدي على لامية العجم[١].
٢١. منظومة في الطب وشرحها.
٢٢. ثلاثة شروح بسيط ووسيط وجيز على أبيات الشيخ عبدا لله اليافعي[٢]
٢٣. حلية البنات والبنين وزينة الدنيا والدين[٣]
٢٤. أرجوزة في الحروف وشرحها وأسماها (فتح الرؤوف في معاني الحروف)[٤]
٢٥. تحفة القاري والمقري شرح مقدمة ابن الجزري[٥]
٢٦. ترجمة المستفيد لمعاني مقدمة التجويد وهو شرح المقدمة الجزرية [٦]

وكفى بما سبق مصباحًا منيرًا فيما قدمه بحرق من جهود علمية أسهمت في إثراء التراث العربي والمكتبة العربية في القرن العاشر وما تلاه، إلا أنه للأسف الشديد أن كل ما قدمه بحرق لم تصله يد العناية بالتحقيق والنشر إلا في القدر اليسير[٧]، ومازالت كثير من أعمالة بحاجه للتحقيق والنشر والدراسة.

٤- تصوفه:

يُعدُّ بحرق ابن بيئة التصوف في حضرموت وكذا في عدن، إلا أن ذلك كان تصوفًا طبيعيًا تأثر فيه بمظاهر النشاط العلمي والزهد، في بيئتي حضرموت وعدن، وفي زبيد وعلى أيدي مريديها ومشايخها تعمق في التصوف على يد الشريف حسين بن عبدالرحمن الأهدل الذي

---

(١) نشرها السيد عمر حسين الخشاب بعنوان نشر العلم في شرح لامية العجم في الهند عام ١٣٢٠هـ.، وطبعته دار المنهاج بجدة،١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
(٢) العيدروس، النور السافر، ص٢٠٦، ٢٠٧، بافقيه، حوادث السنين، ص١٤٢، الشلي، السناء الباهر، ص٢١٠-٢١١.
(٣) ونشرتها دار الحاوي بصنعاء ١/ ١/ ١٩٩٦م وردت باسم فوائد في الطب من حلية البنات والبنين ضمن فهرس المخطوطات اليمنية (الأحقاف) التي طبعت تحت إشراف أحمد صالح رابضة وآخرين عن دار جامعة عدن للطباعة والنشر،عدن،٢٠١٣م.، ص٣٥٦.
(٤) الشلي، السناء الباهر، ص٢١١.
(٥) قام بدراستها عبدالله سالم باحارث كرسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
(٦) حققه عادل محمد الشنداح،وطبع بمطبعة أنوار دجلة،العراق،١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
(٧) بحرق، رسالة في الطب، ص٩مقدمة المحقق.

ألبسه خرقة التصوف(١)بادئ ذي بدئ، فسلك بذلك سلوك المتصوفة ومنهجهم فقال عن نفسه: (دخـلـت الأربعينية بزبيد فما أتممتها إلا وأنا أسمع أعضائي كلها تذكر الله(٢)، ولاحقًا صحب السيد الكبير الشيخ أبابكر بن عبدالله العيدروس، وأخذ عنه وانتفع به (٣)، وأورد عنه العديد من الكرامات والمكاشفات، وهو ما يوحي بتجذره في مسلك التصوف(٤)، وألف عن شيخه العيدروس مؤلفًا(٥)، وروى فيه عدد من الكرامات والمكاشفات(٦).

المبحث الرابع: (الجهود الطبية لبحرق في كتابه رسالة في الطب)

تتضح جهود بحرق العلمية فضلًا عَّما سبق من جهوده في المبحث الثالث من الدراسة في رسالته في الطب، التي أبرزت جوانب عدة من هذه الجهود للعلامة بحرق وقد تناولت الدراسة على النحو الآتي:

١- منهج بحرق:

تتضح أهمية رسالة في الطب للعلاَّمة بحرق من دقة المنهج العلمي المتبع فيها؛ حيث إنها عبارة عن منظومة في ١٦١ بيتًا، ثم علق عليها بما يتلاءم مع الأبواب والفصول، وعلق بحرق على ذلك بقوله: "هذا تعليق لطيف على نبذتي المنظومة في أصول عن الطب) (٧)، وأن الهدف من تصنيفها تعريف المبتدئين بعلم الطب "تبصرة للمبتدئ، تذكرة للمنتهي" (٨).

وتطرق بحرق في المقدمة للعلاقة بين الإنسان والبيئة وأثرها على الإنسـان والبيئة، منطلقًا في ذلك من منظور ديني في معرفة (النفع والضر) في المعايش والتوسط في ذلك، وعدم الإسراف، مستشهدًا بالقرآن الكريم، والحديث الشريف للتعريف بعلم الطب ومكانته وحكمه(٩).

---

(١) العيدروس، النور السافر، ص ٢٠٥، بافقيه، حوادث، ص ١٣٩.

(٢) العيدروس، النور السافر، ص ٢٠٥، بافقيه، حوادث، ص ١٣٩.

(٣) العيدروس النور، ص٢٠٥، بافقيه، حوادث السنين، ص ١٣٩.

(٤) بافقيه، حوادث السنين، ص ٧٣.

(٥) المصدر السابق والصفحة نفسها

(٦) العيدروس، النور ص٢١٠، بافقيه، حوادث السنين، ص١٤١.

(٧) بحرق، رسالة في الطب، ص٣٣

(٨) المصدر السابق، ص٣٣

(٩) المصدر السابق، ص٣٦

وانطلق من فهم واعٍ في تقسيمه لعلم الطب إلى قسمين: الأول حفظ الصحة بالتدبير والآخر جلب الصحة بالعلاج(١)، مستخدمًا منهجًا علميًا واضحًا في تقسيم منظومته إلى ثلاثة أبواب هي:

١. باب تدبير الصحة.

٢. باب في العلل الحادثة بزيادة الطبائع، وأسبابها، وعلاماتها، وعلاجها.

٣. باب في طبائع بعض الأغذية والأدوية(٢)

وأشار في آخر الرسالة إلى مصادره بقوله: "فهذا ما يسر الله تعالى من ذكر ما يحضر جهله، من أصول علم الطب في هذه الثلاثة الأبواب السابقة، ومن أراد بسط ذلك، ففي كل باب منها كتب مدونة"(٣).

٢- مصادر بحرق:

اعتمد العلامة محمد بن عمر بحرق في رسالته على عدد من المصادر التي ساعدته في الإلمام بجوانب مختلفة من علوم الطب، والتي أسهمت في غزارة مضمون الرسالة بدقائق المعلومات، وكيفية توظيفها علميًا، وطريقة الاستخدام، وأبرز مصادره كانت:

- القرآن الكريم: استشهد بعدد من آيات الذكر الحكيم لمناسبتها للموقف كون القرآن لا ينطق عن الهوى، وقد أورد عددًا من الاستشهادات حول أهمية التداوي والاعتماد بالشفاء على الله ونحو ذلك (٤)

- الحديث النبوي الشريف: حيث إن الحديث مفسر للقرآن الكريم، وقد وردت في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله العديد من الإشارات للطب والتداوي، ووظفها بحرق في مواضعها المناسبة فكان خير استشهاد(٥).

---

(١) المصدر السابق، ص٣٨

(٢) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق، ص٩٨

(٤) بحرق رسالة في الطب، ص٣٦.

(٥) المصدر السابق، ص٣٧، ٤٦-٤٩، ٦٧، ٨٤، ٨٢.

- تأكيد الصحابة لفعل النبي (صلى الله عليه وسلم) وكذا أفعال وأقوال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[1].

- وفي هذا الإطـار أشار إلى مساهمة الإمام الشافعي في علم التأليف والتطبيب، لما له من أتباع ومريدين في حضرموت[2].

وأشار بحرق لمصادره الأصلية، وأحيانًا يعبر عنها (بـ قال الحكماء) وأبرزها "المفردات في خواص الأدوية والأغذية" لابن البيطار، والمصدر الآخر المهم في رسالته كان "تقويم الأبدان لابن جزله في العلل وعلاماتها وأسبابها" [3].

كما اعتمد على الخبرات العلمية الموروثة لدى المجتمع الحضرمي، وقد أشار لذلك في أكثر من موضع من رسالته بقوله:"وهو الذي تسميه أهل حضرموت والشحر، الربيع، الصيف، الخريف، الشتـاء"[4]، وكذا عند إشارته لبعض الاستعمالات "ويكثر استعماله في جهة حضرموت والشحر"[5]، وبعض المسميات المحلية لبعض الأدوية والأمراض[6].

ومن الملاحظ أن تعدد المصادر المستعملة والخبرة التي اكتسبها بحرق، هي ما عززت من قيمة ومضمون رسالته وجزالتها.

٣- أنواع الأغذية:

أشار بحرق في رسالته إلى أنواع الأطعمة والأغذية الشائع استعمالها في حضرموت و الشحر[7]، وأنواعها من حـارة رطبة، وحارة يابسة، والباردة الرطبة والباردة اليابسة، وأثرها على صحة الإنسان وفوائد كل منها العلاجية وأهمـها:

- الحبوب: البر ويسمى الحنطة والقمح أيضـًا، ويصنع منـه خمير الحنطة والفطير والسويق[8]،

(١) المصدر السابق، ص٥٩.
(٢) المصدر السابق، ٣٧
(٣) المصدر السابق ٩٨.
(٤) المصدر السابق ٣٥.
(٥) المصـدر السابق: ٥٨.
(٦) المصدر السابق ص٦٥، ص٦٦، ص٧٠.
(٧) بحرق رسالة: في الطب ص ٥٨.
(٨) المصدر السابق، ص٥٩، ص ٦٨.

وحب اللوبيا[١]، والدخن الأصفر ويسمى في حضرموت المسيبلي[٢]، والأرز ويسميه أهل حضرموت (الرز)[٣]، والسمسم (الجلجل) كما يسميه أهل حضرموت[٤]، والأقطن أو المانش (الدجر)[٥]، والذرة وفطير الذرة، ولحوح الذرة وخمير الذرة [٦]، وحب الدجر الأبيض [٧]، والكشد أو الهربطان بلغة أهل اليمن والحنبص بلغة أهل حضرموت[٨].

- اللحوم، ومنها: لحم الضأن الكبش [٩]، والفراريج وأنواع الطيور [١٠]، ولحم الإبل والبقر، والغنم[١١]، ولحوم صيد البر كالغزلان، والأوعال، والأرانب[١٢].

- الألبـان والسمن: وذكر منها أنواعًا عديدة أهمها: زبد البقر، والغنم[١٣]، وكذا السمن من الإبل، والبقر، والغنم، والضأن[١٤]، واللبن[١٥]، واللبن الحامض[١٦] ودر الإبل أي لبنها.[١٧]، واللبن الرايب المنزوع الزبد الحامض[١٨]، والرايب المنزوع[١٩].

---

(١) المصدر السابق، ص٥٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٥.
(٣) المصدر السابق، الصفحة نفسها،
(٤) المصدر السابق، ص ٦٥.
(٥) المصدر السابق، ص ٦٦.
(٦) المصدر السابق، ص ٧٢.
(٧) المصدر السابق، ص٧٣.
(٨) المصدر السابق والصفحة نفسها.
(٩) المصدر السابق، ٦١.
(١٠) المصدر السابق، والصفحة نفسها.
(١١) المصدر السابق، ص٦١،ص٧٣.
(١٢) الصدر السابق ص ٧٣.
(١٣) المصدر السابق، ٥٩.
(١٤) المصدر السابق، ص ٥٩،ص٦٠.
(١٥) المصدر السابق،ص٦١.
(١٦) المصدر السابق، ٦٥.
(١٧) المصدرالسابق، والصفحة نفسها.
(١٨) المصدر السابق٧٢.
(١٩) المصدر السابق ونفس الصفحة.

- الحلويات: وهي أنواع مختلفة طبيعية ومصنعة منها: الفالوذج وهو أجودها ويسمى (المضروب) [١]، والفانيد وهو السكر ويستخدم للصبيان[٢]، والحلوى مع العسل [٣]، القند وهو السكر الأحمر [٤]، وقصب السكر [٥]، والعسل[٦].

- الفواكه: تعددت الخضر والفواكه في حضرموت وأشار بحرق لأهمها، وهي تستعمل علاجات لعدد من الأمراض على النحو الآتي:

الموز[٧]، العنب[٨]، والرطب[٩]، والتمر[١٠]، والكراث[١١]، والثوم[١٢]، والبصل[١٣]، والباذنجان[١٤]، والزبيب[١٥]، والحمر (التمر الهندي) الحومر بلغة أهل الشحر[١٦]، والنبق (الدوم)[١٧]، والليمون[١٨]، والبطيخ الأصفر[١٩]، والدبا والفجل[٢٠]، واللوز[٢١].

(١) المصدر السابق،ص٦٢.
(٢) المصدر السابق والصفحة نفسها.
(٣) المصدر السابق والصفحة نفسها.
(٤) المصدر السابق ص٦٢
(٥) المصدر السابق والصفحة نفسها
(٦) المصدر السابق ص٦٣.
(٧) المصدر السابق، ص٦٣، ص٧٤.
(٨) المصدر السابق، ص٦١.
(٩) المصدر السابق، ٦٣
(١٠) المصدر السابق ص ٦٥.
(١١) المصدر السابق ص٦٣.
(١٢) المصدر السابق، ٦٦.
(١٣) المصدر السابق والصفحة نفسها.
(١٤) المصدر السابق ص ٧٠.
(١٥) المصدر السابق ص ٦٢.
(١٦) المصدر السابق، ص ٧٢
(١٧) المصدر السابق ٧٣.
(١٨) المصدر السابق والصفحة نفسها.
(١٩) المصدر السابق ٧٤.
(٢٠) المصدر السابق والصفحة نفسها.
(٢١) المصدر السابق ص ٦٣.

- البهارات: تعددت البهارات المستخدمة في التداوي وأهم أنواعها: المصطكي أو العلك بلغة أهل حضرموت[1]، والحبة السوداء[2]، والحلتيت[3]، والفلفل[4]، والمر[5]، والسناء[6]، والزنجبيل[7]، والقرنفل[8]، واللبان الكندر[9]، وحب الرشاد (الحلف) أو الحبة الحمراء[10]، والحلبة[11]، والأهليلج بأنواعه الأخضر الزبيبي والصفار[12]، والملح[13].

- أنواع أخرى: وهناك أنواع أخرى من الأطعمة المستخدمة أبرزها: السمك المملح[14]، والسمك الطري[15]، والجراد[16]، والسليط[17]، والخل[18].

٤- تدبير الصحة (حفظ الصحة):

أدرك بحرق أهمية صحة الإنسان، وأفرد الفصل الأول من رسالته للحديث عن حفظ الصحة، أو ما أسماه تدبير الصحة وهو ما يناظر في العلم الحديث الطب الوقائي[19] وعدَّه

---

(١) المصدر السابق ص ص٦٦.
(٢) المصدر السابق ص ٦٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٦٩.
(٤) المصدر السابق، ص ٦٩.
(٥) المصدر السابق، ص والصفحة نفسها.
(٦) المصدر السابق ص ٦٨.
(٧) المصدر السابق والصفحة نفسها
(٨) المصدر السابق ٦٩.
(٩) المصدر السابق ص ٧١.
(١٠) المصدر السابق ٦٧.
(١١) المصدر السابق ٥٩.
(١٢) المصدر السابق ٧٠.
(١٣) المصدر السابق ٧٠.
(١٤) المصدر السابق ٧٠.
(١٥) المصدر السابق،ص٧٥.
(١٦) المصدر السابق ص٦٧.
(١٧) المصدر السابق،ص٦٧.
(١٨) المصدر السابق،ص٧٢.
(١٩) رابضة، مقدمة رسالة في الطب، ص ٢٥.

الأصل في حفظ الصحة الموجودة، بتدبير الأشياء الضرورية[١]، وعدد عشرة أمور يجب حفظها، والاقتصاد فيها دون إفراط ولا تفريط هي: "الوطء،الحركة، الرقاد، الأكل، الشرب، الهواء، سائر الأعضاء، العوارض النفسية، البول، الغائط، المعدة"[٢].

فالوطء لا يصلح إلا عند هيجان الشهوة وبغيرها، فله أضرار كثيرة والإكثار منه يجلب الهرم والضعف، وظهور الشيب قبل وقته[٣]، والحركة(الرياضة) يحتاجها الإنسان بقدر معين لهضم الطعام؛ وإذا لم يمارسها فلذلك ضرر كبير على الجسم[٤]، أمَّا النوم (الرقاد)، فأشار إلى فوائده ومقدار الإكثار منه ففيه ضرر وهرم[٥]، وفي الأكل فالاقتصاد على الغذاء المعتد، وحدد مقدار ذلك دون الشبع لتسهيل الهضم على المعدة[٦]، وفي الشرب نبه لأهمية تناول المياه الباردة العذبة التي تتعرض للشمس والشرب دون الارتواء وتجنب المياه الحارة أو المالحة[٧]، أماَّ الهواء، فقد أشارلأهمية الهواء اللين الشرقي (الصبا)، ونبه على الابتعاد عن الرياح والعواصف والأدخنة والروائح النتنة[٨]، أمَّا في البول والغائط فالمبادرة بإخراجها والحذر من إمساكها ومدافعنا لضررها[٩]، وتدبير المعدة بحفظها بما يعنيها على الهضم ويحفظ قوتها[١٠]، ونبه لحفظ سائر أعضاء البدن كالرأس بالدهن، والبدن بالغسل، والعين بالكحل، والالتزام بالآداب العامة، وأبرزها قص الشارب، والتقليم، ونتف الإبط، والسواك، ومشط اللحية، والشعر[١١].

---

(١) بحرق، رسالة في الطب، ص٤٠.
(٢) المصدرالسابق، ص ٤٠ ص٤١أ
(٣) المصدرالسابق، ص ٤١. ص٤٢
(٤) المصدرالسابق، ٤٣.
(٥) المصدر السابق، ٤٤.
(٦) المصدر السابق، ص ٤٩
(٧) المصدر السابق، ٥٢
(٨) المصدر السابق ص٥٣.
(٩) المصدر السابق، ٥٥
(١٠) المصدرالسابق والصفحة نفسها.
(١١) المصدر السابق، ص٥٤

وأشار أيضًا إلى الجوانب النفسية كالهمِّ، والغضب، والجزع وضررها على صحة الإنسان وضرورة اجتنابها[1].

٥- مفهوم بحرق للعلاقة بين الإنسان والطبيعة:

ينطلق بحرق في هذا الفهم للعلاقة بين الإنسان والطبيعة (الدنيا) من المفهوم العام السائد في العصور القديمة على زمنه؛ حيث عبر عن هذه العلاقة على النحو الآتي:

تكونت الدنيا من أربعة عناصر هي:

الدنيا (الطبيعة)[2]

الريح	النار	التراب	الماء
(باردة)	(حارة)	(يابس)	(رطب)

يتكون الإنسان (الجسد) من أربع طبائع[3]

السوداء	الصفراء	البلغم	الدم
بارد / يابس	حار / يابس	بارد/ رطب	حار / رطب
متولد من عنصر الأرض	متولد من عنصر النار	متولد من عنصر الماء	متولد عنصر الهواء
مسكنه الطحال	مسكنه المرارة	مسكنه الرئة	مسكنه الكبد
فصل الخريف	(فصل الصيف)	(فصل الشتاء)	فصل الربيع
(الشتاء في حضرموت)	الخريف في حضرموت	الربيع في حضرموت	الصيف في حضرموت

(١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢) بحرق، رسالة في الطب، ص ٣٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٤، ص ٣٥.

وهو بذلك يريد أن يقول إن هذه العلل (الأمراض) الأربعة السوداء، الصفراء، البلغم، والدم، مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بالأعضاء الأربعة الرئيسة في جسد الإنسان (الطحال، والمرارة، والرئة، والكبد)، وأن الغذاء سواء أكان باردًا أم حاراً، وارتباطه بالوقت (أي الفصل) يؤثر تأثيرًا مباشرًا في ظهور العلل والأمراض، وهنا تظهر الحاجة للتداوي.

٦-أنواع الأمراض:

تعددت الأمراض والأوبئة التي أشار لها بحرق في رسالته؛ وهي توأم التصنيف العلاجي اليوم لهذه الأمراض، ويمكن القول إن أغلبها انتشـرت في مجتمع حضرموت في عصر بحرق والأزمنة السابقة لعصره، ويتضح ذلك من طريقة العرض والخبرة التي اكتسبها المؤلف في الإلمام بجميعها، فضلًا عن استفاضته في ذكر طرق التداوي والتطبيب للحضارم، بالأعشاب، والفواكه، والخضر، والطعام[(١)]،

وأبــرز هذه الأمراض:

١- الأمراض الباطنية: أبرزها أمراض القلب[(٢)]، والكبد[(٣)]، والطحال والمعدة[(٤)]، وأورام الكبد[(٥)]، وداء البطن[(٦)]، وقبض البطن[(٧)]، وأنواع الديدان المختلفة[(٨)]، والصفراء[(٩)]، واليرقان (الصفار)، وهو مرض يسبب اصفرار عين الإنسان[(١٠)] وتشكل في مجملها محور علم الأمراض الباطنية المعاصرة.

(١) بحرق، رسالة في الطب، المحقق، ص١٢.
(٢) بحرق، رسالة في الطب، ص٧٨.
(٣) المصدر السابق، ص٧٠.
(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٥) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٦) المصدر السابق، ص ٦٥.
(٧) المصدر السابق، ص ٦٥.
(٨) المصدر السابق والصفحة نفسها.
(٩) المصـدر السابق، ص٦٧، ص٧٣.
(١٠) المصدر السابق،ص٧٨، ص٧٩.

٢- أمراض العظام: وهي الأمراض المرتبطة بحركة الإنسان وقوامه وأبرزها أوجاع الظهر[١]، والمفاصل[٢]، وأمراض العروق[٣] ونحوها.

٣- أمراض الصدر: وترتبط بالجهاز التنفسي والرئة وأبرزها: ضيق التنفس[٤]، والسعال[٥]، ومنه عدة أنواع: السعال اليابس يخرج معه البلغم[٦] والسعال الرطب[٧]، وكذا يبوسات الصدر[٨].

٤- أمراض المسالك والجراحة: وأبرزها حصن البول[٩]، والحصى[١٠]، والبواسير[١١].

٥- الأمراض الجلدية: وهي أكثر الأمراض الشائعة التي حظيت بإشارات عدة في رسالة بحرق، وأهمها: الجدري ويسمى في حضرموت القطيب[١٢]، وداء الثعلب[١٣]، والجرب[١٤]، والنمش[١٥]، والكلف[١٦]، والبهق والسدس[١٧]، والقوب ويسمى الحزاز[١٨]، والبرص وهو

(١) المصدر السابق، ص ٥٩، ص ٦٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٦٦، ص ٦٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٦٦.
(٤) المصدر السابق، ص ٦٩.
(٥) المصدر السابق، ص ٦٦، ص ٦٩.
(٦) المصدر السابق، ص٨٩
(٧) المصدر السابق، ص ٩٤.
(٨) المصدر السابق، ص ٥٩.
(٩) المصدر السابق، ص ٦٣.
(١٠) المصدرالسابق، ص ٦٣.
(١١) المصدر السابق، ص٦٣،ص٦٦، ٧٠.
(١٢) بحرق، رسالة له في الطب، ص٩، ص٩٢.
(١٣) المصدر السابق، ص ٨٢، ص٨٣.
(١٤) المصدر السابق، ص٨٤، ص٨٥، ٩٤.
(١٥) المصدر السابق، ص٨٢، ٨٤.
(١٦) المصدر السابق ونفس الصفحات نفسها
(١٧) المصدر السابق، ص ٨٢. ٨٤.
(١٨) المصدر السابق والصفحات نفسها

بياض يسري في البدن[١]، والتأليل هو لحم ينبت في البدن كالمسامير[٢]، والدماميل، وهي تجمع الدم تحت الجلد[٣]، وكذا القروح[٤]، وأشدها خطرًا وعدوى الجذام[٥].

٦- أمراض العيون: أمراض العيون هي الأخرى كان لها نصيبٌ وافرٌ خلال هذه المدة وأبرزها: الرمد[٦]، الغشاء في العين[٧]، والغشاء (من لا يبصر ليلًا ويسمى في حضرموت جهراً[٨]، وبياض العين، وأصله ماء أبيض ينزل من الدماء[٩]، نزل الماء الأصفر (العمى) [١٠].

٧- الحميات: من الأمراض السارية، واحتمال أنها ارتبطت بالتغيرات المناخية في حضرموت وأهمها: الحمى[١١]، وأشير منها على ثلاثة أنواع أخرى هي: حمى الورد وتُعرف بحمى الغب[١٢]، وحمى النافض، وحمى الربع ولها اسم آخر الثلث؛ لأنها تغيب يومين وتغرب في اليوم الثالث والرابع[١٣]، أمَّا أعظم الحميات واسماها بحرق أعظم الأسقام خطرًا فهي الحمى المطبقة[١٤].

٨- أمراض النساء: أشير أيضًا إلى أمراض النساء ومنها السقط[١٥]، وعسر الطلق[١٦]،

---

(١) المصدر السابق ص ٩٦.
(٢) المصدر السابق ص ٨٢. ٨٥.
(٣) المصدر السابق، ص٩٠، ص٩٣.
(٤) المصدر السابق، ص ٦٣.
(٥) المصدر السابق، ص٨٢، ٨٩.
(٦) المصدر السابق، ص٧٨،ص٩١.
(٧) المصدر السابق ص٦٦.
(٨) المصدر السابق، ص٨٤،ص٨٨.
(٩) المصدر السابق،ص٩٥.
(١٠) المصدر السابق، ص٧٩،٨٠.
(١١) المصدر السابق،ص٦١،ص٦٦.
(١٢) المصدر السابق،٧٩،٧٨،٧٣،٦٧.
(١٣) المصدر السابق، صص٨٤، ٨٦.
(١٤) المصدر السابق ص ٩٤، ص٩٥.
(١٥) المصدر السابق، ص ٨٤.
(١٦) المصدر السابق،ص٩٤.

والحيضة المحتبسة[١].

٩- الأورام: وأشير منها إلى نوعين هما: الأورام الصلبة[٢]، وأورام الكبد[٣].

١٠- أمراض أخرى: ومنها الجراح الرطبة[٤]، ونزف الدم[٥]، وكذا يبوسات العروق والأعضاء[٦]، ويبوسات الصدر[٧]. وكذا الأمراض النفسية وأشير منها إلى الوسواس والنسيان[٨]، وكذا الأوبئة[٩]، التي غالبا ما تنتشر بعد الكوارث الطبيعية أو الحروب والمجاعات.

النتائج والتوصيات

قدم بحرق في سنواته الإحدى والستين عاما خلاصة تجربة علمية فريدة، تركت أثرًا في التراث اليمني والعربي،من خلال نتاجه العلمي الثري والمتنوع، وهدفت الدراسة إلى إيضاح جوانب مختلفة من جهود بحرق العلمية، التي كانت على صلة وثيقة بالحياة العامة في حضرموت خلال أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري، ويمكن إيضاح ذلك في:

١. يعد عصر بحرق عصر تحولات سياسية بالغة الأثر في العالمين العربي والإسلامي، واشتداد الصراع الدولي بين البرتغاليين والمماليك ثم العثمانيين، وفي اليمن تمثل بزوال الدولة الطاهرية، وقيام السلطنة الكثيرية في حضرموت، وتعرض سواحل حضرموت لأخطاروأطماع البرتغاليين منذ مطلع القرن العاشر.
٢. أسهم علماء حضرموت في مختلف المجالات ومنها علم الطب، ويعد بحرق أحد أبرز علماء حضرموت في الطب، وأصبحت أعماله الطبية مرجعًا علميًا لأطباء

(١) المصدر السابق ص ٦٩.
(٢) بحرق، رسالة في الطب، ٥٩.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٠.
(٤) المصدر السابق، ص ٧١.
(٥) المصدر السابق، والصفحة نفسها
(٦) المصدرالسابق، ص ٧٠.
(٧) المصدر السابق، والصفحة نفسها.
(٨) المصدر السابق ص ٦٣.
(٩) المصدر السابق ص ٧٢.

حضرموت وحكمائها، يتناولونها بالدرس والنسخ إلى أن وصلت إلينا اليوم.

٣. أسهمت الرحلات العلمية والاتصال بالمراكز العلمية في حضرموت، وعدن، وزبيد، والحجاز، والاتصال بعلماء كبار: أمثال باجرفيل، وبامخرمة، والناشري، والسخاوي، والعيدروس، في صقل موهبة بحرق، وإنضاج فكره وهو ما اتضح في غزارة إنتاجه العلمي ووفرته.

٤. اتضح مدى خبرة بحرق ونباهته في الطب، من خلال كتابه رسالة في الطب، الذي برز في المنهج العلمي المتبع، وتعدد المصادر، ووعيه بكافة الأطعمة وإدراكها والأدوية واستعمالاتها، والفهم الواعي للأمراض والعلل المنتشرة وطرق علاجها.

ويوصي الباحث بما يأتي:

١. الجامعات والمراكز العلمية بإقامة ندوات تعريفية بعلماء اليمن وروادها في مختلف العصور، ومنهم بحرق ودوره العلمي في خدمة التراث الإسلامي بشكل عام.

٢. حث الجامعات والمراكز العلمية على نشر وتحقيق وبعث ما تبقى من أعمال بحرق المخطوطة في المكتبات الخطية في اليمن وخارجها.

٣. يوصي الباحث طلبة العلم في الجامعات اليمنية المختلفة بدراسة أعمال بحرق العلمية كلًا في مجال تخصصه لثراء إنتاجه وتنوعه.

المصادر والمراجع

١. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات مكتبة الحياة، د.ت.

٢. بافضل، محمد بن عوض، صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٣. بافقيه، محمد بن عمر الطيب (ت.١٠١١هـ/ ١٦٠٢م):تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المربين والأولياء الصالحين،تح:أحمد صالح رابضة،دار جامعة عدن للدراسات والنشر،سلسلة الكتاب المرجعي(٤)،عدن،٢٠١١م.

٤. بامطرف، محمد عبدالقادر: المختصر في تاريخ حضرموت العام،ط١،دار حضرموت للدراسات والنشر،المكلا،٢٠٠١م.

٥. باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة،عدن، د.ت.

٦. بامخرمة، عفيف الدين أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت: ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م): قلادة النحر في وفيات الدهر، ج٣، تح: محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٧. بحرق، محمد بن عمر، رسالة في الطب، تح: أحمد صالح رابضة، مطابع دار الإبداع، عدن،٢٠١٠م.

٨. البكري، صلاح عبدالقادر: تاريخ حضرموت السياسي،ج١-٢، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة ١٩٣٦م

٩. بلعفير، محمد صالح: العملة والتداول النقدي بعدن في عصر الدولة الطاهرية، مجلة سبأ (مجلة تاريخية حولية محكمة تصدر عن أقسام التاريخ والآثار،جامعة عدن، دار جامعة عدن،ع ١٤-١٥ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ/ يوليو ٢٠٠٧م.

١٠. الجندي، أبو عبدا لله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: ٧٣٢هـ / ١٣٣١م): السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء ج٢، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١١. الخطيب،عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن(٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب السادة الأشراف، نسخة حديثة بخط علي بن سالم الخطيب، ١٤١٠هـ.

١٢. ابن الديبع، وجيه الدين أبو الضياء عبد الرحمن بن علي (ت: ٩٤٤ه/ ١٥٣٧م):

١٣. قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع، قسم ٢،مط،السعادة،القاهرة،١٩٧٧م.

١٤. الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٥. رابضة، أحمد صالح وآخرون، فهـرس المخطوطات اليمنية (الأحقـاف)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر،عدن،٢٠١٣م.

١٦. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت: ٩٠٢ه/ ١٤٩٦م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م.

١٧. الشلي،محمد بن أبي بكر باعلوي(ت١٠٩٣هـ):

١٨. السناء الباهربتكملة النور السافر في أخبار القرن العاشر،تح:إبراهيم بن أحمد المقحفي،مكتبة الإرشاد،صنعاء،ط١،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٩. المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي،١٣١٩هـ/ ١٩٠١م،المطبعة العامرة الشرفية، مصر.

٢٠. شنبل، أحمد عبد الله (ت: ٩٢٠ه/ ١٥١٤ م):تاريخ حضرموت المعروف بـ: تاريخ شنبل، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط٢، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م.

٢١. العيدروس،محيي الدين عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله(ت١٠٣٨هـ/ ١٦٢٩م):النور السافر في أخبار القرن العاشر،دار الكتب العلمية،ط١،بيروت،١٤٠٥هـ١٩٨٥م.

٢٢. عبدالنور، محمد يسلم، الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن(الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين)، منشورات وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠١٠م.

٢٣. منهج الخطيب التريمي ومادته التاريخية في كتابة الجوهر الشفاف، دار تريم للدراسات والنشر،٢٠١٤م.

٢٤. محمد، كريم إبراهيم، إسهـامات أهل اليمن في علم الطب والطب البيطري (دراسة في التراث العلمي العربي) مجلة سبأ، ١٣٤، شوال ١٤٢٥هـ، ديسمبر ٢٠٠٤م.

العلماء الحضارم في مكة المكرمة
في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي

د. خالد حسن الجوهي

المقدمة:

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على بلاد الحجاز بوجود الحرمين الشريفين، اللذين كانا منذ ظهور الإسلام وما زالا قبلة للمسلمين من شتى بقاع الأرض سواء حجاجًا أو معتمرين أوزائرين ومجاورين لهذه المقدسات، وقد نتجت عن هذه التجمعات البشرية في الحرمين،أنشطة اقتصادية متمثلة في الحركة التجارية التي تشهدها المنطقة في أثناء موسم الحج،وحركة ثقافية وعلمية يتم فيها تدارس مختلف أنواع العلوم ويجيز بعضهم لبعض، ولهذا ازدهرت الحياة العلمية، وانتشرت فيها المؤسسات العلمية كالمدارس وحلقات الدرس في الحرمين الشريفين.

يتميز الحجاز بتركيبته الاجتماعية المتنوعة، إذ تكثر في مدنه الرئيسية مثل (مكة المكرمة، المدينة المنورة، جدة) أعداد الوافدين من العرب وغير العرب الذين استقروا في تلك المدن، وذلك لمركزها الديني والتجاري[١]، ويتكون المجتمع الحجازي من فئات اجتماعية مختلفة منها:

فئة الأشراف بمن فيهم أمراء مكة المكرمة والمدينة المنورة، بالإضافة إلى الأعيان من علماء وتجار وذوي مناصب المهمة في الولاية، تليها فئة أهالي الحجاز، ففي مكة من يعودون في نسبهم إلى بطون قريش التي بقيت فيها بعد انتقال الخلافة الإسلامية الى دمشق، ثم بغداد، يضاف إليهم بعض القبائل البدوية التي استقرت في المنطقة، أما في المدينة المنورة فيعودون في نسبهم إلى عائلات الأنصار، والقبائل البدوية، ويُعد المجاورون في الحرمين الشريفين الفئة الثالثة من مكونات المجتمع الحجازي. أما الفئة الرابعة فهم الأغوات[٢] في

(١) عبدالكريم البتنوني، الرحلة الحجازية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)، ص٤٠

(٢) الأغوات: مفردها (آغا) وتعني رئيس الخدم، حيث يقومون بالخدمة في المسجد الحرام والمسجد النبوي، كما يعمل جزء منهم في خدمة المنازل، وهؤلاء يستوردون من الخارج وهم مخصيون منهم

الحرمين الشريفين[١].

إن البنية السكانية لمدينة مكة المكرمة تتكون في معظمها من الأشراف والقبائل العربية، إضافة إلى الوافدين من البلدان العربية والإسلامية الذين قدموا إليها لدوافع دينية وسياسية واقتصادية وعلمية، ولهذا يرى الناظر في شوارع مكة خليطًا متنوعًا من السكان من كل جنس ولون، فمنهم ذوو البشرة البيضاء والنوبيون ذوو البشرة السوداء، إضافة إلى العديد من الأجناس الأخرى التي تتدرج ألوانها من البياض إلى السمرة[٢].

المراكز العلمية في مكة المكرمة

المدارس:

تسابق السلاطين المماليك والعثمانيون والأمراء والمقتدرون من العلماء وغيرهم في إنشاء المدارس، فتعددت وزادت العناية بها، والمدرسة هي بناء مجهز لسكن المعلمين والدارسين للعلم الشرعي، ومعظم هذه المدارس يتم الانفاق عليها من عائدات الأوقاف ويُرصد ريعها لدفع رواتب القائمين عليها من طلبة ومدرسين[٣]. وقد

النوبيون والزنوج والأحباش ذوو الأجسام القوية، ولهم نصيب من أُعطيات الحرمين (ك.سنوك هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: علي عودة الشيوخ، صياغة وتعليق: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ، ج٢، ص ٣٦١)

(١) نورة الحامد، الصلات الحضارية بين تونس والحجاز دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ١٢٥٦- ١٣٢٦هـ/ ١٨٤٠ - ١٩٠٨م، دارة الملك عبدالعزيز،الرياض، ٢٠٠٥م، ص٢٥٩.

(٢) هورخرونيه، المرجع السابق، ج١، ص ٣٤١

(٣) المرجع نفسه، ج١، ص ٩١. لقد كان للسلاطين المماليك أعمال وأنشطة كبيرة في مجال الاهتمام بالحرمين الشريفين، وكان الحرم المكي الشريف محل اهتمام من قبلهم خاصة فيما يتعلق بالحياة العلمية فقد بنوا المدارس التي تدرس على المذاهب الأربعة والأربطة وأوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة التي من ريعها يُنفق على العلماء والقضاة والمدرسين والقراء بالحرم المكي، فقد أمر السلطان المملوكي قايتباي عام ٨٨٣هـ وكيله وتاجره (شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن) بأن يحصل له على مكان يُشرف على الحرم ليبني له مدرسة يُدرس فيها علماء المذاهب الأربعة، ورباطًا يسكنه الفقراء، وأوقف له أوقافًا يُصرف منه على المدرسين وعلى القراء، فاختاروا له رباطين كانا متصلين بالحرم وهما رباط السدرة ورباط المراغي وداراً كانت للشريفة شمسية وهي من شرائف بني حسن

حرصت الدولة العثمانية على الاهتمام بهذه المدارس وزيادة أعدادها، فقد وصف الرحالة أوليا جلبي هذه المدارس ومدى كثرتها بقوله:"بأنها مبانٍ عالية محيطة بالحرم حيث يصل عددها على جوانب الحرم إلى أربعين مدرسة عظيمة، وأن هذه المدارس تعكس مآثر المهندسين المعماريين في عهد السلطان سليمان خان، وأن لها دورًا في مواسم الحج، حيث تستخدم هذه المدارس لإيواء الحجاج، كما أن المدرسين والطلبة وغيرهم يقومون بدور الإرشاد وتقديم الخدمات لحجاج بيت الله الحرام [(١)].

كما أن لهذه المدارس وظيفة اجتماعية أخرى فهي ملجأ المرتادين والمعوزين فقد كان يجدها العالم والمتعلم والعابد والمعوز للغذاء العلمي والروحي والمادي والمأوى، وذلك لما يلقى فيها من دروس علمية وما كانت تقدمه من رواتب نقدية للمدرسين والطلبة وبقية العاملين بها[(٢)].

وتتميز هذه المدارس في العهد العثماني بالنشاط والحركة لأن الفتوحات العثمانية أدت إلى كثرة الوافدين إلى الحرمين ومن ثم ازداد عد العلماء الذين طاب لهم المقام في المجاورة لبيت الله الحرام[(٣)]، كما أن المدارس السليمانية الأربعة التي أنشأها

اشتراها منها، وهدم الجميع وجعل بدلاً عنها ٧٢ خلوة ومجمعًا كبيراً يُشرف على المسجد الحرام وعلى المسعى وحول المجمع مدرسة بناها بالرخام الملون وجعل لها سقفًا مذهبًا، وقرر في هذه المدرسة أربعة من المدرسين على المذاهب الأربعة وبها أربعون طالبًا، وجعل لها مكتبة أرسل لها خزانة كتب ضخمة أوقفها على طلبة العلم، وجعل الواقف في ذلك المجمع حضورً للقضاة الأربعة بعد صلاة العصر مع جماعة من الفقهاء يقرؤون له ثلاثين جزءاً من القرآن الكريم، كما اعتمد فقيهًا يُعلم أربعين من الصبيان الأيتام ورتب لكل واحد من الأيتام وأهل الخلاوي ما يكفيهم من القمح في كل سنة، وللمدرسين والمؤذنين وقراء الأجزاء مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة، وعمل أوقافًا في مصر يُجبى ريعها كل سنة وترسل إلى مكة. (مخطوط، الأعلام بأعلام بيت الله الحرام، محمد بن أحمد النهروالي، ص٣٣٥- ٣٣٦).

(١) اوليا جلبي، الرحلة الحجازية، ترجمة: الصفصافي أحمد، دار الأوقاف العربية، القاهرة، (د.ت) ص٢٦٥.

(٢) خالد محسن الجابري، الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي،مؤسسة الفرقان، ٢٠٠٥م ص ٣٦٩

(٣)عبدالرحمن صالح عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٢م، ص ٧٥.

السلطان سليمان القانوني قد دفعت بالحركة العلمية إلى ميادين أكثر تطوراً، حيث اشترطت على من يقوم بالتدريس فيها أن يكون ممن تولوا مناصب الإفتاء في المذهب الحنفي(١)، لقد خصص العثمانيون الأوقاف الكثيرة وخصصوا رواتب المدرسين والطلاب. وكل هذا خلق جوًا من الاستقرار النفسي للتفرغ للعلم(٢).

من أشهر المدارس في مكة المكرمة:المدرسة الأشرفية التي أنشها السلطان الأشرف قايتباي المملوكي سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٨م) واستمرت في أدائها فيما بعد، وأيضا المدرسة الباسطية التي أُنشئت عام ٨٢٦هـ/ ١٤٢٣م والمدرسة الجمالية(٣)، والمدرسة المرادية التي بناها السلطان مراد الثالث وعُرفت باسمه(٤)،ومدرسة محمد باشا التي قام بالتدريس فيها عبد الرحمن المرشدي(٥) وتقع في سويقة بجوار باب الزيادة، وصدر أمر في عام (١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م) بترميم المدرسة وإعمارها(٦).

ومن أهم المدارس في مكة المكرمة المدارس السليمانية الأربع وهي: "المدرسة المالكية السليمانية وهي أرقى المدارس الأربع، والمدرسة الشافعية السليمانية يدرس فيها علماء الشافعية على الفقه الشافعي، والمدرسة الثالثة هي الحنفية السليمانية، أما المدرسة الرابعة وكان من المفترض أن يدرس فيها المذهب الحنبلي ولأنه لايوجد عالم في الفقه الحنبلي آنذاك فقد جُعلت دارًا للحديث يُقرأ فيها الصحاح الست" (٧).

(١) محمد بن أحمد بن محمد النهروالي، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: هشام عبدالعزيز، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٦م، ص ٢٥٢

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٥٢

(٣) جار الله ابن فهد، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة،ط١، ٢٠٠٠م، ج١، ص ١٧٨

(٤) عبدالملك العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المكتبة السلفية،القاهرة (د.ت)، ج٤، ص ١٠٠

(٥) محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت (د.ت)، ج٣، ص ٣٦٩

(٦) آمال صديق رمضان، الحياة العلمية في مكة المكرمة ١١١٥- ١٣٣٤ه / ١٧٠٣- ١٩١٦م، مركز تاريخ مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢ه، ج١، ص ٣٤١.

(٧) النهروالي، المصدر السابق، ص ٣٥١

حلقات الدرس في الحرم المكي الشريف:

لعب المسجد الحرام والمسجد النبوي دورًا كبيرًا في نهضة العلم والتعليم ليس في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب بل في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم وحتى العصور المتأخرة.

"ولقد كان كثير من العلماء يرون التدريس بالمسجد الحرام أو المسجد النبوي أفضل من التدريس في المدارس وأجزل نفعًا وأعظم أجرًا، كما أن التدريس في المساجد لا يحتاج إلى أمر تعيين أو تكليف لمن يقوم به وإنما هو عمل اختياري عكس التدريس في المدارس، فالمساجد مفتوحة أمام كل طالب علم وما عليه إلا الانضمام إلى إحدى الحلقات المنتشرة في المسجد"[١].

هذا بالنسبة للعلماء غير المعتمدين للتدريس " أما المعتمدون للتدريس والذين يتلقون رواتب تأتى مع الصرة[٢] فإنه كان لا يسمح لهم بالتدريس حتى يحصلوا على إذن بعد أن يجتاز الامتحان الذي يحضره كبار العلماء، حيث يحدد شيخ العلماء موعدًا في الحرم بعد صلاة الظهر أو العصر، ويتولى شيخ العلماء أو نائبه مع عدد من العلماء الآخرين امتحانه، فيجلسونه على رأس حلقة دائرية يتم من خلالها معرفة مدى إلمامه بعلوم اللغة العربية والفقه وبقية العلوم الشرعية"[٣].

---

(١) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٣٠

(٢) الصُرة (الصُرة الرومانية) جمعها صُرر وهي مجموعة الأموال التي كانت تُرسل إلى الحرمين الشريفين، وأول من أرسلها السلطان العثماني بايزيد الثاني، وفي عهد السلطان سليم خان، كانت الأموال المرسلة إلى الحرمين أضعاف ما يرسلها والده، وكانت هذه الأموال تُرسل من مصر مع المحمل القادم في موسم الحج، وهي عبارة عن مساعدات عينية ومالية، وكانت الفئات المستفيدة من هذه الأموال هم: أشراف أو أمراء الحرمين الشريفين من بني الحسن والحسين، والعلماء والقضاة والمفتون والأئمة والمؤذنون والأعيان، وكل العاملين في مؤسسات الحرمين الشريفين، والقبائل البدوية الساكنة على طريق الحج، وفقراء الحرمين والمجاورون (وكان عدد كبير من الحضارمة المجاورين في الحرمين لهم صيب من هذه الصدقات) وغيرهم من سكان الحرمين، وجعل لها دفتراً تسجل فيها تلك العطايا،فقد كان السلطان سليم مُحبا لأهل الحرمين الشريفين، وقد ظلت تلك الأموال تُرسل من مصر إلى الحرمين حتى عام ١٢٥٠هـ.

(٣) محمد علي بيومي، دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، دار القاهرة،مصر، ط١، ٢٠٠٦م.، ص ٢٥٢

"تُعقد أماكن التدريس في المسجد الحرام في أروقته وعند المقامات الأربع، وعند مقام إبراهيم،وحجر إسماعيل،وعند الأبواب الرئيسة للبيت الحرام، وصحن المسجد الحرام"(١).

أما أوقات التدريس في المسجد الحرام فقد كان العلماء هم الذين يختارون الوقت المناسب بحيث لا يصطدم مع جداولهم الدراسية إذا كان مرتبطًا بدروس في المدارس(٢).

وكانت الدراسة تتوقف في الأعياد والمناسبات مثل عيد الفطر والأضحى(٣)، كما تتوقف في أيام موسم الحج.

لقد كانت الحلقات تدرس علومًا عديدة منها القراءة والتفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة العربية والعلوم العقلية(٤)،حيث ذكر السنوسي في رحلته "أن العلماء يقرءون في الحرم المكي دروسا في الفقه والتوحيد والنحو، ومن المبتدئين من يقرئ تفسير البيضاوي بعد صلاة الصبح حيث يحضر دروسه كبار العلماء"(٥).

طريقة التدريس في الحرم المكي:

أعطى المؤرخ هورخرونيه وصفًا دقيقًا لطريقة التدريس داخل الحرم المكي بقوله: "يُلقي الأساتذة محاضراتهم بعد صلاه الصبح مباشرة،يجلسون في صحن المسجد وهذا الحال لا يستمر أكثر من ساعتين، حيث تبدأ الشمس بإرسال أشعتها فوق قباب الناحية الشرقية فتنتقل المحاضرات إلى داخل الأروقة، حيث يجتمع الدارسون وقبل أن يبدأ الدرس بدقائق معدودة يضع خادم المدرس أو تلميذه سجادة في المكان الذي اعتاد عليه المدرس الجلوس فيه، وذلك لتغطية الحصباء في صحن المسجد أو الأرض الرخامية بين الأعمدة وتواجه السجادة الكعبة إذ ينبغي أن يواجه المدرس في أثناء تدريسه الكعبة، ويجد المدرس المكان المناسب له حسب رغبته،وقد يحتفظ بهذا المكان طوال العام وقد يكون مدى الحياة، يجلس الطلبة

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢٥٤

(٢) الجابري، الحياة العلمية في الحجاز، ص ٣٣١

(٣) محمد أمحزون، المدينة المنورة في رحلة العياشي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، ص ٢٠٩

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٥

(٥) محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، تحقيق: علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨١م، ج٢، ص١٧٧

بشكل حلقة حول الأستاذ وحينما لا يكون هناك تغيير بين صفوف الطلبة يختار كل طالب مكانا محددًا،يأتي كل تلميذ ومعه سجادة صلاة وقبل جلوسه يوجهها ناحية مركز محيط الدائرة وفي العادة يكون أولئك الذين يجلسون خلف المدرس أقرب من الذين يقعدون في المقدمة ويسمعونه بشكل أفضل... وفي العادة يجلس الطالب على طرف السجادة ويضع أمامه حامل المحبرة النحاسي الذي يضع دواة الحبر وأقلام القصب وسكينًا خاصة لبري الأقلام، كما يضع التلميذ أمامه أيضًا بعض أوراق الكتابة وعدة صفحات من الموضوع الذي سيعالجه المدرس، ويطلب المدرس أحيانا في بداية محاضرته من أحد التلاميذ القدامى أن يجلس في مواجهته مباشرة ويتلو ملخصًا للمحاضرة السابقة... إن عشرات الحلقات التي تُعقد بعد صلاة الفجر مباشرة التي يكون قوامها من عشرة إلى ستين دارسًا تكون مخصصة لدراسة العلوم الشرعية، وإذا كانت المحاضرة عن التشريع يمكن للطالب أن يحضر لأي مدرس، أما عند دراسة الفقه فلا بد أن يختار الطالب المدرس الذي ينتمي إلى مذهبه، فالدروس الفقهية تقدم على المذاهب الأربعة[(١)]

مشكلة البحث وأهميته

يتناول البحث بالدراسة وجود العلماء الحضارم في مكة المكرمة، حيث يهدف إلى تقصي الشخصيات العلمية الحضرمية في مكة المكرمة من خلال عمل ترجمة لهؤلاء العلماء في فترة (القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي)، ومعرفة المراكز العلمية التي مارسوا فيها هذا النشاط العلمي.

أشهر الشخصيات العلمية الحضرمية في مكة المكرمة في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي

هناك العديد من الأسر الحضرمية التي سكنت مكة المكرمة واستقرت بها، أو جاورت فيها لسنين عدة، و في أثناء وجودها في مكة المكرمة تلقت علومها ومعارفها على أيدي أكابر رجالاتها، أُجيزت وأجازت،وشاركت في تطور الحركة العلمية في مكة المكرمة، ومن أشهر هذه الشخصيات العلمية ذات الأصول الحضرمية:

---

(١) هورخرونيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ج٢، ص ٥٠٣-٥٠٤

أبوبكر بن عبدالله العيدروس بن أبي بكر السقاف (ت:٩١٤هـ)

ولد بتريم سنة ٨٥١هـ، ونشأ في حجر والده، وحفظ القرآن على السيد محمد بن علي باجحدب والمعلم سالم بن نميري، وأخذ التصوف عن أبيه، وعميه علي وأحمد، والشيخ سعد بن علي بامدحج، وتفقه على الشيخ عبدالله بن علي بن عبد الرحمن بلحاج بافضل، والعلامة محمد بن عبدالرحمن بلفقيه، رحل الى الحرمين وحج سنة ٨٨٠هـ، وأخذ عن الحافظ السخاوي، وأجازه أكثر مشايخه في جميع مروياتهم ومؤلفاتهم، وفي الإفتاء والتدريس، حيث كان يتمتع بصفاء الذهن، وذكاء الفطنة، وجودة القريحة، وإصابة الرأي، وصدق الفراسة، ما يُعجب من ذلك مشايخه، وفي سنة ٨٨٨هـ قصد بيت الله الحرام، وممن أخذ عنه بالحرمين الشريفين جار الله بن فهد(١) وقد كانت له منزلة عالية لدى أعيان مكة المكرمة، توفي بعدن وبها دفن(٢).

حسين بن عبد الله العيدروس بن ابي بكر السقاف(ت:٩١٧هـ)

ولد بتريم سنة ٨٦١هـ، توفي أبوه وعمره اربع سنوات فنشأ في حجر عمه العلامة السيد علي بن أبي بكر، جاور بمكة سنتين، لطلب العلم على يد علمائها، آخذًا الحديث وغيره عن الحافظ السخاوي.(٣)

---

(١) جار الله بن عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي، نشأ بمكة، حفظ القرآن، وكتباً مثل الأربعين النووي، سمع من السخاوي، جاور بالمدينة المنورة سنة ٩٠٩هـ، وسمع بالحجرة الشريفة الكتب الستة= =والشفاء لعياض، وسمع على السيد السمهودي، وخرج الأسانيد والمشيخات لجماعة من مشائخه وغيرهم، أخذ الفقه والنحو والأصلين عن الشيخ عبد الله باكثير وقرأ عليه المنهاج للنووي وغالب شرحه للمحلى وألفية ابن مالك وغيرها وبعض شرح الورقات، توفي سنة ٩٥٤هـ(عبد القادر بن شيخ العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق وضبط نصوص: أحمد حالو و آخرون، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٣٢٣-٣٢٤.)

(٢) محمد بن أبي بكر الشلي، المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي،المطبعة العامرية الشرفية، ط١، ١٣١٩هـ ج٢، ص٣٤-٤١.

(٣) المرجع نفسه، ج١، ص١٢٠. الشيخ العلامة الحافظ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، القاهري المولد الشافعي المذهب، نزيل الحرمين الشريفين، ولد سنة ٨٣١هـ، حفظ القرآن وهو صغير، وحفظ عمدة الأحكام والتنبيه والمنهاج وألفية ابن مالك وألفية العراقي وغالب الشاطبية والنخبة لابن حجر، برع في الفقه والعربية والقراءات

علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن علي باعلوي(ت:٩١٧هـ)

كان على جانب كبير من العلم والعمل والورع والزهد والعزلة والانفراد عن الناس، قرأ الفقه على السيد عبدالله بن علي مولى الشبيكة، في أثناء مجاورته بمكة المكرمة، ثم جاور فيها سنتين غير السفر المتكرر إليها للمجاورة، واستفاد من مجاورته فأخذ العلم عن علمائها منهم الحافظ السخاوي، حيث أجازه، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة[١] القرشي المكي، وغيرهما.[٢]

والحديث والتاريخ وشارك في الفرائض والحساب والتفسير وأصول الفقه والميقات وغيرها،أخذ عن جماعة يزيدون على أربعمائة، وأذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس والإملاء، وسمع الكثير على شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني ولازمه أشد الملازمة، تنقل بين عدة بلدان منها حلب ودمشق وبيت المقدس، واجتمع له من الروايات ما يفوق الوصف، حج وجاور مرات عديدة وأخذ عن علماء الحجاز منهم: البرهان الزمزمي والتقي ابن فهد، وأبي السعادات بن ظهيرة وغيرهم، وأخذ عنه الكثير من العلماء وطلبة العلم، له العديد من المؤلفات منها: الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ ابن حجر، وفتح المغيث بشرح ألفية الحديث، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع، والاعلان بالتوبيخ على من ذم علم التاريخ وغيرها، توفي سنة ٩٠٢هـ بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع (مقدمة كتاب الضوء اللامع، عبد القادر بن شيخ العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق وضبط نصوص: أحمد حالو وآخرون، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ص٤٠- ٤٤)

(١) هو ابراهيم بن علي بن محمد بن ظهيرة القرشي المخزومي، أبو اسحاق برهان الدين، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها، فحفظ القرآن الكريم وصلى به التراويح بالمسجد الحرام، وحفظ مجموعة من المتون، في مختلف العلوم، أجاز له من مكة المكرمة التقي الفاسي، وجمال الدين المرشدي، وجلال الدين عبد الواحد المرشدي، وجمال الدين الشيبي، وجمال الدين النويري، ومن المدينة المنوره أجازه جمال الدين الكازروني، وطاهر الخجندي، ونورالدين المحلي، ومحب الدين المطري، كما أجازه عدد من العلماء من مصر والشام، أجازوه بالإقراء والإفتاء، فتصدى في حياة شيوخه للإقراء بالمسجد الحرام غير متقيد بمحل يجلس فيه، ثم تقيد بالجلوس أمام باب العجلة، بعد صلاة الظهر، واستقر بالخطابة بالمسجد الحرام، ثم ولي نظر المسجد الحرام وقضاء الشافعية، وولي قضاء مكة المكرمة نحو ثلاثين سنة، وانتهت إليه رئاسة العلم بالحجاز ت ٨٩١هـ. (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩٢م،ج١، ص٨٨- ٩٩، عبد الله بن عبد الرحمن المعلمي، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي،ط١، ٢٠٠٠م،،ج١، ص٨٦-٨٧)

(٢) محمد بن عمر الطيب بافقيه، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبد الله بن محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م، ص٩٦.

محمد بن عبدالرحمن الأسقع بن عبدالله من آل أحمد بن الفقيه المقدم (ت:٩١٧هـ)

ولد بتريم وتلقى العلم عن علماء عصره منهم الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بافضل، والسيد عبد الله العيدروس، والسيد محمد بن علي عيديد وغيرهم، رحل إلى مكة المكرمة وأخذ عن السيد عبد الله بن محمد صاحب الشبيكة(الأول) وأخذ عن القاضي برهان الدين بن ظهيرة، والحافظ السخاوي، كما أخذ عن علماء المدينة المنورة(١).

عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف(ت:٩٢٣هـ)

ولد بتريم سنة ٨٥٠هـ، حفظ القرآن على شيخه المعلم السيد محمد بن علي بن عبدالرحمن، حفظ الكثير من الحاوي الصغير في الفقه، والوردية في النحو، وأكثر ديوان الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي(٢) توجه إلى حج بيت الله الحرام سنة ٨٨٠هـ، وأخذ بمكة عن الحافظ السخاوي وأجازه بجميع مروياته ومؤلفاته، ثم سافر ثانية إلى الحج سنة ٨٨٦هـ وزار المدينة المنورة وأخذ عن علمائها(٣).

عبدالله بن أحمد باكثير (ت: ٩٢٥هـ)

(١) الشلي، المشرع، ج١، ص١٨٠-١٨٢. عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور، شمس الظهيرة، تحقيق: محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٤م، ج١، ص٣٨٩. النور السافر، ص١٤٢

(٢) عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان فلاح اليافعي المكي السافعي، نزيل الحرمين، ولد ٦٩٨هـ، حفظ القرآن، أخذ عن أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي النضال، والشريف أحمد بن علي الحرازي قاضي عدن ومفتيها، حج سنة ٧١٢هـ، ثم عاد الى اليمن، وصحب أبا الحسن علي الطواشي، رجع إلى مكة سنة٧١٨هـ وسمع بها على الرضي الطبري وعلى النجم الطبري، كان كثير التواضع، عارفاً بالفقه والأصلين، والعربية والفرائض، والحساب وغيرها من فنون العلوم، كان كثير العبادة والورع، وافر الصلاح والعزلة، والإيثار للفقراء، رحل إلى الشام سنة ٧٣٤هـ، وزار القدس والخليل، ودخل مصر مختفياً، وزار الشافعي وغيره، ممن أخذ عنه الزين العراقي، والجمال بن ظهيرة، وقد أثنى عليه الكثير من العلماء والحفاظ والمؤرخين، ووصفه الكثير من الصالحين بأنه قطب مكة، تصدى للتصنيف والإقراء والإسماع من مؤلفاته: المرهم في أصول الدين، والارشاد والتطريز، وأسنى المفاخر، وأطراف التواريخ، والأنوار اللائحة في أسرار الفاتحة، ومرآة الجنان وغيرها الكثير، توفي سنة ٧٦٨ه بمكة ودفن بجوار الفضيل بن عياض بالمعلاة.(السخاوي، التحفة اللطيفة، ج٢، ٢٩٤-٢٩٦).

(٣) الشلي، المشرع، ج٢، ص١٣٤-١٣٧.

شيخ الإسلام الفقيه الزاهد، كان من العلماء العاملين والفضلاء البارعين، متصفًا بمحاسن الأخلاق ولد بحضرموت سنة ٨٤٧هـ، نقله والده إلى غيل باوزير فحفظ القرآن وعمره ثماني سنين، كما حفظ المنهاج والبهجة لابن الوردي، وخلاصة ابن ظفر وألفية ابن مالك، رحل إلى مكة وجاور بها إلى أن توفي، التقى بجماعة من علماء الحرمين منهم الإمام السخاوي، وإبراهيم بن ظهيرة، أجازوه بالإفتاء والتدريس فتصدى لذلك وكان من فضلاء مكة وعين المدرسين بها، كان حسن الخط نسخ بيده العديد من الكتب، كما كان ينظم الشعر(١)، يحكى عنه أنه "مكث بمكة ثلاثًا وخمسين سنة لم يتوضأ إلا بماء زمزم ولا أكل من ضيافة لأحد من أهلها سوى مرة واحدة للقاضي إبراهيم بن ظهيرة، وكان من عادته أن يجلس كل يوم بالحرم الشريف يقرئ الناس في عدة علوم الى قبيل الظهر، ومن بعد صلاة الظهر يقرئ آخرين في الحديث إلى العصر، ومن بعد صلاة العصر يقرئ آخرين في التصوف، ومن بعد صلاة المغرب الى العشاء يطوف" (٢).

إبراهيم بن علي بن علوي خرد باعلوي (٩١٠-٩٣٨ هـ)

ولد بتريم، ونشأ بها، وحفظ القرآن مجودًا، وحفظ الجزرية والشاطبية، واشتغل بعلم التجويد والقراءات والفقه والنحو، ثم رحل إلى عدن فأخذ بها عن السيد أحمد بن أبي بكر العيدروس وغيره، وأخذ بمدينة زبيد الفقه عن الإمام أحمد بن عمر المزجد، والحديث عن الحافظ عبد الرحمن بن علي الديبع، كما أخذ عن الإمام العامري والفقيه الشاوري، فقد أخذ من الجميع أصول الدين وأصول الفقه وأصول الحديث، وأخذ علم القراءات عن الشيخين العامري والشاوري.

ثم رحل إلى الحرمين فأخذ بالمدينة المنورة علم القراءات عن المغربي محمود بن حميدان والشيخ أحمد العجيمي بمكة، وأخذ التصوف عن جماعة بها، وكتب بخطه كتبًا عديدة، وقصده الناس لعلو سنده في القراءات، وأقرأ الناس بمكة دهرًا وبرع في علوم الشريعة الثلاثة أيضًا، لكنه غلب عليه علم القراءات فأشتهر به وكان

---

(١) العيدروس، النور السافر، ص١٧٨، السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص١١.

(٢) نجم الدين محمد بن محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ٢١٧-٢١٨.

واسع الرواية وجيز العبارة في الدرس والإفتاء، كان حسن الحفظ ذا خُلق حسن، قليل الغضب، كريمًا زاهدًا في الدنيا ورياستها حيث عُرضت عليه وظائف فلم يقبلها، كان فقيرًا متقللًا حسن العشرة، تربطه برئيس المؤقتين بالحرم المكي الشيخ عبد السلام الزمزمي صحبة أكيدة، توفي بمكة ودفن بالمعلاة [١].

شيخ بن حسن بن شيخ بن علي بن مولى الدويلة (ت:٩٥٠هـ)

ولد بتريم ونشأ بها، حفظ القرآن العظيم وبعضًا من فنون علوم الشريعة وجالس العلماء المجتهدين، سافر إلى عدة أقاليم، جاور بالحرمين الشريفين، وأخذ عن علمائها، كان عابدًا زاهدًا ورعـًا، محبًا للفقراء مُجالسًا لهم.[٢]

عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن عثمان العمودي (ت: ٩٦٧هـ)

أخذ عن ابن حجر الهيتمي[٣] أخذ رواية، وعن الشيخ أبي الحسن البكري وغيرهما، وتفقه وبرع، كان عالمًا صالحًا زاهدًا ورعًا متواضعًا كثير العبادة، حفظ الإرشاد في الفقه، من تصانيفه (حاشية على الإرشاد – النور المذرور) جاور بمكة سنينًا لا يقبل من أحد شيئًا حتى من أمراء مكة المكرمة [٤].

---

(١) عبد الله مرداد أبو الخير، المختصر من نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي، ط٢، ١٩٨٦م، عالم المعرفة جدة، ص٥٠ – ٥١. النور السافر، ٢٧٢. المشرع الروي، ج٢، ص١٩.

(٢) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص١١٥.

(٣) شيخ الإسلام فاتحة أهل الفتيا والتدريس،ناشر علوم الإمام محمد ابن إدريس الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، ولد بمكة سنة ٩٠٩هـ وتوفي بها ودفن بالمعلاة في تربة الطبريين، كان بحراً في علم الفقه وتحقيقه، إمام اقتدت به الأئمة وصار إماماً ببلاد الحجاز، مصنفاته في عصره آية يعجز عن الإتيان بمثلها المعاصرون، وأبحاثه في المذهب كالطراز المذهب، أخذ عن كثيرين من علماء عصره أجازه بعضهم بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين، برع في علوم كثيرة من التفسير والحديث وعلم الكلام وأصول الفقه وفروعه والفرائض والحساب والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والتصوف، من محفوظاته في الفقه: المنهاج للنووي، ومقروآته كثيرة لاتُعد، وإجازات المشايخ له كثيرة، قدم إلى مكة في آخر سنة ٩٣٣ هـ فحج وجاور بها ثم عاد إلى مصر، وفي سنة ٩٤٠هـ جاور واستقر مع أهله في مكة المكرمة يؤلف ويفتي ويدرس إلى أن توفي سنة٩٧٤هـ. (العيدروس، النور السافر، ص٣٩٠ – ٣٩٥).

(٤) المعلمي، أعلام المكيين، ج٢، ص٧٠٠. النور السافر، ص٣٥٨ – ٣٥٩.

عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن بافقيه (ت: ٩٧٤هـ)

هو عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن الأسقع بن عبدالله بن أحمد الفقيه بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد الفقيه المقدم، ولد بتريم ونشأ في حجر والده، حفظ القرآن، طلب العلم وتبحر فيه، أخذ عن الشيخ علي بن حسام الدين التقي وأجازه في كتبه ومروياته، وعن الحافظ عبد الله بن أحمد باكثير، والإمام أحمد الشلي قرأ عليه الحديث والفقه والفرائض والحساب والميقات، استقر به المقام في مكة المكرمة وجاور بها بعد أن نقل اليها أهله، وكانت فترة وجوده بها أربع عشرة سنة، توفي بمكة يوم الجمعة الخامس من جمادى الأولى سنة ٩٧٤هـ، وصلى عليه عند باب الكعبة إمامًا القاضي حسين المالكي رئيس مكة ومفتي المالكية، ودفن بالشبيكة[١].

شيخ بن عمر بن شيخ السقاف (٩٧٩هـ)

هو شيخ بن عمر بن شيخ بن عبد الله بن عبدالرحمن السقاف، ولد بمدينة قسم ونشأ بها، رحل إلى تريم وأخذ عن كبار علمائها، وكان علم التصوف هو الغالب عليه، ثم رحل إلى الحرمين وذاع صيته هناك، وانتفع به كثيرون وتخرج على يديه علماء، كان عالمًا زاهدًا مقبول الشفاعة وأمره مطاع، توفي بمكة سنة ٩٧٩هـ[٢].

محمد بن علي بن هارون بن الفقيه المقدم (ت: ٩٨٣هـ)

هو محمد بن علي بن هارون بن حسن بن علي بن جمل الليل محمد بن حسن بن محمد أسد الله بن حسن بن علي بن الفقيه المقدم، ولد بتريم وحفظ القرآن، تنقل في بلدان عدة ومنها الحرمين وجاور بها عدة سنين، وأخذ عن علمائها، كان حسن الهيئة والخلق، له شهرة في الحرمين، مواضبًا على العبادات وحضور الجمعة و الجماعات والأذكار[٣].

علي بن حسن بن عفيف الدين عبد الله باكثير(٩١٢ - ٩٨٧هـ)

هو القاضي نور الدين علي بن حسن بن عفيف الدين عبد الله باكثير(شاعر البطحاء) ولد بمكة، اشتغل على والده وأعمامه علماء مكة المكرمة ومدرسيها ومفتيها، له ديوان شعر حافل،

---

(١) مرداد، نشر النور، ص٢٨٨. النور السافر، ص٣٩٠.

(٢) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص١٢٤.

(٣) الشلي، المشرع الروي، ج٢، ص١١- ١٢.

وكانت بينه وبين مؤلف كتاب (نشر النور والزهر) العلامة الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير مراسلات ومفاكهات ومشاعرات ومحبة، توفي بمكة وشهد جنازته جمع حافل من المشيعين[١].

عبد المعطي بن حسن بن عبدالله باكثير (٩٠٥ - ٩٨٩ هـ)

ولد بمكة ونشأ بها، تفنن في كثير من العلوم، من شيوخه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[٢] سمع عليه صحيح البخاري بقراءة والده فهو يرويه عنه سماعًا كما في إصطلاح أهل الحديث، والشيخ زكريا يرويه عن شيخ الاسلام الحافظ إبن حجر العسقلاني، ولهذا إشتهر صاحب الترجمة في زمنه بالسند العالي، وتميز عن أقرانه بذلك، فازدحم الناس على الأخذ عنه، إستقر به المقام في الهند وفيها توفي[٣].

---

(١) مرداد، نشر النور والزهر، ص٣٥١.

(٢) زكريا بن محمد بن زكريا الشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام، علامة المحققين، وفهامة المدققين، ولسان المتكلمين، وسيد الفقهاء والمحدثين، الحافظ المخصوص بعلو الإسناد، ولد سنة ٨٢٣هـ وقيل سنة ٨٢٤هـ، اشتغل في سائر العلوم المتداولة، وبرع في سائر العلوم الشرعية وآلاتها حديثًا، وتفسيراً، وفقهًا، وأصولاً، وعربيةً، وأدبًا، ومعقولاً، ومنقولاً، فأقبل عليه الطلبة للاشتغال عليه، وعمر حتى رأى تلاميذه وتلاميذ تلاميذه شيوخ الإسلام، قرأ القرآن على جماعة منهم الإمام زين العابدين أبو النعيم رضوان العقبي، والإمام المقرئ نور الدين علي بن محمد ابن الامام فخر الدين المخزومي البلبيسي إمام الأزهر قرأ عليهما جميعًا للإئمة السبعة،= =وغيرهم من القراء، وتفقه بجماعة منهم شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني وفقيه زمانه الشريف موسى بن محمد السبكي، والشيخ شمس الدين محمد بن علي البدشيني، وغيرهم كثيرون، وأخذ العربية والأدب = والأصول والمعقولات عن شيخ الاسلام ابن حجر، وعن المحيوي الكافيجي وغيرهم، كما أخذ الحديث عن جماعة منهم ابن حجر قرأ عليه السيرة النبوية لابن سيد الناس، والسنن لابن ماجة، وقرأ على ابن النعيم رضوان العقبي مسند الإمام الشافعي، وصحيح مسلم، والسنن الصغرى للنسائي، وقرأ صحيح البخاري على أبي اسحاق ابراهيم بن صدقة الحنبلي، وأجازه العديد من العلماء يزيدون على مائة وخمسين، كما كان متصوفًا لبس الخرقة الصوفية من الشيخ أبي العباس أحمد بن علي الأتكاوي، وكان صاحب الترجمة مهما كان عليه من الاجتهاد اشتغالاً واستعمالاً، وإفتاءً وتصنيفًا، ومباشرة القضاء، ومهمات الأمور، وكثرة إقبال الدنيا لايكاد يفتر عن الطاعة ليلاً ونهاراً، ولا يشتغل بما لا يعنيه، وقوراً، مهيبًا، مؤانسا، ملاطفًا، يصلي النوافل من قيام مع كبر سنه وبلوغه المائة سنة وأكثر، توفي رضي الله عنه ثالث شهر ذي القعدة سنة ٩٢٦ للهجرة في القاهرة وصلي عليه بالجامع الأزهر... (الغزي، الكواكب السائرة،ج١، ص ١٩٨ - ٢٠٧)

(٣) مرداد، نشر النور، ص٣٢٣.

علي بن عبد الكريم باحميد (.... -.....)

ذكره الشيخ أبو الخير مرداد في كتابه نشر النور والزهر قائلًا:" العالم النبيل، الكامل الشاعر الماهر، الفاضل، كان من أعيان هذا القرن (العاشر الهجري)... وفي ٩٩٥هـ أحدث السلطان مراد بن سليم على باب الصفا سبيلًا للشرب وجعل الشيخ الفاضل علي بن عبد الكريم باحميد لذلك تاريخًا لطيفًا ونظمه في أبيات[١].

عبدالله بن عبدالرحمن السقاف (..... - ١٠١٤هـ)

هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد كريشة السقاف، ولد بمكة، واعتنى به والده فجد في طلب العلم على أيدي علماء مكة المكرمة في عصره، وأدرك الشيخ عمر بن عبد الرحيم البصري[٢]، وصحب الشيخ محمد بن علوي وأبا بكر بن حسين العيدروس الضرير أخذ عنه العلوم الشرعية، توفي بمكة [٣].

سعيد بن عبد الرحمن بابقي (٩٣٦ - ١٠١٧ هـ)

ترجم له صاحب كتاب خلاصة الأثر ما نصه: " الإمام الرباني والعارف الصمداني كان من العارفين بالله تعالى الواقفين مع الكتاب والسنة، كان يتكلم على طريق الصوفية بما يُبهر به الألباب ويحل مشكلات المحققين، على الوجه الصواب مع كثرة العبادة والتلاوة للقرآن والتوجه إلى الله تعالى في سره وعلانيته، حفظ القرآن العظيم واشتغل بالعلم على كثيرين من الحضارمة واليمنيين، وساح مدة مديدة في اليمن ودخل الهند وجال في بلاده ثم رجع إلى عدن ورحل منها إلى الحرمين، وأقام بها، وأخذ بها عن الشيخ أبي الحسن البكري.. والسيد سالم بن أحمد شيخان "[٤].

---

(١) المرجع نفسه، ص٣٥٠.

(٢) السيد عمر بن عبدالرحيم البصري الحسيني الشافعي نزيل مكة المشرفة، الامام المحقق، فقيهً عارفً، مرب، كبير القدر عالي الصيت، حسن السيرة، كامل الوقار، أدرك الإمام الشمس محمد الرملي والشهاب أحمد بن قاسم العبادي وأخذ عنهما عدة علوم، قرأ على عدة علماء منهم الشهاب الهيثمي والشيخ عبدالله السندي، والشيخ علي العصامي، والقاضي علي بن جار الله، والشيخ عبدالرحيم الحسائي، وغيرهم، وصل إلى درجة الاجتهاد شافعي المذهب، توفي في ربيع الثاني ١٠٣٧ هجرية بمكة ودفن بالمعلاة (المحبي، خلاصة الأثر، ج٣، ص٢١٠- ٢١٢)

(٣) المعلمي، أعلام المكيين، ج١، ص٥١٠ .

(٤) المحبي، خلاصة الأثر، ج٢، ص ٢١٠.

أحمد بن الفضل بن محمد باكثير (٩٨٥ - ١٠٤٧هـ)

من أدباء الحجاز وفضلائها المتمكنين، كان فضلًا أديبًا، له مقدار علي وفعل جلي، وله منزلة وشهرة عند أشراف مكة، وفي موسم الحج يجلس في المكان المخصص لتقسيم الصرة العثمانية بالحرم الشريف بدلًا عن شريف مكة، من مؤلفاته (حُسن المآل في مناقب الآل) جعله باسم الشريف إدريس أمير مكة [١].

محمد بن عمر بن محمد الحبشي (٩٧٧ - ١٠٥٢هـ)

محمد بن عمر بن محمد بن علوي بن أبي بكر بن علي بن أحمد بن محمد بن أسد الله بن حسن بن علي بن الفقيه المقدم، نزيل مكة المكرمة، وشهرته بالغزالي وبالحبشي، ولد بتريم وحفظ القرآن، صحب الشيخ عبد الله بن الشيخ عيدروس والقاضي عبدالرحمن بن شهاب الدين، والسيد عبدالرحمن بن عقيل والسيد أحمد بن محمد الحبشي وغيرهم، رحل إلى الحرمين وأخذ عن الشيخ عمر بن عبدالرحيم البصري والشيخ أحمد بن علان، ثم صحب السيد صبغة الله، والسيد أسعد، والشيخ أحمد الشناوي، توفي بمكة ودفن بالمعلاة[٢].

الخاتمة

نتج عن هذه الدراسة بأن القرن العاشر الهجري شهد وجود عدد كبير من العلماء الحضارم، تلقوا تعليمهم الشرعي في مؤسسات مكة المكرمة العلمية وهم على نوعين:

الأول: علماء وطلاب علم هاجروا من بلدانهم في مدن وقرى حضرموت ساحلًا وواديًا قاصدين الحرم المكي لكي ينهلوا من موارده العلمية، وهناك مارسوا حركة المجاورة في الحرم المكي، ومن خلال مجاورتهم بدأوا يتلقون دروسهم العلمية على أيدي أكابر علماء مكة، ووصل عدد منهم إلى مكانة مرموقة في الأوساط العلمية هناك، ومارسوا التدريس في أروقة وساحات الحرم المكي.

الثاني: منهم من كان من مواليد مكة المكرمة نتيجة هجرة آبائهم في فترات سابقة واستقرارهم فيها، و من ثمّ وجد جيل من الحضارم، لا يختلفون فيها عن إخوانهم القادمين

(١) المحبي، خلاصة الأثر، ج١، ص١٧٢، مرداد، نشر النور، ص٧٧.

(٢) المحبي، خلاصة الأثر، ج٤، ص٨٠. مرداد، نشر النور، ص٤١٨.

من حضرموت والمجاورين في الحرم المكي من خلال النبوغ العلمي، والتفوق على أقرانهم من علماء المشرق والمغرب الإسلامي، وكانت المجموعتان بمنزلة سفراء لبلادهم حضرموت، رفعوا من شأن حضرموت ومكانتها الثقافية بين أوساط العالم الإسلامي، ومن ثمَّ كان لهم دور في تطور الحركة العلمية في كل من حضرموت ومكة المكرمة.

قائمة المصادر

المخطوطات

النهروالي، محمد بن أحمد: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام. نسخة لدى الباحث.

الرسائل

أمحزون، محمد: المدينة المنورة في رحلة العياشي، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود.

المصاد المطبوعة

- ابن فهد، جارالله: نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٠م.
- أبو الخير، عبد الله مرداد: المختصر من نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي وأحمد علي، ط٢، ١٩٨٦م، عالم المعرفة جدة.
- بافقيه محمد بن عمر الطيب: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله بن محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م.
- بيومي، محمد علي: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، دار القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٦م.
- جلبي، أوليا: الرحلة الحجازية، ترجمة: الصفصافي أحمد، دار الأوقاف العربية، القاهرة (د. ت).
- البتنوني، عبد الكريم: الرحلة الحجازية، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة (د.ت).
- الحامد، نورة: الصلات الحضارية بين تونس والحجاز دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ١٢٥٦- ١٣٢٦هـ/ ١٨٤٠ - ١٩٠٨م، دارة الملك عبدالعزيز،الرياض، ٢٠٠٥م

- الجابري، خالد محسن: الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي، مؤسسة الفرقان، ٢٠٠٥م.
- عبدالله، عبدالرحمن صالح: تاريخ التعليم في مكة المكرمة، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٢م.
- النهروالي، محمد بن أحمد بن محمد: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، تحقيق: هشام عبدالعزيز، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٦م.
- العصامي، عبدالملك: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المكتبة السلفية،القاهرة (د.ت).
- المحبي، محمد: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت (د.ت).
- رمضان، آمال صديق: الحياة العلمية في مكة المكرمة ١١١٥- ١٣٣٤هـ / ١٧٠٣-١٩١٦م، مركز تاريخ مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.
- السنوسي، محمد: الرحلة الحجازية، تحقيق: علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨١م.
- العيدروس، عبدالقادر بن شيخ: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق وضبط نصوص: أحمد حالو و آخرون، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- المعلمي، عبد الله بن عبد الرحمن: أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي،ط١، ٢٠٠٠م.
- الشلي، محمد بن أبي بكر: المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل باعلوي،المطبعة العامرية الشرفية، ط١، ١٣١٩هـ.
- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن:
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه ونشره: أسعد طرابزوني،ج٢، ١٩٧٩م.

♦ المشهور، عبد الرحمن بن محمد بن حسين: شمس الظهيرة، تحقيق: محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٩٨٤م.

♦ الغزي، نجم الدين محمد بن محمد:الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

♦ هورخرونيه، ك.سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ترجمة: علي عودة الشيوخ، صياغة وتعليق: محمد محمود السرياني ومعراج نواب مرزا، مركز تاريخ مكة المكرمة، ١٤٣٢هـ.

من أعلام القضاة بالسلطنة الكثيرية الأولى
في القرن العاشر الهجري
الشيخ العلامة القاضي سالم بن محمد بامعيبد الشحري

عادل حاج باعكيم
مدير إدارة الوثائق والمخطوطات
بمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

المقدِّمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أمَّا بعد: فقد عَرَفت مدينة الشحر التاريخيَّة عددًا كبيرًا من العلماء الأعلام الذين لهم دور بارز في الحركة العلمية في عموم حضرموت، وتلك الحركة المباركة ازدهرت في القرنين التاسع والعاشر للهجرة، لذلك كثر التأليف والتدوين في هذين القرنين، إلا أن العدد الأكبر من هؤلاء العلماء لم يكن لهم نتاج علمي مكتوب، أو على أحسن الأحوال لهم مؤلفات لم تصلنا - لا هي ولا خبرها على الأقل - وهذا لفقدانها مثلًا.

حاولتُ منذ أعوام مضت أن أكتب تراجم - موسعة بعض الشيء - عن أعلام مدينة الشحر خاصة وحضرموت عامة، فكتبتُ عن جماعة من الأفاضل في أبحاث منفصلة، منهم الشيخ العلامة سعد الدين الظفاري الشهير بتاج العارفين، والشيخ العلامة القاضي أحمد بن عوض المصلي، والعلامة السيِّد عبدالله بن عبدالرحمن ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، وصاحب هذه الترجمة العلامة القاضي سالم بن محمَّد بامعيبد، والشيخ المؤرخ عبدالرحمن بن عبدالكريم الملاحي وغيرهم، وترجمتُ لكثير منهم في بعض الأبحاث التي كانت تدور حول فلك تراجم الأعلام، فمن هذه الأبحاث: كنز الشحر الدفين في ذكر بعض علماء الدين، والدليل لزيارة أولياء الشحر، ومساجد الشحر منارات علم وهداية وغيرها.

كتب عددٌ من الأساتذة والباحثين مؤلفات في تراجم الأعلام الحضارمة أو عن الحياة العلمية في حضرموت من جوانبها المتعددة، لكن ظلت هذه المؤلفات القيِّمة ناقصة في بعض

أبوابها ومباحثها، وهذا النقص يكمن – في رأينا – في عدم إشباع بعض تراجم الأعلام بحثًا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى في عدم استقصاء أخبار جميع الأعلام، فقد أغفل الكثير منهم عن الذكر وإن ذكر كان ذلك الذكر سطحيًا عابرًا.

هذا القصور الذي أشرنا إليه في الفقرة السابقة ليس عمدًا من الأساتذة ولكن لأسباب منها: شحَّة المعلومة و كثرة الأعلام ممَّا خلق صعوبة في التأليف عنهم جميعًا.

ويعد القرن العاشر الهجري من القرون المزدهرة في التدوين التاريخي في مدينة الشحر – حاضرة السلطنة الكثيرية الأولى – خاصة وحضرموت عامة مع هذا إلا أن هناك أعلامًا أغفلت ولم يسلط عليها ولو بعض الضوء.

هذا العلم الشحري البارز الذي خُصِّصَت هذه الصفحات القادمة في الحديث عن سيرته هو – كما تقدم – العلامة القاضي سالم بن محمَّد بامعيبد، وهو أحد أبرز علماء مدينة الشحر في القرن العاشر الهجري، فقد تولى بها القضاء والخطابة والتدريس وهو صاحب مسجد بُقْشَة المعمور إلى يومنا هذا، لكن للأسف لم تفرد له ترجمة ولو وجيزة فأحببنا أن نسلط على سيرته المباركة العطرة بعض الضوء مساهمة منَّا في مساعدة من أراد التعرف على أعلام أمته ليقتدي بهم، فهم خير قدوة بعد القدوة الأعظم حبيبنا الأكرم رسول الله محمَّد صلى الله عليه وسلم.

قسَّمنا هذا البحث (من أعلام القضاة بالسلطنة الكثيرية الأولى في القرن العاشر الهجري الشيخ العلامة القاضي سالم بن محمد بامعيبد الشحري) إلى مقدِّمة وتمهيد (موجز عن الوضع العلمي والقضائي في السلطنة الكثيرية الأولى في القرن العاشر الهجري) وسبعة مباحث وخاتمة، درسنا في كلِّ مبحث منها جزئية من حياة صاحب الترجمة رحمه الله.

تمهيد

موجز عن الوضع العلمي والقضائي في السلطنة الكثيرية الأولى في القرن العاشر الهجري

برز في القرن العاشر للهجرة بحضرموت عدد لا بأس به من العلماء الذين كانت لهم التأثيرات الكبيرة في مجتمعاتهم، وذلك – طبعًا وكما هو معروف – بسبب الاستقرار النسبي الذي شهدته حضرموت في ظل حكم السلطنة الكثيرية الأولى وخاصة في عهد سلطانها بدر بن عبدالله الكثيري المعروف بأبي طويرق، "وعلى الصعيد الثقافي يُعدُّ عصر السلطان بدر

من أكثر العصور التاريخية احتفالًا بالعلماء والأدباء الذين اشتهروا في مجالات التصوف والشريعة واللغة والتاريخ "[1].

قد كان للناحية العلمية عند السلطان بدر نصيب كبير من الاهتمام كما أسلفنا، فقد بث الدعاة والمعلمين في البلاد وأجرى رواتب لرجال العلم وأرباب التعليم، وأسس سنة ٩٥٩هـ بمدينة الشحر مدرسته التي عرفت بالسلطانية الواقعة - حينها - بالجانب الشرقي للمسجد الجامع الشريف، قصد هذه المدرسة طلاب المعرفة من كل صوب واختار لها من الأساتذة والنظَّار من يشار إليه بالبنان علمًا وفضلاً، وبدل ذلك السلطان مجهودًا كبيرًا لإقناع العلامة نور الدين علي بن علي بايزيد بتولي إدارة مدرسته والتدريس والإفتاء بها أيضـًا، كما جعل عليها وقفًا يقوم بما تتطلبه المدرسة من نفقات[2].

ثم أخذ السلطان بدر ينشئ المحاكم القضائية وينظم شؤون الإدارة في البلاد، فجعل يختار القضاة الأكفاء ليتولوا هذه المهمَّة الصعبة والخطيرة في آن واحد، فممَّن أشتهر من القضاة في ذلك العهد العلامة الجليل عبدالله بن عمر بامخرمة المعروف بالشافعي الصغير، قال الأستاذ باوزير في صفحاته[3]:" ولم تخف مواهب الفقيه بامخرمة ومقدرته العلمية على السلطان بدر أبي طويرق فصمَّم على الانتفاع به والاستفادة منه وولاه قضاء الشحر ومنصب الإفتاء فكان بمثابة رئيس القضاة، كما كان كاتم سر السلطان...إلخ".

تعاقب على وظيفة القاضي عدد لا بأس به من الرجال الأكفاء الذين عرفوا بالفضل وحُسن السيرة والتصرُّف في القضايا التي تأتي إليهم - غالبًا -، فمن أشهر القضاة بمدينة الشحر في القرن العاشر الهجري بالإضافة إلى العلامة بامخرمة - السالف الذكر - العلامة محمد بن عمر بحرق، والعلامة الورع عبدالله بن محمد بن عبسين، والعلامة عفيف الدين عبدالله بن أحمد باسرومي، والعلامة شهاب الدين أحمد بن عبدالله بالرعية، والعلَّامة سعيد بن يعقوب بالرعية، والعلامة سالم بن محمد بامعيبد وغيرهم.

---

(١) السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت، د. الجعيدي، ص١١١.

(٢) صفحات من التاريخ الحضرمي، باوزير، ص١٥٨، وأدوار التاريخ الحضرمي، للشاطري، ص٢٤٠.

(٣) ينظر ص ١٧٧ من الكتاب المذكور.

أولًا: اسمه ونسبه:

هو الشيخ العلَّامة القاضي سالم بن محمَّد بن سالم بامعيبد الشحري[1]، لم تزد المصادر التي بحوزتنا على هذا الاسم شيئًا، لكن بعضهم جعله محمَّد بن سالم بامعيبد نقلًا عن الأستاذ محمَّد عبد القادر بامطرف[2] الذي كتبه سهوًا في كتابه الشهداء السبعة الحاشية رقم (٣٩) عند حديثه عن تاريخ مسجد جامع الشحر باسم محمَّد بن سالم بامعيبد، وقال في الحاشية المذكورة:" توفي الشيخ محمَّد سنة ٩٧٠هـ بالشحر ودفن بناء على وصيته بجوار أستاذه الشيخ عمر بن عبد الرحيم باوزير (مولى الربع)"[3]، هذا السياق يوضح لنا السهو الذي وقع فيه الأستاذ بامطرف، لأن المصادر التي ينقل منها الأستاذ بامطرف وغيره من الباحثين عن تاريخ مدينة الشحر في القرن العاشر الهجري هي واحدة وهي ما يعرف بكتب الحوليات وهي ممَّا كتب عن تاريخ المدينة في القرن العاشر نفسه، منها على سبيل المثال: تاريخ الشحر المسمَّى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر لعبدالله بن محمَّد باسنجلة وتاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر المسمَّى تاريخ حوادث السنين للمؤرخ محمَّد بن عمر بافقيه، أثبت أصحاب هذه المصادر المتقدِّمة أن اسم العلَّامة بامعيبد هو سالم بن محمَّد، وليس محمد بن سالم كما عند الأستاذ بامطرف.

وممَّا يدلنا أيضًا على السهو وسبق القلم والخلط الذي وقع فيه الأستاذ بامطرف - بين صاحب الترجمة وأبيه - أنه في الحاشية رقم (٧٣) من كتابه الرائع المتقدِّم الذكر قال: " خلفًا للعلامة الفقيه الشيخ سالم بن محمَّد بامعيبد "، وتكفينا هذه الأدلة الواضحة على أن الأستاذ

---

(١) ينظر تاريخ الشحر المسمَّى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر لباسنجلة ص٦٠.

(٢) ولد بمدينة الشحر في ٢٥ يونيو ١٩١٥م، ودرس بمدرسة مكارم الأخلاق ثم واصل دراساته بعدن ثم لندن والخرطوم، شغل وظائف حكومية عالية في الدولة القعيطية، له العديد من المؤلفات منها الشعر الشعبي الحضرمي، فن وصناعة - خمسة أجزاء - الشاعر الشعبي المعلّم عبدالحق - شاعر الغزل حدّاد بن حسن الكاف - الغزل في شعر المحضار - الشهداء السبعة - الجامع - الميزان وغيرها، توفي بالمكلا في أول يوليو ١٩٨٨م رحمه الله. للمزيد ينظر مدرسة مكارم الأخلاق ثمانون عامـًا من العطاء ص٤٥، وبامطرف الحاضر الغائب (كتاب التأبين).

(٣) ينظر الشهداء السبعة ص١٢٦.

بامطرف – رحمه الله – قد سها في ذلك الموضع من كتابه وأن الذين نقلوا عنه[1] لا يمتلكون الحس التاريخي الذي يبين به الكاتب للتاريخ الوقائع والحقائق، لذلك يجب أخذ ما يكتبون بتوجُّس وحذر شديدين.

أمَّا عن نسب العلامة بامعيبد فقد حاولت بل أطلت المحاولة في البحث عن مصدر يثبت ما يقوله أفراد هذه القبيلة المعروفة بالعلم والصلاح، تعددت أماكن سكن آل بامعيبد وتفرَّق المنتسبون إليها في مدن وقرى حضرموت فمنهم من يسكن مدينة الشحر وضواحيها ومدينة المكلا والهجرين وغيرها من المدن والقرى الحضرميَّة لكن الجميع مع اختلاف أماكن سكنهم وعدم معرفتهم لبعضهم البعض إلا أنهم اتفقوا على القول: إن نسبهم يرجع إلى بني خزاعة القبيلة العربية المعروفة، مع هذا الإجماع بين أفراد القبيلة إلا أنني لم أقف على ما يثبت ذلك كما تقدَّم، لكن جاء في الأثر :" الناس مؤتمنون على أنسابهم " وكفى.

وفي بلاد العرب والمسلمين قبائل أخرى تسمَّى آل معيبد و المعيبد، قال الأستاذ إبراهيم المقحفي في كتابه معجم البلدان والقبائل اليمنية:" آل معيبد: بطن من الأشاعرة. منهم تقي الدين بن معيبد[2]، وزير الدولة في عصر الملك الأشرف عباس، وكان أديبًا فاضلاً عالمـًا، ومن محاسنه بناء مدرسة (المحاريب) من مدينة تعز. وكان أول وزارته سنة ٧٧٤هـ "[3]، وقال الأستاذ عمر رضا كحَّالة في كتابه معجم قبائل العرب: " المعيبد: فخذ من اليسار[4] بالعراق "[5].

---

(١) منهم صاحب كتاب "الشحر عبر التاريخ" ينظر ص١٩١، وصاحب كتاب "الشحر حضارة وتاريخ ومعلم" ينظر ص١٢٦.

(٢) ومنهم أيضـًا عمر بن أبي القاسم بن معيبد المتوفي سنة٨٣٩هـ وهو صاحب الخدم الخضرية في مدح الخضر، ومنهم أيضـًا تقي الدين عمر بن محمد بن معيبد المشهور بالفتي المولود بزبيد ٨٠١هـ وتوفي سنة ٨٨٧هـ من مؤلفاته الإبريز الغالي على وسيط الغزالي وأنوار الأنوار وتقريب المحتاج وغيرها كثير، للمزيد عنهما ينظر مصادر الفكر الإسلامي في اليمن للأستاذ الحبشي ص٢٢٧ – ٣٣١ – ٣٣٣.

(٣) ينظر ج٣ ص١٩٤٦.

(٤) للمزيد عن اليسار ينظر معجم قبائل العرب لكحَّالة ج٣ ص٣٨٩.

(٥) ينظر ج٣ ص٢٤٢.

ثانيًا: مولده ونشأته:

ولد العلَّامة سالم بن محمد بامعيبد في مدينة الشحر - المدينة ذات التاريخ العلمي العريق - في مطلع القرن العاشر الهجري تقريبـًا، ونشأ بمسقط رأسه في كنف عائلته التي عرفت بالعلم والفضل والصلاح والثراء، قال العلامة القاضي عبدالله بن محمَّد باحسن جمل الليل:" وآل[١] بامعيبد من أهالي الشحر القدماء وكانوا أهل أموال واسعة وفيهم من أهل العلم والمعرفة والديانة ناس كثير ولهم ذريَّة باقية الآن بالشحر المحروسة "[٢]، وقال الأستاذ المؤرخ عبد الرحمن بن عبدالكريم الملاحي - رحمه الله -: " أسرة عرفت بالعلم والصلاح، برز منها علماء أفاضل "[٣].

ثالثًا تلقِّيه العلم وتراجم مختصرة لبعض مشايخه:

تلقى العلامة بامعيبد العلم في مدينته الشحر وبغيل أبي وزير، من أشياخه الشيخ عمر بن عبد الرحيم باوزير المشهور بمولى الربع. لكن المصادر التي بحوزتنا لم تذكر من أخبار أشياخه الأفاضل الشيء الكثير لذاك اضطررنا لاستقراء الحياة العلمية في ذلك العصر لنتعرَّف على الطبقة التي يحتمل أخذه العلم منهم.

فبالاستقراء نجده من طبقة الآخذين عن العلَّامة عبدالله بن عبد الرحمن بلحاج بافضل والعلَّامة محمَّد بن عمر بحرق والعلَّامة عبدالله بن أحمد باسرومي ومن كان في طبقتهم من علماء مدينة الشحر وغيل أبي وزير في ذلك العهد المزدهر علميًّا.

الآن سنتحدث باختصار عن بعض مشايخه حقيقة، ومن نظن أنه من أشياخه:

الأول: الشيخ عمر بن عبدالرحيم باوزير المشهور بمولى الربع، ولد بمدينة غيل أبي وزير وبها نشأ وتلقى العلم عن علمائها على رأسهم والده العلامة الصوفي عبدالرحيم، للأسف لم تسعفنا المصادر بالكثير من أخباره، توفي بغيل أبي وزير في شهر ربيع ثاني سنة ٩٤٦هـ رحمه الله[٤].

---

(١) في الأصل: أهل بامعيبد.

(٢) ينظر نشر النفحات المسكية لباحسن ص٤٩٨.

(٣) ينظر روزنامات الرُّبّان بامعيبد عند حديثه عن الربان المعلم بامعيبد.

(٤) ينظر تاريخ وحوادث السنين لبافقيه ص٢٢٩، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي لباوزير ص١٣٩، والشهداء السبعة لبامطرف ص١٢٦.

الثاني: العلَّامة عبدالله بن عبدالرحمن بن أبو بكر بلحاج بافضل، ولد بتريم ونشأ وأخذ العلم بها وبالشحر وعدن واليمن والحرمين، من مشايخه العلامة أبو عبد الله جمال الدين محمَّد بن أحمد بن عبدالله بافضل(١) والعلامة الفقيه أبو الطيِّب عبد الله بن أحمد بامخرمة(٢) والعلامة الصوفي عمر بن عبدالرحمن باعلوي المعروف بصاحب الحمراء(٣) والعلامة إبراهيم بن علي بن ظهيرة والعلامة محمَّد بن محمَّد الطبري والعلامة أبي الفتح المراغي وغيرهم، انتقل للعيش بمدينة الشحر وكان ذلك بفضل القاضي العلامة عبدالله بن محمَّد بن حسن بن عبسين(٤) وتولى بها التدريس، له مؤلفات مفيدة أشهرها المقدمة الحضرمية في

(١) ولد بتريم سنة ٨٤٠هـ وأخذ بها العلم وبغيل أبي وزير وعدن، من أشياخه الفقيه محمَّد بن علي باعديلة والعلامة محمَّد بن أحمد باحميش والعلامة القاضي محمَّد بن مسعود باشكيل، تولى الإفتاء والتدريس بعدن بعد وفاة شيخه باحميش، له مؤلفات كثيرة منها تراجم صحيح البخاري وشرح ألفية البرماوي ونور الأبصار مختصر الأنوار وشرح المدخل والعدة والنكاح في أحكام النكاح ورسالة بالعمل بالربع المجيب، توفي بعدن بعد حياة حافلة بالعلم والعمل يوم السبت ١٥ شوال سنة ٩٠٣هـ رحمه الله. للمزيد ينظر النور السافر ص٢٤ والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٤٢ والعقد الثمين الفاخر لباسنجلة ص٢٢ وغيرهم.

(٢) ولد بالهجرين ليلة الأربعاء ١٢ رجب سنة ٨٣٣هـ، أرتحل إلى عدن لطلب العلم وأخذ بها عن جماعة منهم العلامة محمَّد بن أحمد باحميش والعلامة القاضي محمَّد بن مسعود باشكيل، ثم عاد إلى حضرموت فقصد شبام وأخذ بها عن العلامة إبراهيم بن محمَّد باهرمز وغيرهم، من تلامذته أولاده والعلامة عبد الله بلحاج بافضل والعلامة عمر بن أحمد باكثير والعلامة محمَّد بن عمر بحرق وغيرهم، له مؤلفات مفيدة منها فتاوى وتعليقات على جامع المختصرات وعلى ألفية ابن مالك وشرح على ملحة الإعراب، توفي بعدن في ٢١ محرَّم سنة ٩٠٣هـ. للمزيد ينظر قلادة النحر لبامخرمة [٦/ ٥٢٧] الترجمة رقم ٤٣٦٧، والنور السافر ص٣٠، وجهود فقهاء حضرموت ص٤١٥ وغيرهم.

(٣) توفي بالحمراء من بلاد بلحج سنة٨٨٩هـ، وترجم له السخاوي في كتابه الضوء اللامع.

(٤) يُعَدُّ العلامة ابن عبسين من أشهر علماء القرن التاسع الهجري، كان واسع المعرفة غزير العلم نبغ في علوم منها: الفقه والحديث وعلوم العربية بفروعها والتفسير وغيرها، كما أنه كان صاحب خط جميل جداً، اشتغل بالتدريس والفتوى بالشحر، وتولى العلامة ابن عبسين القضاء بها أيضاً وبنى عُلمة بجانب الجامع، قيل في سنة ٨٩٧هـ الموافق ١٤٩٢م، واستجلب الشيخ الفقيه عبد الله بلحاج بافضل من تريم ليتولى التدريس بها، كما أن للعلامة ابن عبسين حسنات أخرى منها إخراجه وقف الجامع من يد الدولة ونسخه المصحف بخطه الجميل لطلبة العلم، توفي بالشحر لأربع خلت من شهر ربيع الثاني سنة ٩٠٧هـ الموافق ١٥٠٢م ودفن بمقبرة الشيخ العلامة فضل بافضل رحمه الله. للمزيد ينظر النور السافر للعيدروس ص٤٣، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٤٤.

فقه الإمام الشافعي، توفي بالشحر يوم الأحد خامس شهر رمضان سنة ٩١٨هـ رحمه الله(١).

الثالث: العلَّامة جمال الدين محمَّد بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن علي بحرق، ولد سنة ٨٦٩ بمدينة الشحر(٢) وبها أخذ العلوم وبغيل أبي وزير وعدن وزبيد واليمن والحجاز، من أشياخه الأفاضل العلامة محمَّد بن أحمد باجرفيل(٣) والعلامة عبدالله بن أحمد بامخرمة والعلامة محمَّد بن أحمد بافضل والعلامة حسين الأهدل وغيرهم، تولى القضاء بالشحر في عهد السلطان بدر الكثيري المشهور بأبي طويرق، له مؤلفات كثيرة منها: عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر - العقد الثمين في إبطال القول في التقبيح والتحسين - الحسام المسلول على منتقصي الرسول - التبصرة الأحمدية في السيرة النبوية - تجريد المقاصد عن الأسانيد والشواهد - حلية البنات والبنين وزينة الدنيا والدين - العروة الوثيقة - الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة - العقيدة الشافعية في شرح القصيدة اليافعية - الحواشي المفيدة على أبيات اليافعي في العقيدة - متعة الأسماع بحكم السماع - ترتيب السلوك في ملك الملوك - مختصر نهاية الناشري - شرح الجزرية - شرح ملحة الإعراب - فتح الرؤف في شرح منظومة معاني الحروف - الكافية في الطب وشرحها - أرجوزة في علم الحساب - مختصر الخلاصة لابن مالك - رسالة في علم الميقات - مختصر شرح الصفدي على لامية العجم - البهجة في

---

(١) للمزيد ينظر النور السافر للعيدروس ص٩٢، وصلة الأهل لبافضل ص١٤٢، والسناء الباهر للشلي ص١١٣، وجهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي لباذيب ص٤٤٦، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي لباوزير ص١٤٥.

(٢) ومن المهم الإشارة هنا بأن في هذا العصر - القرن العاشر الهجري - وجد في حضرموت رجلين بنفس الاسم الثلاثي (محمَّد بن عمر بن مبارك بحرق) لكن أحدهم عالم وهو صاحب المصنفات الكثيرة وصاحب الترجمة الذي توفي بالهند سنة ٩٣٠هـ والثاني ولد في شبام وهو سياسي عسكري وهو أحد قادة الحملة البدريَّة الكثيريَّة على المهرة في رمضان سنة ٩٥١هـ وهو المقصود بالمثل الشبامي ما لله لله وما لبحرق لبحرق. لكن من المؤرخين من ألتبس عليه أمرهما وجعلهما شخصاً واحداً، من هؤلاء الأستاذ سعيد عوض باوزير في كتابه صفحات من التاريخ الحضرمي وتبعه في ذلك أستاذنا عبد الرحمن عبد الكريم الملاحي رحمهما الله.

(٣) ترجم له باختصار الأستاذ باوزير في كتابه الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٤٣، فقال:" الفقيه العلامة محمَّد بن أحمد باجرفيل الدوعني كان فقيهاً بارعاً ومربياً قديراً غلب عليه التصوف فخاض غماره وحقق أسراره حتى صار من كبار مشايخ الطريقة وأعلام أئمة الحقيقة، توفي بغيل باوزير سنة ٨٨٩هـ وهو يؤدي وظيفته التعليميَّة ".

تقويم اللهجة – شرح منظومة في العروض – مختصر الأذكار – مختصر الترغيب – مواهب القدوس في مناقب أبي بكر العيدروس، رحل في أواخر حياته إلى الهند فكانت بها وفاته سنة ٩٣٠هـ رحمه الله(١).

الرابع: العلَّامة القاضي عفيف الدين عبدالله بن أحمد باسرومي، ولد بمدينة الشحر ونشأ بها وأخذ العلم عن علمائها ثم ارتحل إلى زبيد وأخذ بها عن العلامة كمال الدين موسى بن الزين والعلامة جمال الدين محمَّد بن حسين القمَّاط وغيرهما، ثم رجع إلى مدينته وأخذ بها عن العلامة عبد الله بلحاج بافضل، ثم تولى بها القضاء سنة ٩١٠هـ، قال العيدروس:" ولم يزل متوليًا بها القضاء إلى أن عزم إلى الحج "، وقال أيضًا:" ذكره الفقيه عبدالله أبا مخرمة في ذيل طبقات الأسنوي وذكر أنه من جملة شيوخه "، وقال أيضًا:" وبلغني أنه كان اعتنى بحاشية على الروضة لكن خفيت في آخر أيامه وبعد وفاته، والسبب في ذلك أن أحد أولاده دخل بها الهند حتى أنها عدمت ولم تظهر "، وقال الكاف في خلاصة الخبر:" اعتنى بحاشية على الروضة لكن خفيت في آخر أيامه وبعد وفاته، كأن أحدًا من حسَّاده ظفر بها وأعدمها "، عزم العلامة باسرومي في أخر حياته على أداء فريضة الحج فلما وصل مكة المكرمة وافته المنيَّة بها في شهر ذي القعدة(٢) سنة ٩٤٣هـ ودفن بالمعلاة رحمه الله(٣).

رابعًا: تولِّيه القضاء بمدينة الشحر ونواحيها، وتولِّيه إمامة الجامع الشريف(٤):

تولَّى العلَّامة بامعيبد القضاء في مدينته الشحر في عهد السلطان بدر بن عبد الله الكثيري الشهير بأبي طويرق(٥) (ت: ٩٧٧هـ)، قال المؤرخ محمَّد بن عمر الطيب

---

(١) للمزيد ينظر النور السافر للعيدروس ص١٣٣، وخلاصة الخبر للعلامة عمر الكاف ص٣٠٠ والسنا الباهر للشلي ص٢٠٩ والضوء اللامع للسخاوي [٨/ ٢٥٣] وصفحات من التاريخ الحضرمي لباوزير ص١٤٥ وجهود فقهاء حضرموت لباذيب ص٤٦٤ ومصادر الفكر الإسلامي في اليمن للحبشي ٢٣٣ وغيرهم.

(٢) وقال المؤرخ عبد الله باسنجلة في تاريخه (العقد الثمين الفاخر) ص٥٤ أن وفاته كانت في شهر شوال والبقيَّة ممن ذكره وترجم له قالوا في ذي القعدة لذلك أثبتناه في المتن.

(٣) للمزيد ينظر: النور السافر للعيدروس ص١٨٨، وخلاصة الخبر للعلامة عمر الكاف ص٣٦٥، وصفحات من التاريخ الحضرمي لباوزير ص١٤٧ وغيرهم.

(٤) هكذا سمَّاه المؤرخ الأديب الفقيه عبد الله بن محمَّد باسنجلة في تاريخه ص١١٥ وص ١١٩.

(٥) ينظر ترجمته بتوسُّع في كتاب صفحات من التاريخ الحضرمي لباوزير ص١١٩، كما له ترجمة في النور السافر للعيدروس ص٢٩٣.

باقفيه[1] بعد أن ساق خبر وصول الأمير الشريف ناصر بن أحمد الذي كان في رمضان سنة ٩٤٨هـ-: " ورجع القاصد إلى الشحر [وبصحبته][2] الفقيه القاضي سالم بن محمَّد بامعيبد قاضي الشحر "، يدلنا هذا الخبر على أن العلَّامة بامعيبد تولى القضاء بالشحر للمرة الأولى قبل سنة ٩٤٨هـ، وهناك عند المؤرخ عبدالله بن محمَّد باسنجلة[3] (ت: ٩٨٦هـ) إشارتان نستنبط منهما: أن توليته كانت سنة ٩٤٤هـ، وذلك يقينًا خلفًا للقاضي شهاب الدين أحمد بن عبد الله بالرعية[4].

قال المؤرخ باسنجلة:" وفيها [أي سنة ٩٥٣هـ] استنيب الفقيه سالم بامعيبد بعد أن عُزِلَ عبد الله في شهر شعبان "، يدلنا هذا الخبر على أن العلَّامة بامعيبد عُزِلَ عن القضاء بالشحر بعد توليه للمرة الأولى قبل شهر شعبان من سنة ٩٥٣هـ وأنه استنيب لفترة وجيزة بعد تنحيه عن القضاء، وذلك بعد أن عُزِلَ عن القضاء العلَّامة القاضي عبدالله بن عمر بامخرمة[5].

ثم في شهر صفر سنة ٩٥٤هـ تولى العلَّامة سالم بامعيبد القضاء بمدينة الشحر للمرة الثانية[6]،

---

(١) ولد المؤرخ بافقيه بحضرموت سنة ٩٧٠هـ الموافق ١٥٦٣م وتلقى تعليمه على يد علمائها إذ كانت قبلة العلماء في زمانه، توفي بالشحر في منتصف القرن الحادي عشر الهجري رحمه الله. ينظر تقديم تاريخه نسخة عبدالله الحبشي ص١٠، ونسخة د. أحمد رابضة (شخصية المؤلف وعصرة) قبيل الفهرس.

(٢) في الأصل وصحبته.

(٣) أختلف المؤرخون حول أسمه الأخير منهم من يسمِّيه باسنجلة ومنهم من يطلق عليه باسخلة، كان فقيهًا أديبًا عاش بالشحر وتوفي بها سنة ٩٨٧هـ رحمه الله. للمزيد ينظر مقدمة المحقق الأستاذ الحبشي لتاريخه المسمَّى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر ص٦.

(٤) ينظر ص٦٠ وص١١٤، وتاريخ حوادث السنين لبافقيه ص٢٤٧.

(٥) ولد بمدينة الشحر بعد العشاء لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ٩٠٧هـ الموافق ١٥٠٢م، تلقى تعليمه بمسقط رأسه الشحر وزبيد والحجاز، من مشايخه والده الصوفي عمر وعمه المؤرخ الطيب بامخرمة والعلامة عبد الله بن أحمد باسرومي، تولى القضاء بالشحر كما تولى مستشاريَّة السلطان بدر بن عبد الله الكثيري المعروف بأبي طويرق، من مؤلفاته ذيل على طبقات الشافعية للأسنوي، وحاشية على أسنى المطالب شرح الروض، والمصباح شرح العدة والسلاح في النكاح، وفتاوى وغيرها، توفي بعدن ليلة العاشر من شهر رجب سنة ٩٧٢هـ الموافق ١٥٦٥م رحمه الله. للمزيد ينظر النور السافر ص٢٥٠، وتاريخ حودث السنين ص٣٠٤، وخلاصة الخبرص٣٧٨، وصفحات من التاريخ الحضرمي ص١٣٥ وغيرهم.

(٦) ينظر تاريخ حوادث السنين لبافقيه ص٢٧٣.

وكان عزله منها هذه المرَّة يوم الخميس ٢٠ ذي القعدة الحرام سنة ٩٥٨هـ[١] وتولاه بعده العلّامة سعيد بن يعقوب بالرعية[٢].

قال المؤرخ عبدالله بن محمَّد باسنجلة:" توفي القاضي سالم بن محمَّد بامعيبد بغيل أبي وزير ليلة الأربعاء السابع عشر جماد الأول، وكان موته وهو معزول عن القضاء بالقاضي عمر بن أبي طويح الدوعني[٣] "[٤]، يدلنا هذا القول على أن العلامة القاضي بامعيبد تولي القضاء بالشحر مرة ثالثة وهي إلى قبيل وفاته كما يحكي النص المتقدم صراحة.

أمَّا عن توليه الإمامة والخطابة بالجامع الشريف بالشحر، فقد أنابه السلطان بدر بن عبد الله الكثيري (أبو طويرق) لإمامة الجامع في العشر الأخيرة من ذي الحجة سنة ٩٤٤هـ بعد أن كان إمامه القاضي شهاب الدين أحمد بن عبد الله بالرعية[٥]. واستمر العلاَّمة بامعيبد إمامًا وخطيبًا للجامع إلى أن عُزِلَ في شهر رمضان سنة ٩٥٠هـ وتولاها بعده الفقيه عبد الله بن عبَّاد[٦].[٧]

قال الأستاذ محمَّد بامطرف:" وبعده تولى الإمامة والخطابة الفقيه الشيخ سعيد بن يعقوب بالرعيَّة "[٨]، ومن هذه العبارة يظهر لنا أن الأمر قد التبس على الأستاذ بامطرف، فظنَّ أن العلَّامة بالرعية تولى الإمامة والخطابة بعد العلَّامة بامعيبد يقينًا وفي الحقيقة أنه تولى

(١) ينظر العقد الثمين الفاخر لباسنجلة ص١٠٤.

(٢) الشيخ العلامة سعيد من علماء مدينة الشحر في القرن العاشر الهجري، أخذ علمه عن علماء الشحر وقيل غيل أبي وزير والحجاز، قيل بأخذه عن الإمام ابن حجر الهيثمي بمكة وقيل استجازه بالمراسلة، والمكاتبة التي بين أيدينا تثبت المحبة والمودة بينهما كما تثبت الأخذ أيضـًا، تولى التدريس والإمامة في الجامع الشريف بالشحر، توفي ليلة الجمعة رابع شهر رمضان سنة ٩٧٢هـ الموافق ١٥٦٥م رحمه الله. للمزيد ينظر تاريخ حوادث السنين لبافقيه ص٣٠٨، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٤٨، جهود فقهاء حضرموت ص٥٥٨ وغيرهم.

(٣) للأسف لم أقف له على ترجمة.

(٤) ينظر العقد الثمين الفاخر ص١١٤.

(٥) ينظر العقد الثمين الفاخر لباسنجلة ص٦٠.

(٦) لم أقف له على ترجمة فيما بحوزتي من مصادر.

(٧) ينظر تاريخ حوادث السنين لبافقيه ص٢٥٤ والعقد الثمين الفاخر لباسنجلة ص٨٥.

(٨) ينظر الشهداء السبعة ص١٢٦.

بعده القضاء، وهذا ما ذكرته وأكَّدته المصادر المعاصرة للاثنين والتي يرجع إليها الجميع عند الحديث عن مدينة الشحر في القرن العاشر الهجري، لكن أورد المؤرخ بافقيه في تاريخه (تاريخ حوادث السنين) بعد أن ذكر إن وفاة القاضي سعيد بالرعيَّة كانت ليلة الجمعة رابع شهر رمضان سنة ٩٧٢هـ قوله:" وكان إمامَ الجامعِ ومدرِّسًا به، وولي إمامة الجامع في مرض الفقيه سعيد المذكور الفقيه القاضي عبد الله بن عقيل بافضل[١] يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر شعبان "[٢]، هذا النص يدعِّم قليلاً قول الأستاذ بامطرف لكن لا يثبته لذلك نظل متوجسين من قول الأستاذ " وبعده تولى الإمامة والخطابة " أي يقينًا وهذا لم يثبت بالنسبة لنا على الأقل، ونرجو من الله أن يظهر ما خفي من المصادر التاريخية لعلها تفيد بإنهاء هذه المسألة وغيرها ممَّا خُفِي علينا في طيَّات هذا التاريخ العتيق.

خامسًا: منزلته العلميَّة:

يُعَدُّ العلَّامة القاضي سالم بن محمَّد بامعيبد من أشهر أعيان مدينة الشحر في القرن العاشر الهجري، ممَّا يدلنا على ذلك ما رواه المؤرخ عبد الله باسنجلة في حوادث سنة إحدى وستين وتسعمائة (٩٦١هـ)، قال:" بيوم السبت ثامن شهر صفر توفي طواف بن عيسى بن سليمان المحمَّدي، ودفن بالشحر بمشهد الشيخ محمَّد باذيب، وحضر الصلاة عليه السلطان بدر، والقاضي سالم بامعيبد، والفقيه سعيد بالرعية، والفقيه علي بايزيد، وخلق كثير من أعيان الشحر، وأمر السلطان سالم بامعيبد أن يصلي بالناس "[٣]، يدلنا تقديم السلطان بدر بن عبد الله الكثيري (أبو طويرق) للعلامة بامعيبد ليصلي بالناس مع حضور أعيان البلاد وعلمائها والذي خُصِّصَ بالذكر منهم العلَّامة سعيد بن يعقوب بالرعية (قاضي الشحر والمدرس بجامعها) والعلَّامة نور الدين علي بن علي بايزيد[٤] (المدير والمدرِّس بالمدرسة البدرية

(١) الفقيه الجليل القاضي عبدالله بن عقيل بن محمَّد بن عبدالله بافضل، لم تسهب المصادر في ذكر ترجمته، كان له الثناء الحسن عند الناس، توفي يوم الأحد ٢١ جمادى الآخرة سنة ٩٨٠هـ رحمه الله. ينظر تاريخ حوادث السنين لبافقيه ص٣٠٨، وصلة الأهل ص٢١٥، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٥٣.

(٢) ينظر تاريخ حوادث السنين لبافقيه ص٣٠٨.

(٣) ينظر تاريخ حوادث السنين ص١٠٦.

(٤) طلبه السلطان بدر الكثيري أبو طويرق ليوليه الإدارة والتدريس في مدرسته البدريَّة التي افتتحها بالشحر سنة ٩٥٩هـ، له مؤلفات منها عقد اللآلي والنكت الغوالي فيما يتعلق بإرشاد الغادي، وفتاوى مفيدة،

بالشحر) يدلنا كل هذا على المكانة السَّامية التي وصل إليها العلَّامة سالم بامعيبد.

قال المؤرخ محمَّد بافقيه في تاريخه:" الفقيه العالم القاضي سالم بن محمَّد بامعيبد"[(١)]، وقال المؤرخ عبد الله باحسن جمل الليل:" الفقيه العلامة سالم بن محمَّد بامعيبد "[(٢)]، وقال أيضًا الأستاذ سعيد عوض باوزير:" الفقيه العلامة سالم بن محمَّد بامعيبد "[(٣)]، كل هذا الوصف بالفقه والتمكن منه والعلم والاتساع فيه يدل دلالة واضحة على المكانة المرموقة التي وصل إليها صاحب الترجمة رحمه الله، ونكتفي بذكر هذا.

سادسًا: بناؤه المسجد بالشحر (مسجد بُقْشَة):

في مطلع القرن العاشر الهجري وما قبله كان هناك في الموقع والمكان الذي يوجد فيه مسجد بُقْشَة بحارة الرملة (اليوم) حسي ماء[(٤)] كانت تشرب منه الجِمَال (الإبل) التي كانت تعصر السليط (زيت السمسم) بالشحر وكان بجانب هذا الحسي مصلى صغير ليصلي فيه أصحاب تلك الجِمَال[(٥)]، وفي سنة ٩٤٣هـ ضَرَبَ (سَكَّ) السلطان بدر بن عبد الله الكثيري أبو طويرق البُقْشَة البدريَّة[(٦)]، وهي إحدى العملات النقدية التي استعملت بالشحر أيَّام السلطان بدر أبو طويرق[(٧)]، وجعل السلطان المذكور ثمنًا لشرب الجمل الواحد في اليوم بُقْشَة بدريَّة

توفي بالشحر سنة ٩٧٥هـ. للمزيد ينظر ترجمته في خلاصة الخبر للكاف ص٤١٨، والفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص١٤٨.

(١) ينظر تاريخ حوادث السنين ص٣٠٢.

(٢) ينظر نشر النفحات المسكية ص٤٩٨.

(٣) ينظر الفكر والثقافة ص١٥٣.

(٤) عين الماء القريبة من سطح الأرض، وهذا الحسي ظلَّ إلى فترة قريبة موجود على هيئته السابقة، وبعد توسعة المسجد أصبح ضمن ضاحيته الشرقية، وهذا الحسي يؤخذ منه الماء للمسجد إلى اليوم.

(٥) مقابلة مع الأستاذ الباحث عبد الله صالح حدَّاد، في بيته القديم، بتاريخ ٢٣/ ٩/ ٢٠١٥م، وعدَّة مقابلات مع العم الشيخ سالم عبود باعكيم آخرها بمسجد بُقْشَة بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٥م

(٦) ينظر تاريخ حوادث السنين لبافقيه ص٢٠٤.

(٧) قال الأستاذ المؤرخ محمَّد بن أحمد الشاطري في كتابه أدوار التاريخ الحضرمي ص٢٤١:" أما العملة فقد ضربها (أي سكَّها بدر) في شكل ريالات من الفضة فئة الريال وفئة نصف الريال وفئة ربع الريال، وللريال أجزاؤه النحاسية وحدتها بقشة يتألف من ثمانين منها وذلك سنة ٩٤٣هـ (في الأصل ٩٣٤هـ وهو خطأ ظاهر)... ويظهر أن الريال أوقية (أونس) وتستعمل فيها (أي في الشحر والدولة الكثيريَّة الأولى) الدنانير العباسية والدراهم العباسية أيضـًا والرسولية ".

واحدة فكان أصحاب الجِمال يقولون:" نريد ماء بُقْشَة " أو " مصلى ماء بُقْشَة " فاختصرت بعد زمن إلى أن أصبحوا يقولون " نريد بُقْشَة " يقصدون بها حسي الماء أو المصلى، وعلى أنقاض ذلك المصلى بنى العلَّامة القاضي سالم بامعيبد مسجدًا عُرِفَ باسمه (مسجد بامعيبد) لكن الناس في الشحر استعاضوا بعد ذلك عنه بالاسم الأشهر للموقع (بُقْشَة) فاصبح يسمَّى بذلك إلى اليوم[١]، وهذا المسجد بني ما بين سنة ٩٤٣هـ وسنة ٩٧٠هـ أي ما بين سك السلطان بدر البُقْشَة ووفاة مؤسس المسجد.

وهناك قصَّة أخرى حول سبب تسمية المسجد ببُقْشَة اخترعها بعض العامة، ليس لها أي نصيب من الحقيقة أبدًا وهي: أن رجلًا من أهالي وادي حضرموت دخل الشحر يومًا وقصد السوق ومنه توجَّه إلى مسجد بامعيبد وصلَّى ثم خرج ونسي بُقْشَة كانت له تحتوي على بعض أغراضه وبقيت تلك البقشة في محلِّها في المسجد حتى عاد مرة أخرى بعد زمن - ليس بالقصير - وأخذها، والبُقْشَة المقصودة في القصَّة هي قطعة قماش (خرقة) تفرش على الأرض ثم يوضع فيها أغراض ثم تربط (تعصب) وتصبح شبيهة بصُرَّة النقود قديمًا إلا أن هذه كبيرة الحجم - طبعًا - كبر الأغراض التي تحتويها.

قال الأستاذ بامطرف في كتابه القيِّم الشهداء السبعة ما نصه:" الفقيه محمَّد بن سالم بامعيبد وهو الذي أقام مسجد بقشة "[٢]، في هذه العبارة سهو أو سبق قلم أو خطأ مطبعي كما بيَّنا ذلك في المبحث الأول من هذه الترجمة[٣]،وعن الأستاذ بامطرف نقل بعضهم الخطأ من غير التَّحقُّقِ من المعلومة، من هؤلاء الأستاذ خميس حمدان في كتابه "الشحر عبر التاريخ "[٤]، والأخ خالد الهندي في كتابه " الشحر حضارة وتاريخ ومعلم "[٥].

أمَّا عن الترميم والتوسعة التي حُظِيَ بها المسجد عبر تاريخه الذي يمتد لأكثر من خمس مائة سنة، فهي عدَّة ترميمات فقط، منها ترميم في الستينات من القرن العشرين الماضي. وآخر

(١) ينظر "نشر النفحات المسكية" لباحسن ص٤٢٤.
(٢) ينظر ص١٢٦.
(٣) ينظر ص١٠ من هذا الكتاب.
(٤) قال ص١٩١ ما نصَّه:" وابنه محمَّد بن سالم هو الذي بنى مسجد بُقْشَة بحارة الرملة قريبـًا من سجن الشحر ".
(٥) قال ص١٢٦ ما نصَّه:" مسجد بُقْشَة: هو مسجد الشيخ محمَّد بن سالم بن محمَّد بامعيبد الشحري الذي أسسه بحارة الرملة ".

ما عُمِلَ لهذا المسجد المبارك كان ترميمًا وتوسعة معـًا، كتب في قبلة المسجد:" تمَّت العمارة (أي الأخيرة للمسجد) بتاريخ ٢٨ شعبان ١٤٢٩هـ".

تعاقب على إمامة هذا المسجد المبارك منذ تأسيسه - بحارة الرملة - إلى اليوم عدد من العلماء والفضلاء على رأسهم مؤسسه العلَّامة القاضي سالم بامعيبد، والشيخ القاضي محفوظ عبدالله بن حازب[(١)] (ت: ١٣٧١هـ)، والمعلم الفاضل ابن قاضي[(٢)] وهو من سكَّان حارة القرية بالشحر، والفاضل كرامة بن حسنة، والفاضل محمَّد مبارك بن جميل، والفاضل أحمد مبارك بن جميل، والشيخ أحمد ربيِّع باقنانة، والشيخ الفاضل عبود سالم باعكيم تولى الإمامة لمدَّة٢٠سنة تقريبـًا[(٣)]، وبعده تولاَّها ابنه الفاضل سالم عبود سالم باعكيم وهو لا يزال إمامًا للمسجد إلى اليوم[(٤)] - حفظه الله تعالى -[(٥)].

سابعًا: وفاة العلَّامة بامعيبد وذريَّته:

في ليلة الأربعاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ٩٧٠هـ توفي العلَّامة سالم بن محمَّد بن سالم بامعيبد الشحري بغيل أبي وزير، وقيل إن وفاته كانت بمدينة الشحر، لكن الرأي الأظهر هو الأول الذي قاله المؤرخ باسنجلة والمؤرخ بافقيه المعاصرين لصاحب الترجمة[(٦)]، أمَّا القول الثاني فقد قاله الأستاذ بامطرف ولا أدري ما مصدره[(٧)]. وفي آخر حياته أوصى العلَّامة بامعيبد من كان بعده أن يدفن بجانب شيخه الشيخ عمر بن عبد الرحيم باوزير (مولى الربع) فكان له ذلك ودفن بجانبه رحمه الله رحمة واسعة.

لم تحدِّثنا المصادر عن أي إشارة لذريَّة العلامة بامعيبد إلا أن الأستاذ خميس حمدان قال:" وابنه محمد بن سالم هو الذي بنى مسجد بقشة بحارة الرملة قريبًا من سجن الشحر وتعين خطيبًا للجامع خلفًا لوالده ثم سلمها الشيخ سعيد بن يعقوب برعية المتوفي عام ٩٧٢هـ. وهو تلميذ الشيخ عمر عبدالرحيم بن عمر باوزير الملقب مولى الربع بخارج الغيل

---

(١) ينظر ترجمته في مدرسة مكارم الأخلاق منارة الشحر العلميَّة لحمدان ص٣٥.

(٢) أعتقد أنه من آل ابن قاضي باكثير الأسرة المعروفة علميًّا.

(٣) تولى الجد عبود الإمامة بعد الشيخ باقنانة، وتوفي بمدينة الشحر عام ١٩٨٤م رحمه الله.

(٤) تولى الإمامة العم سالم بعد وفاة والده عام ١٩٨٤م إلى الآن أي لأكثر من ٣٢ سنة.

(٥) عدَّة مقابلات مع العم الشيخ سالم عبود باعكيم آخرها بمسجد بُقْشَة بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٥م.

(٦) ينظر العقد الثمين الفاخر ص١١٤، وتاريخ حوادث السنين ص٣٠٢.

(٧) الشهداء السبعة ص١٢٦.

ودفن بجواره بعد موته كوصيته"، هذا ما قاله الأستاذ حمدان في ص ١٩١ من كتابه الشحر عبر التاريخ، لكن المتأمِّل في هذه العبارة يجدها مغلوطة وليس لها أيُّ نصيبٍ من الصحة، فهذه العبارة المتقدِّمة هي نتاج نظرة متسرِّعة في كتاب الشهداء السبعة للأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف وقد تقدَّم تفنيدنا للسهو وسبق القلم الذي وقع فيه الأستاذ بامطرف(١) ولا داعي لإعادته هنا مرة أخرى.

لم يقع الأستاذ حمدان بمفرده في شرك سهوة الأستاذ بامطرف بل وقع فيها أيضًا الأستاذ إبراهيم المقحفي، حيث قال في معجمه للبلدان والقبائل اليمنيَّة ج٣ ص١٩٤٦:" ونجله الفقيه الشيخ محمد بن سالم بامعيبد المتوفى سنة ٩٧٠هـ وكان متوليًا الإمامة والخطابة في جامع الشحر".

الخاتمة

يُعَدُّ الاهتمام بالتأليف في مجال تراجم الأعلام من الأمور المهمَّة جدًا التي تكشف جوانب - من جميع - النواحي الحياتية للمجتمع الذي عاش فيه ذلك العَلم، فعندما تدرس علمًا من الأعلام فإنك تتطرق ولو بالإشارة العابرة إلى مختلف الجوانب التي يتكون منها النسيج الحياتي والفكري لذلك المجتمع، من تلك الجوانب: العلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ممَّا يفتح أبوابًا أمام الباحثين الجادين للاستفادة من تلك السِّير في دراسة المجتمعات.

وقد أحسن العلامة القاضي المؤرخ عبدالله بن محمد باحسن جمل الليل حين اتخذ الأعلام والترجمة لهم منهجًا لدراسة المجتمع في مدينة الشحر وذلك في كتابه " نشر النفحات المسكيَّة في أخبار الشحر المحميَّة "، وأجاد الأستاذ المؤرخ سعيد عوض باوزير في كتابه " صفحات من التاريخ الحضرمي " حيث اتخذ أيضًا ذلك المنهج في التأليف، قال المؤرخ باوزير متحدثًا عن هذا المنهج:" فهذه صفحات من التاريخ الحضرمي، عرضتها في شكل تراجم لشخصيات حضرمية، اخترتها من طبقات وطوائف مختلفة، ورتبتها ترتيبًا زمنيًا حسب ظهورها على مسرح التاريخ منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحاضر، متتبعًا في تاريخ هذه الشخصيات النواحي العامة التي تصور الحياة السياسية أو الاجتماعية في العهود التي

(١) ينظر المبحث الأول والسادس من هذا البحث.

عاشت فيها، قاصدًا بذلك تمكين القراء من الاطلاع على التاريخ الحضرمي من جوانب مختلفة وفي أهم أدواره، سالكًا سبيل الإيجاز، مقتصرًا على التعرض لأبرز الحوادث التي توضح المعالم التاريخية لهذا الجزء المهم من جنوب الجزيرة العربية"[1].

في هذه الخاتمة المقتضبة نحب أن ننبِّه وتؤكد على أهمية دراسة السِّير والأعلام، ونحثُّ الباحثين على دراسة تلك الكنوز المعرفيَّة التي كانت في زمانها تعبِّر عن العصارة الفكرية والعلمية والإنسانية لمن سبقهم من القرون، كما نوقن أن الباحث الحصيف يستطيع استقراء المجتمع بأكمله من خلال دراسته المستفيضة لأحد أعلامه البارزين، فنرجو أن نرى في القريب العاجل من يفعل ذلك في حضرموت ويظهر لنا ويبرز للجميع تلك الكنوز المعرفية الحضرمية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) صفحات من التاريخ الحضرمي ص١٣.

المصادر والمراجع

- باسنجلة، عبد الله بن محمَّد، تاريخ الشحر المسمَّى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تحقيق عبد الله الحبشي، ط١، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ٢٠٠٧م.
- بافقيه، محمَّد بن عمر، تاريخ الشحر واخبار القرن العاشر المسمَّى تاريخ حوادث السنين، تحقيق د. أحمد رابضة، ط١، دار جامعة عدن - عدن، ٢٠١٠م.
- بامطرف، محمَّد عبد القادر، الشهداء السبعة، ط٢، دار الهمداني - عدن، ١٩٨٣م.
- باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ط١، ١٩٦١م.
- باحسن جمل الليل، عبد الله بن محمَّد، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، تحقيق محمَّد عبد النور، ط١، دار تريم للدراسات والنشر - حضرموت، ٢٠١٠م.
- باعكيم، عادل حاج، مساجد الشحر منارات علم وهداية، بحث لم ينشر.
- حمدان، خميس، الشحر عبر التاريخ، ط١، مركز الدراسات والبحوث اليمنية - صنعاء، ٢٠٠٤م.
- شنبل، أحمد بن عبد الله، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبد الله الحبشي، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- بامطرف، محمَّد عبد القادر، وحداد، عبد الله صالح، باحسن الرائد والفنان، الطبعة الأولى، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٥م.
- باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة - عدن. والطبعة الثالثة، دار الوفاق - عدن، ٢٠١٢م.
- حمدان، خميس، مدرسة مكارم الأخلاق منارة الشحر العلمية، الطبعة الأولى، مركز عبادي للدراسات، ٢٠٠٦م.
- الملاحي، عبد الرحمن بن عبد الكريم، (تقديم وشرح) روزنامات الربان بامعييد (معارف الربابة العرب في القرن التاسع عشر)، الطبعة الأولى، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر - المكلا، ٢٠١٦م.

- باذيب، محمَّد أبو بكر، جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، الطبعة الأولى، دار الفتح، ٢٠٠٩م.
- بامطرف، محمَّد عبد القادر، الجامع، الطبعة الأولى، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء - اليمن، ٢٠٠٣م.
- الشاطري، محمَّد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، توزيع مكتبة تريم الحديثة.
- السخاوي، شمس الدين محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار المعرفة، بيروت - لبنان، مصورة عن الطبعة المصريَّة.
- المقحفي، إبراهيم، معجم البلدان والقبائل اليمنية، الطبعة الخامسة، مكتبة الجيل الجديد - صنعاء، ٢٠١١م.
- الحبشي، عبد الله بن محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، المجمع الثقافي - أبوظبي، ٢٠٠٤م.
- بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، الجزء الثاني دراسة تحقيق عبد الرحمن محمد جيلان صغير، والجزء الثالث دراسة تحقيق محمد يسلم عبد النور، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، ٢٠٠٤م.
- البكري، صلاح عبد القادر، تاريخ حضرموت السياسي، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة - مصر، ١٩٣٦م.
- كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق - سوريا، ٢٠١١م.
- الكاف، عمر بن علوي، خلاصة الخبر عن أعيان القرنين العاشر والحادي عشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، دار المنهاج.
- العيدروس، عبد القادر بن شيخ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الجعيدي، د. عبدالله سعيد، السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت، الطبعة الأولى، تريم للدراسات والنشر، ٢٠١٤م.

- باقضل، محمَّد بن عوض، صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- الشلي، محمد بن أبي بكر، السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق إبراهيم المقحفي، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد - صنعاء، ١٤٢٥هـ.
- مجموعة أساتذة، مدرسة مكارم الأخلاق ثمانون عامًا من الجهد والعطاء، بدون مكان وتاريخ طبع.
- مقابلة مع الأستاذ عبد الله صالح حدَّاد، في بيته القديم بحارة المحضار بالشحر، بتاريخ ٢٣ / ٩ / ٢٠١٥م.
- عدَّة مقابلات مع العم الشيخ سالم عبود باعكيم، آخرها بمسجد بُقْشَة بحارة الرملة بالشحر، بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ٢٠١٥م.

المحور التاريخي

الكوارث الطبيعية في حضرموت
خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

أ. د. طه حسين عوض هُديل
جامعة عدن

المقدمة:

مرت حضرموت عبر التاريخ بمراحل صعبة، وأزمات خطيرة، ومنعطفات مصيرية دونتها كتب التاريخ، وأثبتتها الشواهد الأثرية الباقية المكتشفة اليوم، فحظي تاريخها بعناية واهتمام العديد من الباحثين والمؤرخين المحدثين، لما رأوه من أهمية إعادة صياغتها بعد دراستها، وتحليلها، وتفنيدها، وإثباتها لإعادة كتابة تاريخها، ولأخذ العبرة والعظة منه، ومن الملفت للنظر أن معظم تلك الدراسات التاريخية اقتصرت على الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية اعتقادًا منها بأهميتها في توثيق أحداث المنطقة، وارتباطها بمصيرهم وتاريخهم، في حين أهملت تلك الدراسات جوانب أخرى لا تقل أهمية عمّا ذكرنا، وإن تم الإشارة إليها ولكن بصورة عرضية لا تعطيها حقها من البحث والدراسة، وتعد دراسة تاريخ الكوارث الطبيعية من بين أكثر الموضوعات التي لم تلقَ حقها من الدراسة في تاريخ حضرموت، حتى أننا عجزنا عن إيجاد دراسة أكاديمية تاريخية متخصصة في هذا الشأن سوى بعض الإشارات المتفرقة التي تم إدراجها ضمن بعض الدراسات الاجتماعية أو الاقتصادية، وخلال فترات محددة من تاريخ حضرموت العام، وعلى الرغم من فرعية عناوين هذه الموضوعات المهمة إلا أنه من الملاحظ أن الباحثين لم يعيروها اهتمامًا أو توسعًا لأسباب نجهلها على الرغم من توافر بعض المادة العلمية، وإن شحت في بعض الحقب التاريخية إلا أن دراستها تعد من الضروريات الملحة لأجل سد فجوة مهمة من التاريخ؛ كان لها انعكاساتها على حياة الحضارم في ذلك الحين.

ومن هنا جاءت فكرة كتابة هذا البحث الموسوم بـ ((الكوارث الطبيعية في حضرموت خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي))، وهي فترة تتميز بندرة دراسات

مثل هذا الموضوع خلال هذه الحقبة التاريخية، رغبة منا في الرد على بعض الاستفسارات التي برزت أمامنا عندما لاحت لنا فكرة هذه الدراسة، ومنها: نوعية هذه الكوارث الطبيعية، ومدى تأثيرها على حياة الناس والمجتمع في تلك المدة ؟ وهل كان لها انعكاسات كبيرة على تغيير الخارطة البشرية لسكان حضرموت ؟ وهل كان لبعض تلك الكوارث امتداد تاريخي في بعض المناطق ؟ وهل كان لحكام حضرموت وولاتهم دورٌ ملموسٌ في ذلك الزمن للتخلص من آثار بعضها أو حتى التخفيف منها ؟ وهو ما يمكن الرد عليه من خلال دراستنا هذه التي من خلالها نستطيع ربط حلقات تاريخ حضرموت الناقصة ببعضها، وكشف ما جهل منها لتكملتها، ولتحقيق الهدف المنشود.

قمت بتقسيم موضوعي هذا إلى مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة، تناولت في المبحث الأول منها: أهمية دراسة الكوارث الطبيعية، ودرست في المبحث الثاني: أشهر الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها مناطق حضرموت المختلفة في ذلك الوقت، وخصصت المبحث الثالث: لمعرفة أثر الكوارث الطبيعية على المجتمع الحضرمي، وموقف الحكام والمجتمع منها في المدة موضوع الدراسة، وأنهيت بحثي هذا بخاتمة لخصت من خلالها أهم النتائج والاستنتاجات والتوصيات التي توصلت إليها.

المبحث الأول: أهمية دراسة الكوارث الطبيعية

عرّف علماء اللغة الكارثة بأنها مشقة وشدة، وكل أمر غم الإنسان وأثقله فهو كارث كما جاء لدى بعضهم(1)، وتعرف الكوارث الطبيعية بأنها الكوارث التي تتحكم فيها المشيئة الإلهية، وليس للإنسان دخل في أسباب وقوعها، وعادة ما تنقسم هذه الكوارث إلى أقسام عدة منها:

١- الكوارث المناخية، مثل: الفيضانات، والعواصف، والأعاصير، والسيول، والجفاف، والقحط وما يتبعه من مجاعات.

٢- الكوارث الجيولوجية (تكتونية)، مثل: الزلازل، والبراكين، وموجات المد والجزر.

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب، ج٢، دار صادر، بيروت، د. ت، ص١٨٠؛ الزَّبيدي، أبو الفيض مرتضى محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ج٥، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت، ص٣٣٣.

٣- الكوارث بيولوجية، مثل: الأوبئة، والأمراض المعدية في النبات والحيوان، والآفات الزراعية كالجراد وغيره.

٤- الكوارث الكونية، مثل: سقوط الشهب، والنيازك، والإشعاعات الكونية[١].

وتؤكد المصادر التاريخية والأثرية أن الأرض تعرضت للعديد من هذه الكوارث الطبيعية التي أثرت في البشرية جمعًا منذ أن خلق الله تعالى الأرض ومن عليها، فكم من أمة سادت ثم بادت بسبب هذه الكوارث، وكم من أمة هُجّرت بسببها، وغيرها شقت وأنهكت، وقد مدنا الله تعالى بالعديد من الأمثلة التي تؤكد ما ذهبنا إليه من حقيقة هذه الكوارث التي تنوعت بين أمطار غزيرة، وفيضانات، وصواعق، وزلازل، ورياح، وبراكين وغيرها[٢]، وما كان لها من آثار جاءت على حياة الناس دون استثناء، ومن أبرز هذه الكوارث الطبيعية التي أشار لها القرآن الكريم - على سبيل المثال لا الحصر-: الرياح الشديدة التي جاءت على كثير من الأقوام، وأذاقتهم أشد العذاب، كما ذكر الله تعالى في قوله الكريم: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾[٣]. والصواعق المخيفة والمميتة التي كانت سببًا أيضًا في هلاك كثير من الأمم، كما بين لنا الرحمن في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾[٤].

وشكلت الطوفانات[٥] والفيضانات التي تعرضت لها البشرية كارثة طبيعية أخرى عانت

---

(١) انظر: صلاح، محمد حمزة محمد، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (٤٩١ - ٩٢٣هـ/ ١٠٩٧ - ١٥١٧م)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بغزة، غزة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢ - ٦.

(٢) الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، ج٨، ط١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨م، ص٢٠١.

(٣) سورة فصلت، آية (١٥ - ١٦).

(٤) سورة فصلت، آية (١٧ - ١٨).

(٥) الطوفانَ: هو مطر شديد ينزل من السماء مع فيضان أنهار الأرض، يتضرر بسببه الناس وتتهدم بيوتهم، وقد يهلكون، لامتناعهم عن الزراعة بسبب خراب الأرض، وقيل: إنه الطاعون، وقيل: إنه الجدري.

منها كثير من الأمم عبر التاريخ، وذاقت منها الويلات بعد أن وصلت لدرجة الإبادة للعديد منها، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾[(١)].

فضلًا عن حالات القحط والجفاف التي أهلكت بسببها العديد من الأمم، كما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾[(٢)].

وشكلت الرجفات أو الهزات الأرضية (الزلازل)[(٣)] المدمرة كارثة طبيعية أخرى أبيد بسببها كثير من الأمم، وقد بين لنا القرآن الكريم ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾[(٤)].

وفضلًا عن ذلك، شكل انتشار أنواع مختلفة من الحشرات الغريبة والمخلوقات المضرة في حياة الناس، جانبًا آخر من جوانب شقائهم وتعاستهم وعدم استقرار معيشتهم، لما تتركه من أضرار قد تأتي على الحرث والزرع، علمًا بأن وجود مثل هذه المخلوقات بينهم يعد كارثة طبيعية قد تدفع كثيرًا منهم إلى الهجرة والهرب، أو البقاء والعيش في تعاسة وشقاء بسبب ما كان لها من تأثير على حياتهم وأرزاقهم، ومما يؤكد ذلك ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[(٥)]. ومما لا شك فيه أن وجود الطوفان (المطر الشديد)

للمزيد انظر: الفاسي، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي، البحر المديد، ج٢، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٥٣١.

(١) سورة المؤمنين، آية (٢٣ – ٢٧).

(٢) سورة الأعراف، آية (١٣٠).

(٣) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج٤، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ، ص٤٥٧؛ بن عاشور، الشيخ محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج٩، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م، ص١٣.

(٤) سورة العنكبوت، آية (٣٦، ٣٧). مدين: هي مدينة قوم سيدنا شعيب، سميت بمدين بن إبراهيم عليه السلام، وتقع على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك. ومدين اسم لقبيلة. الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج٥، دار الفكر، بيروت، ص٧٧.

(٥) سورة الأعراف، آية (١٣٣).

والجراد والقمل والضفادع وغيرها تعد من الأمور المزعجة التي أقلقت حياة الناس وأثرت في معيشتهم[(١)].

وعلى الرغم من انتشار مثل تلك الكوارث في مناطق مختلفة من العالم إلا أن نصيب الجزيرة العربية كان كبيرًا منها لاسيما الأجزاء الجنوبية من هذه الجزيرة التي شهدت أنواع الكوارث الطبيعية المعروفة في زمننا، التي تسبب بعضها في إبادة بلاد وشعوب عاشت في هذه المناطق، وانتهاء حضاراتها رغم قوتها وعظمة وجودها، ومن أبرز تلك الحضارات التي عرفت في التاريخ القديم، وكان لها جاه ومكانة وقدر في جزيرة العرب – على سبيل المثال – قوم سبأ الذين أباد الله حضارتهم بكارثة طبيعية أنهت ما كانوا يعيشون فيه من نعيم وخير، ويورد الله تعالى في كتابه العزيز كارثة قوم سبأ بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦﴾[(٢)].

ومما لا يدع مجالًا للشك، أن سكان الجزيرة العربية عامة، وحضرموت خاصة عانوا كغيرهم من مثل تلك الكوارث التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، فكانت وبالًا عليهم خلال بعض الفترات لقوتها وشدتها وتأثيرها عليهم وعلى حياتهم العامة والخاصة، وهو ما دفعنا إلى البحث والدراسة في هذه الكوارث، وخلال هذه المدة الزمنية المتمثلة بالقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

---

(١) يذكر أبو حيان أن الطوفان هو الطاعون بلغة أهل اليمن، وقيل الجدري، وقيل هو عذاب نزل من السماء خص به الله تعالى بني إسرائيل، الذين أرسل إليهم فيما بعد الجراد لتأكل عامة زرعهم وثمارهم، ثم القمل، وهو الدّبا، إي صغار الجراد الذي تنبت له أجنحة ولا يطير، وقيل هو السّوس الذي يقع في الحنطة، وقيل دواب سود صغار، وقيل هو الحمنان وهو ضرب من القردان، كما قيل أنه القمل المعروف، وقيل البراغيث، ثم أرسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم ورمت بأنفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور، وإذا تكلم أحدهم وثبت إلى فيه، قال ابن جبير: وكان أحدهم يجلس في الضفادع إلى ذقنه. للمزيد من التفاصيل انظر: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج٤، ط١، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النوقي، وأحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٧٢ – ٣٧٣.

(٢) سورة سبأ، آية (١٥، ١٦).

المبحث الثاني: الكوارث الطبيعية في حضرموت

كانت حضرموت كغيرها من مناطق جنوب الجزيرة العربية قد تعرضت للكثير من الكوارث الطبيعية والبيئية التي أثرت سلبًا في المنطقة وسكانها، علمًا بأن ما ميّز هذه المنطقة هو وقوعها على ساحل بحر العرب والمحيط الهندي الذي تكثر فيه العواصف والأعاصير المختلفة التي كانت سببًا في دمار بعض المدن والقرى الحضرمية، ونزوح العديد من أهلها بحثًا عن مناطق أكثر أمنًا وسلامًا لهم ولأسرهم، فضلًا عمّا تعرضت له المنطقة من حالات جفاف وقحط أثرت بشكل سلبي على معيشة الناس، ووضعهم المادي، لاسيما وأن أكثر سكان حضرموت كانوا يعتمدون على الزراعة بوصفها مصدرًا للرزق لهم ولأسرهم ومواشيهم، وعلى الرغم من قلّة المعلومات الواردة في المصادر التاريخية الحضرمية وغيرها عن مثل هذه الظواهر إلا أن مؤرخيها شدَّهم بعض من تلك الكوارث لما كان لها من تأثير على حياة الناس هناك، مع تركيزهم الأكبر على المعلومات المتعلقة بالجوانب السياسية، والصراعات القبلية، وبعض جوانب العلم والفكر، مما دفعنا إلى محاولة جمع كل ما دونه هؤلاء من أخبار متعلقة بالكوارث الطبيعية وأنواعها لاسيما خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلاد موضوع بحثنا، ودراسة طبيعتها، وكيفية حدوثها، والمناطق التي وقعت فيها، وتأثرت بها، ومدى قابليه الناس لها، وتأثيرها عليهم وعلى سير حياتهم ومعيشتهم، وما إلى ذلك من جوانب أُخرى.

١- الجفاف والقحط وارتفاع الأسعار:

كان القحط والجفاف من أكثر ما عانى منه أهالي منطقة حضرموت، لاسيما وأن المجتمع الحضرمي مجتمع زراعي، كان اعتماده الكلي على ما تنتجه الأرض من خيراتها المختلفة التي تنوعت بين: حبوب الذرة، والسمسم (الجلجل)، والبر، والمسيبلي، والدجر، وأنواع الخضار من بصل، وطماطم، وسلط، وثوم، وفجل، وباذنجان، وخيار، وبامية، واللوبيا، والنعناع وغيرها، والليمون الحامض (الليم)، والرمان، والموز، والبطيخ (الحبحب)، والقرعيات بأشكالها وأحجامها، والمانجو، والباباي، والنخل بأنواعه المختلفة وغيرها من الزراعات[١]، وعلى الرغم من محدودية المعلومات المتعلقة بما تعرضت له حضرموت من

(١) رودينوف، م. أ، عادات وتقاليد حضرموت الغربية العام والمحلي في الثقافة والتراث، ترجمة: علي صالح الخلاقي، دار جامعة عدن، عدن، ٢٠٠٢م، ص٩٣ - ١٠٦.

قحط وجفاف خلال سنوات الجفاف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي؛ إلا أننا من خلال بحثنا وجدنا أنَّ مسألة القحط والجدب من المشكلات التي عانى منها أهالي حضرموت منذ فترة سابقة لفترة الدراسة، وتعد سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م من أشدِّها، حيث حلَّت مجاعة شديدة بسبب قلّة المواد الغذائية، وارتفاع أسعارها، ودفع هذا الأمر أهالي حضرموت إلى تشكيل وفود نيابة عنها للاتجاه إلى سلطان منطقة ظفار[١] سالم بن إدريس الحبوظي (ت: ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م)، لطلب العون والدعم المادي منه، مما عرض البلاد للكثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية التي أثرت على أوضاع المنطقة[٢].

كما عمَّ في سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م بلاد حضرموت قحط شديد، مات بسببه جوعًا عدد كبير من الناس والمواشي، ودام ذلك إلى أوّل السَّنة التي تليها[٣]، وفي سنة ٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م ارتفعت الأسعار في حضرموت بشكل كبير جداً[٤]، دون أن تحدد المصادر سبب ذلك الارتفاع، ولكن الغالب في أي ارتفاع للأسعار هو نتيجة لشحة الغلة في الأسواق ونفادها، بسبب قحط أو جفاف أو مجاعة تعرضت لها المنطقة.

وكانت أشد سنوات الجفاف والقحط التي تعرضت لها حضرموت في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي هي سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م، إذ عمَّ فيها الغلاء، وبلغ طعام الذرة مصري الربع بالصغير بدرهم كبير، والتمر رطل بدرهم، وطعام البر ربع بدرهم، والكنب[٥] شطر، وانعدمت المواشي من الأسواق حتى بلغ سعر الثور بمائة دينار كبير، والبقرة بستين دينارًا كباراً، والشاة بثلاث أوراق، ومات بسبب ذلك خلق كثير من

(١) كانت تعرف بظفار الحبوظي في ذلك الوقت نسبة إلى سلطانها، وتقع اليوم في صلالة من بلاد عمان. الأكوع، إسماعيل بن علي، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٩٣.

(٢) عن هذه المجاعة والحادثة، وما ترتب عنها انظر: باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عدن، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م، ص٩١ - ٩٢.

(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٤٨ - ١٤٩.

(٤) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٩٨.

(٥) الكنب: يذكر المحقق عبدالله الحبشي نقلاً عن صاحب كتاب: " معجم أسماء النبات "، أن الكنب هو الدخن والذرة الحمراء، ويسمى أيضًا الجاروش بالفارسية. انظر: شنبل، تاريخ شنبل، ص٢١١، حاشية رقم (١٣٣).

الجوع، وبلغ ببعضهم الأمر إلى أكل الحمير، والقطط، والكلاب، وقيل: أُكِلَ بعض بني آدم في حريضة[1]، ومات في حذية[2] وغيرها خلق كثير في ديارهم، ولم يغسلوا حتى يبسوا، وخليت بعض ديار شبام، ولم تنقطع فيها جمعة، وخلت ديار كثيرة في الكسر[3]، ووادي عمد[4] وجهات أخرى[5]، وقد يكون في ذلك ما فيه من المبالغة إلا أن هذا دليل على مرارة ما عانى منه الناس في حضرموت في ذلك الوقت؛ ولهذا سعى أهل حضرموت في تلك الفترة إلى البحث عن المياه بحفر الآبار، وضحَّى بعضهم بنفسه لأجل ذلك، مثلما يذكر في سنة ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م عندما انطبقت أحد الآبار في منطقة الهجرين[6] على مَنْ فيها، وعرفت تلك البئر ببئر عقيل، ومات فيها عشرة من الرجال[7].

ومع مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي تعرضت المنطقة لسنوات جفاف صعبة مرت على أهالي حضرموت والمناطق المحيطة بها، فكانت سببًا في موت العديد منهم، مثلما يذكر عن سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م[8]، التي شهدت تدهورًا في أوضاع

---

(١) حُريضة: مدينة ومركز إداري جنوب غرب شبام، أسفل وادي عمد، وهي عاصمة مديرية دوعن. انظر عنها: السقاف، عبدالرحمن بن عبيد الله، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المناهج، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢٨٣ – ٢٩٢.

(٢) حِذية: مدينة تاريخية قديمة في مديرية القطن، وهي بلدة غنية بالآثار المطمورة وبعض الخرائب التي لا تزال قائمة هناك إلى اليوم. المقحفي، إبراهيم بن أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج٢، ص٤٤٠.

(٣) الكسر: منطقة واسعة، تضم قرى كثيرة، وتعد من أحسن بلاد حضرموت تربة وخصوبة، ويقال بأنه سمي بالكسر لأنه يكسر السيول عن مدينة شبام. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، ط١، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٧١؛ السقاف، إدام القوت، ص٤٤٧ – ٤٤٨.

(٤) وادي عَمْد: وادٍ غربي دوعن، منابعه من جبل شناع ومنطقة هينن، فيه زراعات مختلفة. السقاف، إدام القوت، ص٢٦٦؛ ستارك، فرايا، مشاهد من حضرموت، ترجمة: أحمد زين عيدروس وعلي محمد باحشوان، ط١، مطبعة جامعة عدن، عدن، ٢٠٠١م، ص١١١.

(٥) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢١١ – ٢١٢.

(٦) الهجرين: أو الهجران مدينة في وادي دوعن بالقرب من دمون. الأكوع، البلدان اليمانية، ص٢١.

(٧) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٤٥.

(٨) شنبل، تاريخ شنبل، ص٣١٥.

الناس المعيشية والمادية، دفعت بعضهم إلى أكل ما يتوافر أكله بسبب ذلك الجفاف، لِقِلّة محاصيل الأرض، والمواد الغذائية، وارتفاع أسعارها، مما أعجز كثيرًا منهم عن شراء متطلباتهم الضرورية.

وفي الوقت نفسه، تورد لنا بعض المصادر التاريخية معاناة أخرى لأهالي حضرموت حدثت في شهر ذي الحجة من سنة ٩٤٥هـ/ ديسمبر ١٥٣٨م، وذلك عندما عمَّ القحط مناطق مختلفة من حضرموت، كمنطقة دوعن(١) والشحر(٢) وغيرها، إضافة إلى العديد من مناطق جنوب الجزيرة العربية، وبلغ بالناس الأمر إلى أكل جلود المواشي لانعدام منتجات الأرض وعدم توافرها، بسبب انقطاع الأمطار وجفاف الأرض(٣).

ومن الملاحظ، أن حالات الجفاف والقحط تتابعت خلال السنوات اللاحقة، لما تورده المصادر من ارتفاع في أسعار المواد الغذائية ونفاذها من السوق المحلية الحضرمية، ففي سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م، شهدت بعض مناطق حضرموت لاسيما الشحر ارتفاعًا كبيرًا في الأسعار، ويذكر بافقيه الشحري(٤) أنه لم يسمع بمثله من قبل، علمًا بأن ذلك الغلاء شمل العديد من المناطق أيضًا في جنوب اليمن مثل مدينة عدن التي خرج منها العديد من الأهالي لارتفاع الأسعار فيها، دون أن تحدد المصادر أسباب ذلك الغلاء والارتفاع في الأسعار، ومما لا يدع مجالًا للشك أن هناك أسبابًا مختلفة قد تكون وراء ذلك الارتفاع إضافة إلى ما ذكرنا من توقف الأمطار والقحط والجفاف، منها - على حسب ما نتوقع -: عدم استقرار الأوضاع في تلك المناطق المذكورة، والصراعات السياسية والقبلية، وما ترتب عليه من انقطاع خطوط التجارة بسبب ذلك.

---

(١) دوعن: وادٍ عريق وجميل أعلى وادي حضرموت الرئيس شرقيه، ويشكل مديرية كبيرة، ذات مساحة واسعة، كثيرة القرى ذات أشجار النخيل، وحقول القمح، والذرة، وأشجار السدر، وتشتهر دوعن بعسلها العالي الجودة. السقاف، إدام القوت، ص٣٠٥ - ٣٠٥. وانظر حواشيها.

(٢) الشِحْر: الشط الضيق، وهو صقع على ساحل بحر العرب ممتد من شرق حضرموت إلى مهرة، ومدينة الشحر الآن تسمى الأسعاء. انظر: الأكوع، البلدان اليمانية، ص١٦٣؛ الناخبي، عبدالله بن أحمد، حضرموت فصول في الدول والأعلام والقبائل والأنساب أو شذور من مناجم الأحقاف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص٥٩ - ٦٢؛ الهندي، خالد يوسف، الشحر حضارة وتاريخ ومعلم، مطابع حضرموت الحديثة للأوفست، ط٢، الشحر، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص١٠ - ١٣.

(٣) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٢٦.

(٤) تاريخ حوادث السنين، ص٢٣٣.

وعلى أية حال، فقد استمرت حالات الارتفاع في الأسعار، وشهدت المنطقة تدهورًا كبيرًا في معيشة أهالي حضرموت وما جاورها، خلال شهور السنة المذكورة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م التي شهدت غلاءً فاحشًا لم يعهد مثله[١]، وعلى ما يبدو أن حالة القحط هذه وارتفاع الأسعار استمرت حتى سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م لما عَمَّ حضرموت لاسيما الشحر وشبام من غلاء متعب لم يعهد الناس مثله، مع خلو الأسواق من المواد الغذائية، وارتفاع أسعار الموجود منها، مثل: الأرز الذي بلغ سعره ستة أقراص بأشرفي وغير ذلك مما وجد في الأسواق وارتفع ثمنه[٢].

وفي شهر شَوَّال من سنة ٩٥٠هـ/ أكتوبر ١٥٤٣م شهدت مدينة الشحر ارتفاعًا في الأسعار، إلى درجة أن أهالي المنطقة لم يجدوا شيئًا يأكلونه، بسبب انعدام منتوج الأرض والجفاف، مما دفع بالعديد منهم إلى الاتجاه إلى البحر، كمخرج لهم، وصيد السَّمك، ولم يجد الأهالي شيئًا يأكلونه في ذلك العام سوى سمك البحر[٣].

إلا أن أكثر الفترات شدة على الناس في حضرموت كانت في سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م، حينما غلت الأسعار بعد جفاف شديد تعرضت له بعض المناطق، صحبها توتر في الأوضاع السياسية والقبلية نتيجة لصراعات قبائل الحموم[٤]، وما تسببت فيه من انقطاع المسالك، والطرق التجارية الممونة لبعض المناطق، فأثر هذا على أسواق حضرموت لاسيما أسواق الشحر وغيرها من المناطق الحضرمية التي عَمَّ فيها الغلاء الفاحش نتيجة لعدم دخول البضائع إلى هذه الأسواق، وشحة الموجود منها[٥].

(١) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٣٧.
(٢) باسنجلة، العقد الثمين، ص٧١.
(٣) بافقيه، تاريخ الشحر، ص٣٠١.
(٤) الحُمُوم: من كبريات القبائل الحضرمية، ونسبهم في حمير بن سبأ، تقع منازلهم في شرقي الشحر، والمشقاص حتى البحر، وهم بيوت عديدة. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٥٢٨ - ٥٢٩. وانظر: العطاس، أحمد بن حسن بن عبدالله، السفينة المجموعة في أنساب بعض القاطنين في حضرموت ومساكنهم، دراسة تحقيق: محمد يسلم عبدالنور، ط١، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، ص٩٨.
(٥) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٥٥.

كما عانى أهالي حضرموت من القحط والجفاف وموت الزرع خلال سنة ٩٦٧م/ ١٥٥٩م، بسبب قلّة الأمطار الذي أدى إلى ارتفاع الأسعار، والمبالغة فيها، حتى أثر ذلك على معيشة الناس، وسوء تغذية العديد منهم، بعدما طالت مدة الجفاف وانعدام المواد الغذائية من الأسواق لصعوبة شرائها من المواطن والتاجر، فكان موت العديد منهم بعدما عجزوا عن توفير متطلبات المعيشة لهم ولأسرهم وأبنائهم[١].

وفي شهر رجب وشعبان ورمضان من سنة ٩٦٨هـ/ سبتمبر أكتوبر ونوفمبر ١٥٦٠م ساءت أوضاع أهالي حضرموت المادية والمعيشية، بعد أن غلت الأسعار مرة أخرى في جهات الشحر، ونواحي حضرموت، وقد بلغ من حال الناس في ظل هذه الظروف الصعبة أن مات العديد منهم في الطرقات من الجوع، وهلاك أكثرهم في البوادي الحضرمية[٢].

ومما لا شك فيه، أن تلك الأمثلة ما هي إلا نماذج لبعض السنوات العجاف والغلاء التي مرت بها حضرموت، وتأثر بها الناس، الأمر الذي دفع بعضهم إلى الخروج عن هذه المناطق والانتقال إلى مناطق أكثر خيرًا ومعيشةً في حضرموت نفسها أو خارجها كما سنلاحظ لاحقًا عند حديثنا عن الأثر الذي ترتب على انتشار الجفاف والقحط، وشحة الأمطار والمياه في بعض المناطق الحضرمية.

٢- الأمطار والسيول والفيضانات:

كان سقوط الأمطار في حضرموت من أفضل مواسم الخير بالنسبة لأهلها، وأكثرها فرجًا لاسيما بعد حالات الجفاف والقحط التي كانت تتعرض لها المنطقة خلال بعض السنوات والأشهر، ومما هو معروف أن أمطار حضرموت أمطار خفيفة وموسمية في بعض المناطق، نتيجة لتنوع مناخها الجغرافي الصحراوي، ومع ذلك شكلت تلك الأمطار في بعض المواسم كابوسًا مخيفًا ومرعبًا لأهالي هذه المنطقة، على الرغم من لهفتهم لمواسم الأمطار إلا أنها تتحول في بعض هذه المواسم إلى كوارث تجرف الأرض، وتدمر الأخضر واليابس، وتأخذ الإنسان والماشية إذا ما زادت عن حدها وتحولت إلى سيول وفيضانات جارفة ومدمّرة، تحول فرحة الأهالي بها إلى رعبٍ وخوفٍ، ودعاء إلى الله أن يوقفها، وعلى ما يبدو أن مشكلة

(١) باسنجلة، العقد الثمين، ص١١٠ - ١١١.

(٢) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٩٨ - ٢٩٩.

السيول والفيضانات التي تسببها الأمطار الغزيرة خلال بعض المواسم لم تشتد فقط خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بل عانت منها حضرموت خلال فترات سابقة لفترة الدراسة، حيث - على سبيل المثال لا الحصر - تذكر بعض المصادر سيول سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م، وما تسببت به من دمار للأموال والديار والأنفس(١)، كما شهدت سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م أمطارًا غزيرةً تبعتها سيول جارفة عظيمة من المعلاة والمسفلة(٢)، وأخذت حللًا ودورًا وقرى ومواشي، وأتلفت أحجالًا (مزارع)، ومساجد في المسفلة، ودمرت نخيل حضرموت(٣).

إلا أن أشدَّ السيول التي تعرضت لها حضرموت في الفترة السابقة لفترة الدراسة كان سيل الهميم كما أطلق عليه شنبل(٤)، وكان في رمضان سنة ٦٩٨هـ/ يونيو ١٢٩٩م، والذي يقول عنه إنه: " أخرب الأحجال، وأخذ كثيرًا من الآدميين، وأخذ من شبام قطعة، وأخرب فيها ثلاثة مساجد، وما والاها من ديار بني سعد، وبني حارثة، وأخرب حبوظة الرَّاك(٥)، وذاك في رمضان ".

كما شهدت سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م سقوط أمطار غزيرة على منطقة الشحر، مع بروق ورعود شديدة، وتسببت قوة تلك الأمطار في تخريب العديد من البيوت والدروب(٦).

وفي شهر رجب ٧٩٤هـ/ مايو ١٣٩٢م أنعم الله على أهالي حضرموت بغيثٍ شديد وقوي، فرح به الناس، ثم تدفقت على إثره سيول عظيمة وجارفة من منطقة شبام، ومنها سيل الخون أو الحول(٧) الذي أخذ معه أموال كثيرة، وأنفس بلغت أربعة عشر نفسًا، وقد

---

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٠٦.

(٢) المعلاة والمسفلة يبدو أنه يُقصد بها اتجاهات الوديان، وهي المكان الأعلى أو الأسفل من الوادي. انظر: الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ط٢، عالم المعرفة، جدة، د. ت، ص٢٢٧.

(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٢٢.

(٤) تاريخ شنبل، ص١٤١.

(٥) حبوظة: قرية قديمة لم يبق منها إلا مسجد، واسم لوادٍ على يسار الذاهب إلى عِينَات القريبة من تريم. السقاف، إدام القوت، ص٩٩١ - ٩٩٢.

(٦) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٨٦.

(٧) الحول: منطقة في حضرموت، محيطة بقرية الغرفة. شنبل، تاريخ شنبل، ص٣١٨.

أدى توافد تلك السيول والفيضانات إلى سيلان وادي ثِبِي[١] العظيم الذي أخذ معه أرضي كثيرة، ومع ذلك الدمار الذي خلفته تلك الأمطار والسيول إلا أن السنة المذكورة مثلت سنة رخاء وخير عظيم على المنطقة وأهلها[٢]، وعلى ما يبدو أن حضرموت نعمت بخير الأمطار خلال الفترات اللاحقة لاسيما سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م، حيث عَمَّت تلك الأمطار مناطق مختلفة من حضرموت مثل منطقة الكسر، وقد أدى ذلك إلى انخفاض الأسعار، وبلغ سعر الطعام قهاول[٣] بدرهم كبير، والتمر خمسة وعشرين رطلاً بدرهم كبير، والسمن ثلاثة أرطال بدرهم كبير، وقد استمر ذلك الرخاء في ظل انخفاض الأسعار حتى العام الذي يليه، ولم يتغير شيء منها[٤].

وقد استمرت السيول الجارفة على مناطق حضرموت المختلفة خلال الفترة السابقة للدراسة، فكان منها ما هو خير على المنطقة كالسيلين العظيمين اللذين وقعا في سنة ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م وأغاث الله بهما الناس[٥]، وكان منها ما هو بلاء على المنطقة كسيل سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م الجارف الذي جمع عددًا من الأودية مثل: وادي العين، وعمد، ودوعن، وسَرْ، وعِدِمْ وثبي وغيرهن، وأخذ كثيرًا من المواشي، والثمار، والنخيل، وقنوات الري، ومجاري المياه، والبيوت، وعددًا من أهالي تلك المناطق، مما شكل كارثة بحق تلك المناطق المتضررة من تلك السيول[٦].

وعلى أية حال، فقد كان القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي من أكثر القرون التي وثقت فيها المصادر التاريخية العديد من كوارث الطوفانات والسيول والفيضانات لمنطقة حضرموت وسواحلها الواقعة على بحر العرب والخليج الهندي، مماَّ أثر سلبًا على بعض مدنها وقراها، وحتى بحارها التي تضررت من غزارة الأمطار المصاحبة للرياح الشديدة التي غرقت بسببها العديد من المراكب الراسية في سواحلها أو المبحرة في محيطها البحري،

(١) ثِبي: من مناطق تريم، تمتاز بكثرة نخيلها التي تشرب من السيول. السقاف، إدام القوت، ص٨٥٢.
(٢) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٩٢.
(٣) القهاول: وزن معين يقدر باثنى عشر مداً. شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٠١، حاشية رقم (٧).
(٤) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٠١، ٢٠٢.
(٥) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٥٦.
(٦) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٦٠.

ويذكر بامخرمة[١] في أحداث سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م شيئًا عن أحد تلك الأمطار والطوفانات الشديدة التي أصابت المنطقة لاسيما في بحر الهند الذي تشرف عليه حضرموت، مما أثر على العديد من السفن المسافرة التي تكسر أكثرها، وفُقِدَ مَنْ فيها من البشر والأموال في البحر، على الرغم من محاولات بعضهم التخفيف من حمولة سفنهم ورمي أكثر حمولتها في البحر في محاولات للنجاة، ومع قوة الطوفان وشدة أمطاره فُقِدَتْ أكثر تلك المراكب.

وعلى مستوى بلاد حضرموت نفسها وسواحلها القريبة تعرضت المنطقة للعديد من هذه الأمطار الشديدة التي زاد خطرها بما كان يصاحبها من رياح عاصفة مدمرة، كما ورد في أحداث سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م حينما حدثت مثل هذه الأمطار الغزيرة والرياح على منطقة الشحر، مما أثر على طرق الملاحة البحرية وسير السفن، وغرق بعضها في سواحل الشحر وبندر المكلا[٢].

وقد شهدت سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م هطول أمطار غزيرة أغاث الله بها أهالي حضرموت في الكسر ودوعن، ووادي عمد، فكانت سنة خير تنعم بها الناس وبزرعها، دون أن تسجل أي أضرار فيها[٣]، وفي سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م شهدت حضرموت هطول أمطار غزيرة، على مناطق المشقاص[٤] وصريح[٥] والوادي التي سالت أوديتها أثر ذلك[٦]، دون أن تسجل أي اضرار مادية أو بشرية، وتبعتها أمطار أخرى في السنة التي تلتها سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م، إلا أنها أخف من سابقتها وعلى المناطق السابقة نفسها، وهي المشقاص وصريح والوادي[٧].

وقد شكلت أمطار سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م التي هطلت على نواحي الشحر من أكثر

---

(١) قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٢.

(٢) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٧٠.

(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص٣١١.

(٤) المشقاص: منطقة واسعة في شرق الشحر، تبدأ من رأس باغشوة غربـًا، إلى منطقة حساي شرقـًا، وهي تنقسم إلى خطين ساحلي محاذٍ للبحر، وشريط محاذٍ للجبال والوديان، وتقدر مساحتها بحوالي (١٣٠ كم). المقحفي، معجم البلدان، ج٢، ص١٥٣٧ – ١٥٣٨.

(٥) صريح: لم نجد لها تعريفـًا.

(٦) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٣٣.

(٧) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٣٤.

الأمطار التي تضررت منها هذه المنطقة ونواحيها، حيث أخربت ديار ومخازن كثيرة في شحير[١] وروكب[٢] وغيرها[٣].

وفي يوم ٢٨ شوال ٩٣٩هـ/ ٥ يوليو ١٥٣٣م وقع غيث قوي، استمر إلى صباحية اليوم الذي يليه ٢٩ شوال/ ٦ يوليو، وتلف بسبب ذلك نخيل كثير في نواحي الشحر، ودوعن بعد أن وصلت السيول إليها، وبلغت شيئًا لم يعهد مثله، فتلف تحت رحاب[٤] ما يزيد على أربعة الآف نخلة، وكذلك ذبورهم تلفت، ولم يبق في دوعن من الذبر والنخيل إلا القليل، وقد وصلت هذه السيول في دوعن إلى مواضع لم تعهد ولم تخطر ببال[٥].

وقد ظلت الأمطار في بعض السنوات رغم طول انتظارها مصدر خوف ورعب للأهالي في حضرموت إذا ما اشتدت وتحولت إلى سيول جارفة، أو طال وقت سقوطها لساعات طويلة أو لأيام، لاسيما وأن أكثر بيوت أهالي حضرموت كانت مبنية من الطوب أو الطين أو العريش الذي من الصعب عليه التحمل لتساقط المياه لوقت طويل فوقها، ويذكر أنه في شهر ذي الحجة ٩٦٤هـ/ سبتمبر ١٥٥٧م سقط مطر عظيم في حضرموت، واشتد غزارة مع رياح شديدة صاحبته، وأدت إلى خراب العديد من بيوت حضرموت، ومزارعها وأشجارها[٦].

وفي يوم الثلاثاء ٢ شوال ٩٧٠هـ/ ٣١ أغسطس ١٥٦٢م حصل على الشحر ونواحيها غيث عظيم هائل مع ريح عاصفة مزعجة، واستمرت ذلك الليل مع النهار إلى يوم الخميس ٤ شوال / ٢ سبتمبر دون توقف، ثم توقفت الرياح واستمرت الأمطار الغزيرة والقوية أكثر من سابقتها، فخرجت الناس من بيوتها ومساجدها خوفًا من الآثار التي قد تترتب عليها هذه الأمطار، ويصف بافقيه[٧] ما شاهده ويقول إنه: " في حالة يعجز عنها الوصف ". وأقاموا

---

(١) شحير: بلدة تحت الشحر لها تاريخ. باسنجلة، العقد الثمين، ص١٥٦.

(٢) روكب: قرية ساحلية قديمة تقع على بعد (١٥ كم) إلى الشرق من المكلا حضرموت. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٧١٤.

(٣) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٥٨.

(٤) رِحَاب: من قرى الجانب الشرقي لوادي دوعن الأيمن. انظر: السقاف، إدام القوت، ص٣٥٩، حاشية رقم (١).

(٥) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٨٤ – ١٨٥.

(٦) باسنجلة، العقد الثمين، ص١٠٩.

(٧) تاريخ حوادث السنين، ص١٨٤ – ١٨٥.

لهم ولأولادهم ونسائهم سقائف من عريش[1] في الطرقات وأمام بيوتهم، وتُعد هذه الحوادث من الأمور التي لم تشهدها حضرموت بمناطقها المختلفة قبل ذلك، لاسيما أنها انتشرت في الشحر ونواحيها، وحضرموت وما جاورها، والمشقاص وضواحيها، حتى أذهل هذا الأمر جميع الأهالي هناك، وقد بلغ من قوة السيول والفيضانات إلى أن تأخذ خلائق من سكان حضرموت من النساء والرجال، وخاصة من منطقة المسفلة وتريم[2]، ووجدت جثث العديد منهم على سواحل البحر ونحو حيريج[3] من الرجال والنساء بحليهن لأنه كان يوم عيد الفطر، وكن بكامل زينتهن، ومن حالفه الحظ منهم تعلق بخشب النخل وسلم، وقد تسبب هذا السيل في خراب أسوار عديدة، وجرف من النخيل شيئًا لا يحصى، وأخذ جميع ذبر المسيلة بوادي بالحاف[4] والغيط وجعله رحبة[5]، وأخذ أجمل نخل غيل الأسفل، وغيل الأعلى[6]، وعلوب

---

(١) العريش: مساكن تصنع من أواد الأشجار على شكل أكواخ، وهي مصطلح محلي. انظر: الهندي: خالد يوسف، الشحر حضارة وتاريخ، ط٢، مطابع حضرموت الحديثة، الشحر، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص١٤.

(٢) تريم: مدينة عامرة بالعلم والعلماء والتجار، تقع في وادي حضرموت الذي يمتد من الغرب إلى الشرق على الضفة اليسرى من المجرى الرئيس. الصبان، عبد القادر محمد، تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، مكتب الأمين، ط٥، سيؤن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٣ - ١٧؛ شهاب، أحمد بن عبدالله، تريم الماضي والحاضر، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٩ وما بعدها.

(٣) حيريج: موضع مشهور مقابل سيحوت من بلاد المهرة. انظر: الحداد، علوي بن طاهر بن عبد الله بن طه، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، مج٢، دراسة وتحقيق وفهرسة: محمد يسلم عبد النور، ط١، مطبعة وحدين الحديثة للأوفست، المكلا، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٥٤٣.

(٤) بالحاف: منطقة ساحلية قريبة من عين بامعبد إلى جهة الشرق، وتقع في الجهة الجنوبية الغربية لحضرموت. باسنجلة، العقد الثمين، ص١٥٣.

(٥) بافقيه، تاريخ الشحر، ص٣٦٦.

(٦) غيل الأسفل والأعلى: يبدو أنه يقصد بها منطقة غيل باوزير، وهي مدينة واقعة شمالي شحير، وتبعد عن مدينة المكلا بحوالي (٥٠ كم)، وتُعد أرضًا واسعة بها عيون ماء غزيرة، وتنسب إلى الوزير العباسي علي بن طراد= =الذي كان وزيراً لبعض الخلفاء العباسيين، وهو ينتمي إليهم نسبًا. انظر: شنبل، تاريخ شنبل، ص٣٢٠؛ القعيطي، السلطان غالب بن عوض، تأملات تاريخ حضرموت قبل الإسلام وفجره، ط١، جدة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٥١؛ بن شيخان، سامي محمد، نفحات وعبير من تاريخ غيل با وزير، دار التيسير، صنعاء، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص١٣ - ٢٢؛ جروان، عدنان أحمد سالم، مدينة غيل باوزير دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية (١٣٥٥ - ١٣٨٧هـ/ ١٩٣٦ - ١٩٦٧م، دار الفالحين، ط١، الرياض، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص٢٥ - ٣٣.

الريدة[١]، وأخذ نحو مائة وسبعين في ميفع[٢]، وأخذ في شبام حضرموت جميع وادي ذهبان[٣] وغيره[٤].

وقد دفعت هذه الأحداث بعض علماء وشعراء المنطقة إلى إلقاء الأشعار التي وصفوا فيها عظمة هذا السيل، وما ترتب عليه من أذى، وخسائر في الأرواح والممتلكات، أمثال: الفقيه الفاضل عبد الله بن أحمد بن فلاح الحضرمي، حيث قال فيه:

سيل بوادي حضرموت أذاه عَمَّ ... في نوء إكليل النجوم أخذ نسيم

وصعوا له تاريخ ناسب جوره ... يلقاه من يطلبه في أحرف ظلم[٥]

ويذكر العيدروس[٦] أن أهالي حضرموت وسكان المناطق التي تضررت من هذا السيل ظلوا يتذكرونه فترة من الزمن، يؤرخون به، وكان يسمى عندهم سيل الأكليل، كما يذكر أن حضرموت تعرضت لسيل أو سيلين مثله أو أقل منه في قديم الزمان.

وفي الفترة المذكورة من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي شهدت مناطق حضرموت أمطارًا غزيرةً، وكان لاستمرارها أضرار كبيرة على عدد من المدن الحضرمية، ومن ذلك ما حصل في ليلة الثلاثاء ١١ جمادى الآخره ٩٧٩هـ/ ٣١ أكتوبر ١٥٧١م من مطر شديد على الشحر ونواحيها من قبل أذان المغرب إلى طلوع الفجر، وقد صاحب هذا المطر الغزير رياح شديدة خربت غالب بيوت الشحر، بعد أن خرج الناس عنها خوف أن تهد عليهم، ولم تسجل كتب التاريخ أي حالات وفاة باستثناء امرأة واحدة، والعديد من

(١) الريدة: قرية شرقي قصيعر، وكانت تسمى ريدة بن حمدات والغيضة. باسنجلة، العقد الثمين، ص١٥٥.

(٢) ميفع: ساحل يبعد عن البحر نحو ساعة ونصف، في شرقي بير علي وغربي بروم، عليه أراض واسعة، وفيه مياه غزيرة تدفع إليه من حجر. السقاف، إدام القوت، ص٨٩.

(٣) ذهبان: يبدو أنه من أودية شبام.

(٤) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٣٠١.

(٥) العيدروس، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت: ١٠٣٨هـ)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، حققه وضبط نصوصه ووضع فهارسه وقدم له وعلق عليه: أحمد حالو، ومحمود الأرناووط، وأكرم البلوشي، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، ص٣٧٣.

(٦) العيدروس، النور السافر، ص٣٧٣.

الخسائر المادية، منها ما أخذ من عمالة خرد[١]، ونخل بالعيص[٢] الذي حوالي الشحر، ومؤن المعدي[٣]، والهمة[٤]، وقد تضررت أيضًا مناطق أخرى من شدة ذلك المطر مثل منطقة غيل باوزير التي لم يقلع عنها المطر، وتسبب في إسقاط منارة جامعها، وإخراب غالب دورها، وهو ما تضررت منه أيضًا منطقة شحير، التي أخذت العديد من أراضيها، وجماعة من أهلها، فضلًا عن ما تسببت فيه تلك الأمطار والسيول من خوف ورهبة في نفوس الناس الذين هالهم غزارتها، وكثرة تدفقها[٥].

وقد شهدت السنة التي تلتها ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م فيضان وادي عدم بوادي حضرموت، وأدى ذلك إلى قلع نخل كثيرٍ فيه، وعرف ذلك السيل؛ بسيل الثريا، الذي أصبح أهالي حضرموت يؤرخون به لعظمته التي فاقت سيل الأكليل، وقد قال فيه الشعراء شعرًا كثيراً، ومما قال فيه الفقيه عبد الله بن أحمد بن فلاح:

فاض بالأحقاف سيل ... غادر النخل خويا
إن ترد تاريخه قل ... عم طوفان الثريا[٦]

وفي الأخير يمكن القول، إن تلك الأمطار التي شهدتها مدن حضرموت المختلفة خلال تلك المدة على الرغم من أهميتها في حياة الناس إلا أن زيادتها، وارتفاع منسوبها وتحولها إلى سيول جارفة أثر كثيرًا عليهم، وحول حياتهم إلى كوارث تسببت في تشريد بعضهم، وموت بعضهم الآخر، وتدهور أوضاعهم المادية والاقتصادية، لاسيما الأمطار التي صاحبتها رياح وأعاصير شديدة ومدمرة كما سوف نلاحظ لاحقًا.

(١) خرد: وادٍ بين المشقاص والشحر. الحداد، محمد يحيى، التاريخ العام لليمن، ج٤، شركة دار التنوير، بيروت، منشورات المدينة، صنعاء، ١٩٨٦م، ص١٠٠.
(٢) العِيص: تقع إلى الشرق من الشحر، وتبعد عنها بمسافة ساعة ونصف سيراً، وهي عبارة عن أكواخ قليلة محفوفة بزراعات أكثرها من التبغ. السقاف، إدام القوت، ص٢٢١ – ٢٢٢.
(٣) المَعدي: وادٍ بمدينة الشحر، وفيه قرية المعدي. الحداد، التاريخ العام لليمن، ج٤، ص١١٨.
(٤) الهمة: موضع عظيم به ماء لا ينقص صيفاً ولا شتاء، وموقعه في الطريق المؤدي إلى غيل بن يمين. الحداد، التاريخ العام لليمن، ج٤، ص١١٨.
(٥) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٣٣٢ – ٣٣٣.
(٦) العيدروس، النور السافر، ص٥٨٤.

٣- الرياح والأعاصير:

شكلت الرياح والأعاصير من أكثر الكوارث الطبيعية التي أثرت سلبًا على حياة الناس في حضرموت، فكانت سببًا في تدمير البيوت، والأشجار، والمراكب في البحر وغير ذلك بحكم موقع حضرموت على الشريط الساحلي للمحيط الهندي، الذي عادة ما تكثر فيه مثل هذه الرياح والأعاصير القوية والمدمرة، التي كانت تنشط خلال فترات زمنية معينة من العام، ومما لا شك فيه أن هذا النوع من الكوارث أثر على حضرموت ومنذ فترة زمنية سابقة لفترة الدراسة، حيث يذكر أنه في سنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م اشتدت الرياح والأعاصير في البحر مع هطول أمطار شديدة، وأدى ذلك إلى تكسير المراكب التي كانت راسية في سواحل حضرموت، وتفرقت بعضها في البحر، حتى أن طراداً[١] غرق بمن فيه، وبلغ عددهم خمسة وأربعين شخصـًا، مما يؤكد لنا مدى شدة وقوة هذا الإعصار[٢].

وقد شهد القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حدوث العديد من الأعاصير المدمرة التي تضرر منها عامة الناس في حضرموت وغيرها، لاسيما أهل البحر، والمسافرين عبره للحج أو للتجارة أو للهجرة، وممن يذكر بذلك الإعصار الذي حدث في سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م، وتسبب في غرق مركب أحد البحارة المعروف بالأحمر اليافعي، وغرق وهلاك بعض أهل حضرموت أمثال: محمد بن أحمد باسلامة، وابن عمه أبو بكر باسلامة[٣]، كما تسببت الرياح أيضًا في غرق أحد المراكب القادمة من الهند في سواحل حضرموت سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وكان على متنه كثير من الناس الذين ماتوا، وكان منهم: علي بن عمر باجرش[٤].

---

(١) الطريدة: نوع من السفن كانت مخصصة لحمل الخيل، وتتسع لحوالي أربعين فرسـًا، وقد عرف عنها أنها كانت تفتح عادة من الخلف حتى يتسنى للخيل الصعود إلى ظهرها أو النزول منها إلى اليابسة، كذلك كانت تستخدم لحمل الجند والمؤن، إضافة إلى الناس. دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص١٠٧.

(٢) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢١٧ - ٢١٨.

(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٦٧.

(٤) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٧٩.

وفي سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م حدثت ريح عظيمة، صاحبتها أمطار غزيرة على الشحر تغيرت بسببها جملة من المراكب في المكلا وغيرها[١]، ويذكر المؤرخ شنبل[٢] أيضًا أنه في العام المذكور وقع طوفان في الشحر من العين[٣] إلى جبة المسك[٤]، وقد تسبب هذا الطوفان في وسط حضرموت، وسواحل الشحر إلى غرق عدد كبير من المراكب الراسية والمبحرة، وقدر عددها بحوالي ثلاثين مركبًا، ويذكر أن من جملة من غرق مركب فيه ستة من آل كثير، وطراد صغير فيه ولد عقيل بن عبد الله بن يماني.

وقد تتابعت الرياح والأعاصير التي أخذت تسميات مختلفة عند أهالي حضرموت خلال سنوات القرن المذكور، ومن تلك التسميات رياح الشلي الشديدة التي ضربت بعض المناطق الحضرمية مثل المشقاص وصريح والوادي في سنة ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م، وتضررت منها المناطق المذكورة[٥]، وقد تتابعت تلك الرياح في السنة التي تلتها سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م على المناطق نفسها، وإن كانت أخف من التي قبلها[٦].

وفي شهر ذي القعدة سنة ٩٣٧هـ/ يونيو ١٥٣١م هبت رياح من جهة القطب الشمالي في غاية القوة، وأتلفت كثيرًا من نخل مدينة الشحر[٧]، وتتابعت تلك الرياح، وكان منها ما هو حار جداً، ومنها ما هو مدمر، كما حدث في ضحى يوم ٢٧ شوال ٩٣٩هـ/ ٢٢ مايو ١٥٣٣م حينما هبت رياح فيها سمائم، وصار الجو حاراً، واستمر ذلك إلى وقت العصر، وفي ثاني يوم ٢٨ شوال / ٥ يوليو هبت رياح مختلفة وشديدة مصاحبة لأمطار، واستمرت إلى صباحية اليوم الذي يليه ٢٩ شوال/ ٦ يوليو، وتلف بسبب تلك الرياح القوية نخيل كثيرة في نواحي الشحر، وأثر على سواحل حضرموت، وما فيها من مراكب راسية، حيث تكسرت على إثرها عدد من السفن، وغرق منها ما غرق في المكلا، ومات جماعة من ركابها، ومن

(١) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٧٠.
(٢) تاريخ شنبل، ص٢٨٣.
(٣) العين: وادٍ واسع شرقي المشهد والوادي الأيسر من دوعن. باسنجلة، العقد الثمين، ص١٥٧.
(٤) يقول الحبشي أن المقصود بالجبة هو أعماق البحر. شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٨٣، حاشية رقم (٧).
(٥) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٣٣.
(٦) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٣٤.
(٧) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٦٩.

تلك المراكب مركب كان قادمًا من زيلع[1]، ويحمل على متنه رقيقًا، منهم من غرق ومنهم من تعلق بحبال مكنته من النجاة، إضافة إلى ما سببته تلك الرياح من خراب ودمار لنخيل منطقة دوعن وغيرها[2].

وفي فجر يوم الجمعة ٢٦ جمادى الأول ٩٤٣هـ/ ١٠ نوفمبر ١٥٣٦م ضرب حيمر[3] مدينة الشحر، وتكسرت بسببه عدد من المراكب، التي كانت راسية في البحر المحملة بالبضائع[4].

وتتابعت تلك الأحوال الجوية في أجواء حضرموت التي كانت تتعرض لتقلب مستمر مثلما حدث في يوم الجمعة ١٧ ذي الحجة ٩٤٤هـ/ ١٧ مايو ١٥٣٨م، حيث حصلت سموم من الجو قوية كما تصفها المصادر، وصار الجو حاراً، واستمرت هذه الأجواء إلى يوم السبت[5].

وفي أواخر سنة ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م ضرب الحيمر سواحل الشحر ونواحيها، وخرب العديد من البيوت والزرع، مما أضر بأهل المنطقة وأثر فيهم، واستمر وضعهم هذا حتى سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م[6].

وقد تأثرت حضرموت من تكرر رياح الحيمر في العديد من مناطقها خلال الأعوام المذكورة حتى أنه كان سببًا في خراب مناطق واسعة منها سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م، وتحديدًا

---

(١) زيلع: من الموانئ الأفريقية الشهيرة، ويقع على خليج عدن في أقصى الشمال الغربي للصومال بالقرب من جيبوتي حاليًا. هَديل، طه حسين، دور الموانئ الأفريقية في تسهيل الحج إلى الحجاز من القرن السادس إلى الثامن الهجري/ القرن الثاني عشر إلى الرابع عشر الميلادي ميناء زيلع أنموذجًا، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مجلد (١١)، العدد (٢)، ربيع ثاني ١٤٣٩هـ/ ديسمبر ٢٠١٧م، ص٨٧٦ – ٨٨١.

(٢) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٨٤ – ١٨٥.

(٣) الحيمر: من الطوفانات الخطرة المدمرة، يأتي من مطلع العقرب، ويضرب في أرض الأحقاف من مدركة وما جاورها شرقًا إلى الشحر، وقد يمتد في بعض السنين إلى عدن ومن علاماته كثافة الغبار على البر والبحر والبرق والغيوم الركامية وغيرها. شهاب، حسن صالح، فن الملاحة عند العرب، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٩١.

(٤) باسنجلة، العقد الثمين، ص٥٧.

(٥) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢١١.

(٦) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٩١.

ليلة الخميس ٢٠ ذي الحجة/ ١٤ أكتوبر، وصاحب ذلك الحيمر مطر عظيم، اشتدت الرياح معه، حتى أنه بعد سكون تلك الرياح العاصفة تبين الأضرار التي تركتها، من تهدم للعديد من البيوت، وخراب مزارع النخيل والنارجيل بشكل مثل كارثة لأصحابها، فكانت أشد المناطق تضررًا الجرادف(١)، وغيل باوزير، وشكلنزة(٢)، وتبالة(٣)، وشحير، والشحر، وسلمت بعض المناطق التي لم يصلها من هذا الإعصار شيء مثل فوة(٤)، وبروم(٥) وغيرها من المناطق الحضرمية(٦).

وفي يوم الثلاثاء ٢ شوال ٩٧٠هـ/ ٣١ أغسطس ١٥٦٢م تعرضت مدينة الشحر ونواحيها لرياح عاصفة مزعجة، واستمرت تلك الرياح مع غيث شديد في الليل مع النهار إلى يوم الخميس ٤ شوال/ ٢ سبتمبر دون توقف، فخرجت الناس من بيوتها ومساجدها خوفًا من الآثار التي قد تترتب عليها من هذه الأحوال الجوية الصعبة(٧).

ومن الملاحظ، أن قوة الرياح أثرت كثيرًا على حركة الملاحة البحرية، وسير السفن في البحر، والراسية منها في سواحل حضرموت، إذ إنه على ما يبدو شملت تلك الرياح والأعاصير المناطق المحيطة بحضرموت لاسيما جهة عُمان والهند، إذ يذكر أن هناك نحو بضع وثلاثين مركبًا علقت بسبب هذا الأمر بما فيها من شحن، وسحب بعض من هذه السفن التي كانت راسية في سواحل حضرموت إلى البحر بسبب قوة الرياح على ما يبدو، مما أثر سلبًا على حركة التجارة والملاحة البحرية(٨).

---

(١) الجرادف: منطقة جنوب الشحر، تمتاز بكثرة آبارها. السقاف، إدام القوت، ص٢١٩.

(٢) شكلنزة: بلدة من أعمال المكلا. بافقيه، تاريخ الشحر، ص٢١٢، حاشية رقم (١).

(٣) تبالة: قرية مشهورة بينابيعها الكبريتية على بضعة كيلو مترات شمال الشحر، وهي مورد مائها. الأكوع، البلدان اليمانية، ص٥٦.

(٤) فوة: شاطئ في مدخل مدينة المكلا، كانت تابعة لبادية سيبان الشرقية، وقد سميت باسم أحد أبناء حضرموت. انظر عنها: الحداد، الشامل، ج٢، ص٤٧٣ - ٤٧٤.

(٥) بروم: ميناء صغير غربي مدينة المكلا بمسافة (٣٠ كم) تقريبًا، يمتاز بأنه حصين من عواصف الرياح. السقاف، إدام القوت، ص١٠٥.

(٦) باسنجلة، العقد الثمين، ص١٠٩.

(٧) تاريخ حوادث السنين، ص١٨٤ - ١٨٥.

(٨) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٣٠١ - ٣٠٢.

وفي يوم الجمعة ٨ جمادى الآخرة ٩٧٩هـ/ ٢٧ أكتوبر ١٥٧١م شهدت منطقة حضرموت هبوب رياح شديدة دون أن تصاحبها أمطار، وزاد شدة تلك الرياح في اليوم الذي يليه يوم السبت، وقد تسببت في هيجان البحر، وزيادة منسوب المياه فيه أكثر مما تزيد عليه في بعض المواسم التي يشتهر فيها ارتفاع البحر كما في أيام الخريف(١)، وفي ليلة الثلاثاء ١١ جمادى الآخرة/ ٣١ أكتوبر من السنة المذكورة اشتدت الرياح على الشحر ونواحيها من قبل أذان المغرب إلى طلوع الفجر، وقد صاحب هذه الرياح الشديدة أمطار خربت غالب بيوت الشحر(٢).

خلاصة القول، إن تلك الكوارث من رياح وأعاصير التي أوردتها كتب التاريخ التي دونت لحوادث حضرموت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ما هي إلا نماذج لأهم تلك الكوارث الطبيعية، وهو ما يؤكد لنا أن هناك العديد منها لم يسعف المؤرخين تدوينه أما لعدم أهميته، أو تجنبًا للتطويل لمثل تلك الحوادث، والتركيز على ما هو أهم منها.

٤- الهزات والزلازل والانهيارات:

كانت الهزات والزلازل والانهيارات الترابية والطينية من الكوارث التي أغفلت عن ذكرها المصادر التاريخية التي دونت لحضرموت وغيرها، وقد حاولنا جاهدين البحث والتقصي عن أي شيء يتعلق بمثل هذه الظواهر والكوارث علَّنا نجد ما يفيدنا؛ فلم نجد إلا إشارات بسيطة جدًا أوردتها بعض المصادر في سياق الحديث العام عن بعض الأحداث السياسية، وهو ما دفعنا إلى محاولة البحث عن تاريخ هذا النوع من الكوارث في بلاد حضرموت، وعلى ما يبدو أنها قديمة وسابقة لمدة الدراسة، ومما يؤكد ذلك ما جاء عن أحداث سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م التي تمَّ الإشارة فيها إلى أنه قد وقع في بعض قرى دوعن وعمد مثل قرية النعير أو قرن البقر هزات وانهيارات وخسف كما تصفها المصادر، تصدعت فيها جبال المنطقة تصدعًا كبيراً، وأنهار فيها نحو أثنتي عشرة داراً، دليلًا على قوة الهزة(٣).

ومما ورد عن القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي أنه في يوم الخميس ٢٦ ذي الحجة ٩٤٤هـ/ ٢٦ مايو ١٥٣٨م سمع أهالي حضرموت رجفة قوية، لم يستطع الناس

---

(١) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٣٣٢.

(٢) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٣٣٢ - ٣٣٣.

(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٨٤.

تحديد نوعها، ومع ذلك يذكر بافقيه الشحري[1] أنه تبين للناس أنها صاعقة وقعت في البحر، ويبدو أن ما جاء ما هو إلا تخمين لهذه الرجفة التي قد تكون هزة أرضية شديدة وبعيدة، لا سيما وأنها وصفت بالرجفة.

ولا يعني أن عدم ذكر المصادر التاريخية التي بين أيدينا لمثل هذه الكوارث أن حضرموت لم تتعرض لأي هزات أرضية أو زلازل، بل على العكس فقد تكون تعرضت للعديد منها إلا أنها لم تحضَ باهتمام كُتَّاب ومؤرخي القرن المذكور.

٥- الأوبئة والأمراض:

شكلت الأوبئة والأمراض أو الوعك كما عُرف بين أهالي حضرموت[2] في ذلك الوقت أحد الكوارث التي تعرضت لها هذه المنطقة خلال فترات مختلفة من تاريخها الإسلامي، وقد وثقت لنا عدد من كتب التاريخ بعضًا من تلك الحالات التي عانى منها أهالي حضرموت في القرون السابقة لمدة الدراسة، مما يؤكد لنا أن هذه المنطقة شهدت تفشي أمراض مختلفة كان منها ما هو وبائي وتسبب في موت العديد من سكان المناطق التي تفشى فيها، ومنها ما هي أمراض اعتيادية لم تشكل خطرًا كبيراً، ولا يدخل في توصيفه ضمن مصطلح الأمراض الوبائية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يذكر شنبل[3] أنه في سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م وقع في دوعن موت فضيع، تسبب في خلو بعض الديار من أهلها بعد موت العديد منهم، لدرجة عجزهم عن إحصاء مَنْ مات منهم، ومما لا شك فيها أن ذلك الموت المفاجئ الذي عجزت المصادر عن تحديد أسبابه كانت نتيجة لانتشار وباء معين تفشى بين أهالي المنطقة المذكورة، وتناقل بينهم دون أن يجدوا علاجًا له يحصر تفشيه وانتشاره، وقد تكرر ذلك الوعك أو المرض في السنة التي تلتها سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، وتسبب في موت أكثر من سبعمائة شخص من أهالي حضرموت[4].

(١) تاريخ حوادث السنين، ص٢١١.

(٢) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٨٤.

(٣) تاريخ شنبل، ص١٨٤.

(٤) شنبل، تاريخ شنبل، ص١٨٤.

وعلى ما يبدو، أن تلك الأمراض كانت أكثر تفشيًا وانتشارًا خلال مدة القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، إذ انتشرت بعض الأوبئة والأمراض الخطيرة والمميتة التي أثرت على المنطقة، وكانت سببًا في موت كثير من أهلها، ومن أشد تلك السنوات سنة ٩١٧هـ/ ١٥١١م التي وقع فيها طاعون خطير تفشى بين أهالي المنطقة دون توقف، ومات بسببه خلق لا يحصون ولا يعدون، وبلغ عدد مَنْ مات مِنْ الأشراف فقط آل با علوي نحو العشرين شخصـًا، غير الأطفال والنساء، مما يؤكد على شدته وقوة تفشيه بينهم(١)، وفي سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م شهدت المنطقة وعكًا ومرضًا انتشر بين بعض أهالي مناطق حضرموت، مثل منطقة دوعن، مات على إثره أكثر أهل بضة(٢)، والكسر، وحضرموت، وهو عبارة عن حمى يموت على إثرها المريض(٣).

كما يصف المؤرخ شنبل(٤) في أحداث سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م، حالات مماثلة لما ذكرنا سابقـًا، فيذكر أنه وقع في مدينة تريم (هارة)(٥)، مات بسببها كثير من الخلق، ووصل أثرها إلى كل قبلية حضرمية، ومات بسببها من السادة آل باعلوي نحو ثلاثين رجلًا غير الصبيان، ونحو تسعين من النساء، وممن مات من الرجال: علي بن محمد عيديد، ومحمد بن عبد الرحمن المنفر وغيرهم كثير.

وتوثق لنا بعض المصادر التاريخية الحضرمية التي دونت لهذه الفترة الزمنية بعض من تلك الأوبئة والأمراض التي كانت سببًا في وفاة العديد من أهالي المناطق التي انتشرت فيها،

---

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص٣٠٦.
(٢) بُضَة: وهي من أكبر مناطق وادي دوعن. انظر عنها: السقاف، إدام القوت، ص٣٣٧.
(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص٣١٢.
(٤) تاريخ شنبل، ص٣١٥.
(٥) يذكر المؤرخ والمحقق عبد الله محمد الحبشي أن هذا المصطلح من كلام ذلك العصر، بمعنى قحط أو شدة، ومن خلال بقية العبارة حول من مات فإننا نعتقد أن هذا قد يكون وباء أو مرض انتشر بين الناس، وتسبب في موت العدد الكبير هذا الذي يستبعد أن يموتوا لقحط أو جفاف؛ إلا لمرض. انظر: شنبل، تاريخ شنبل، ص٣١٥، حاشية رقم (١). في حين يذكر المؤرخ الحبشي عند تحقيقه لكتاب باسنجلة أن الهورة التي ورد ذكرها في أحداث سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م؛ هي طاعون. انظر: العقد الثمين، ص٤٨، حاشية رقم (٥). وهو ما ذهبنا إليه سابقـًا بأنه مرض، وليس قحط أو شدة.

إذ يذكر أنه في ربيع الثاني ٩٣٩هـ/ يونيو ١٥٣٢م، وقع في حضرموت مرض لم يحدد المؤرخ بافقيه[١] اسمه ونوعه، ولا أعراضه، وعلى ما يبدو أنه كان عبارة عن وباء انتشر بين الناس، وقد يكون مرض الطاعون، حتى مات بسببه خلق كثير جُلَّهم من النساء والصبيان، فضلًا عن بعض الرجال، وكان أكثرهم من علماء المنطقة، مع أنهم كانوا قليلًا مقارنة بالنساء والأطفال، وتعد مدينة شبام وبور[٢] من أكثر مناطق حضرموت تضرراً، لما خرج منها من جنائز بلغت في شبام وحدها فوق ٤٠٠ جنازة، ومن بور ١٥٠٠ جنازة، وممن ورد ذكره من مشاهيرهم مَنْ مات في هذا المرض: الفقيه أحمد بن علي بابهير، ومحمد بن عمر باحجر وغيرهم[٣].

ويذكر المؤرخ باسنجلة[٤] أن منطقة حضرموت تعرضت في ذي الحجة/ ديسمبر من العام المذكور ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م لهورة، وهو المعروف بالطاعون، وكان أكثر انتشارًا في صيف[٥] ونواحيها، وهينن[٦] وما جاورها، فمات من أهل تلك المناطق والمناطق المحيطة بها جماعة لاسيما من أهل هينن[٧]، ومن أشهر الأسماء التي ماتت من حضرموت بسبب هذا الطاعون - على سبيل المثال لا الحصر -: عبدالله بن عمر بن عقبة، وأخوه أحمد بن عمر بن عقبة، وعمر بن أبي بكر باذيب، ونحو من أربعمائة جنازة خرجت من شبام وحدها[٨].

وتقفل المصادر التي بين أيدينا عن ذكر أي معلومات أخرى عن هذا النوع من الكوارث خلال القرن المذكور، ولا يعني هذا عدم تعرض حضرموت لأمراض أخرى، بل على العكس فقد تكون تعرضت للعديد من هذه الأمراض إلا أنها لم تلقَ الاهتمام والعناية والتوثيق من قبل مؤرخي القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ومن جاء بعدهم.

---

(١) تاريخ حوادث السنين، ص١٨٢.

(٢) بور: قرية صغيرة في ساحل حضرموت، تقع بالقرب من منطقة بروم، ومن أعمالها، غربي مدينة المكلا. المقحفي، معجم البلدان، ج١، ص٢٠٣.

(٣) باسنجلة، العقد الثمين، ص٤٨.

(٤) العقد الثمين، ص٤٨.

(٥) صيف: بلدة في وادي دوعن، أعلى مسيل الواديين الأيسر والأيمن، ويقال إنها قفل دوعن. المقحفي، معجم البلدان، ج٢، ص٩٣١.

(٦) هينن: من أعمال القطن، وتقع في غربها. السقاف، إدام القوت، ص٤٥٦.

(٧) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٨٥.

(٨) باسنجلة، العقد الثمين، ص٤٨.

٦- الحشرات الضارة (الجراد):

من المعروف لدينا أن سواحل جنوب الجزيرة العربية المطلة على المحيط الهندي وبحر العرب ومناطق أفريقيا المختلفة كانت عرضة لهجرات بعض الحشرات الضارة بالمزروعات مثل: الجراد، وكانت حضرموت من المناطق التي تضررت من مثل تلك الحشرات التي كانت كثيرًا ما تهاجم الزرع وتأكله مسببة خرابًا ودمارًا لأراضي المزارعين، ولأهالي المناطق التي تمر بها، لما كان لذلك من انعكاسات مختلفة تؤدي إلى تلف الزرع، وارتفاع الأسعار بسبب تلف الموسم، وشحة المنتجات الزراعية التي أكلها الجراد في الأسواق، وقد حاولنا البحث في المصادر التاريخية التي بين أيدينا عن بعض السنوات التي شهدت هجرة لمثل هذه الحشرات إلى أراضي ومزارع حضرموت، إلا أننا وجدنا شحة في مثل هذه المعلومات، علمًا بأن هناك إشارات تؤكد دخول مثل هذه الحشرات إلى حضرموت في فترات سابقة بمدة بسيطة لمدة الدراسة، ومما يذكر عن هذا الأمر أنه بعد سيل سنة ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م غزا حضرموت جراد ودبا (صغار الجراد)، وأكل زرعها، وأتلف المحصول[١]، مما تسبب في حدوث نكبة على أهالي تلك المناطق.

وتورد بعض المصادر التي أرخت للقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بعض الحوادث التي تؤكد لنا انتشار مثل هذا النوع من الحشرات من جراد وغيره، التي كانت سببًا في تلف الزرع وخرابه، ومما يُذكر في ذلك ما حدث في سنة ٩١٨هـ/ ١٥١٢م عندما تلف التمر، وسحقت وتلفت الزراعة بأكثر مناطق حضرموت، دون تحديد السبب الذي قد يكون نتيجة للجراد أو صقيع أو برد، مما تسبب في كارثة في حق الأهالي هناك، بعدها ارتفعت الأسعار، وبلغ الطعام (الحبوب) أربعة مَصَاري بدرهم شِحْري[٢].

٧- الصقيع والبرد:

على الرغم من التنوع البيئي لطقس مناطق حضرموت، وتميز أكثرها باعتدال أجوائها، أو شدة حرارتها إلا أن حضرموت تعرضت لحالات برد قارسة وشديدة أثرت كثيرًا على الزرع في كثير من المناطق، وقد شهدت سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م إحدى تلك الحالات التي تسببت في إحراق الزراعة وإتلافها في المناطق التي نزل بها[٣].

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٦٠ - ٢٦١.
(٢) شنبل، تاريخ شنبل، ص٣١٢.
(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٨٤.

ويُعد البرد والصقيع من أكثر ما تأثر به أهالي حضرموت وتضرروا منه، لما كان له من أثر عليهم وعلى أجسادهم، وزرعهم، وسير حياتهم اليومية، حيث يذكر أنه في سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م ظهر في مناطق حضرموت برد شديد أحرق الأجساد، وجمد الماء في المناطق التي نزل عليها، وأحرق الخضروات، والنخيل، فكان كارثة على أهالي حضرموت(١).

كما يذكر أنه في شهر جمادى الأولى سنة ٩٣٧هـ/ ٢١ ديسمبر ١٥٣٠م، تعرضت بعض مناطق حضرموت لحالات صقيع وبرد، أثرت كثيرًا على الأهالي هناك، ومن هذه المناطق على سبيل المثال: الشحر وحضرموت والكسر ودوعن، وقد نتج عن تلك الأجواء الباردة تجمد المياه في البرك والحياض، والجباب(٢) لمناطق الكسر والهجرين، وتلفت زروع بعض مناطق حضرموت مثل منطقة الكسر(٣).

وتُعد سنة ٩٦٧م/ ١٥٥٩م من أكثر السنوات التي تعرضت فيها حضرموت لموجة صقيع، وبرد شديد اتعبت الناس كثيراً، وأحرقت الأشجار، والنخيل، والأراك، والعلوب وغيرها، فكان ذلك سببًا في حدوث حالة قحط شديدة، وقلة المزروعات في الأسواق، وارتفاع أسعار ما وجد منها، مع عجز أهالي حضرموت من شرائها، وانتشار الجوع والمجاعة والموت بينهم(٤).

خلاصة القول، إن هناك العديد من النماذج والأمثلة لمثل تلك الكوارث من برد وصقيع ولكن المصادر التي بين أيدينا أغفلت عن ذكرها لأسباب مختلفة قد يكون منها تركيز المؤرخين على جوانب أهم من وجهة نظرهم كما ذكرنا سابقاً، إلا أن ذكرهم بعض تلك الحالات دليل على أنها وجدت وانتشرت خلال القرن موضوع الدراسة.

المبحث الثالث: آثار الكوارث الطبيعية في حضرموت

لقد كان لكل تلك الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها حضرموت في المدة موضوع الدراسة وذكرناها سابقًا انعكاساتها المختلفة على المنطقة، وسكانها، علمًا بأن تلك الآثار لم تنعكس على جانب معين من جوانب حياة الناس؛ بل امتدت لتشمل مختلف الجوانب

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٩٨.
(٢) يقصد بها أحوض المياه، والجباب من الجب أي الآبار الواسعة.
(٣) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٧١.
(٤) باسنجلة، العقد الثمين، ص١١٠ - ١١١.

السياسية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والنفسية والعمرانية، وهو ما دفعنا إلى البحث والتفصيل فيها لاكتمال جوانب الدراسة، وتحليل ما يمكن تحليله من تلك الآثار.

١- الآثار السياسية:

من المعروف أن مناطق حضرموت المختلفة خلال عصرها الإسلامي خضعت لتكتلات قبلية متعددة، شكل كل منها كيانًا سياسيًا خاصًا به، وكان على كل كيان زعيم قبلي معترف به لدى بقية الكيانات السياسية والقبلية الأخرى، مع دخول كل تلك الكيانات وخلال فترات مختلفة وبسيطة تحت حكم بعض الدويلات التي حكمت اليمن[١]، وقد يتعجب بعضهم من مدى تأثير الكوارث الطبيعية على الكيان السياسي لحضرموت، وهل كان لها دور في إعادة التركيبة السياسية للمنطقة؟

لقد حاولنا البحث عن إجابة لهذا السؤال بالتعمق في تاريخ الكوارث الطبيعية في حضرموت في العصر الإسلامي، ووجدنا إشارة إلى ما تعرضت له حضرموت من مجاعة شديدة كادت أن تغير الخارطة السياسة لهذه المنطقة لاسيما في بعض الفترات السابقة لفترة الدراسة، مثلما حدث في مجاعة سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، عندما أجبرت أهالي حضرموت وزعماءها ومشايخها إلى البحث عن منقذ لهم من هذه المرحلة العصيبة والكارثة المميتة، فعملوا على تشكيل وفود نيابة عنهم سيروها إلى السلطان سالم بن إدريس الحبوظي، سلطان ظفار، ومساومته لبيع أملاكهم وحصونهم، مقابل دعمهم ماديًا، ومساندتهم، وحل ما هم فيه من مجاعة شقّت عليهم، وتسببت في هلاكهم وهلاك قبائلهم، مما عرض البلاد لمشكلات اجتماعية وسياسية كثيرة بعدما دخل الحبوظي إليها، وقدم مساعداته مقابل الأرض، وكادت هذه الخطوة أن تغير الخارطة السياسة لمنطقة حضرموت[٢].

وعلى الرغم من عدم وجودنا نماذج مماثلة لهذه الحالة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إلا أن تكرر مثل تلك الأزمات الحادة في القرن المذكور قد يكون عرّض حضرموت وحكامها وزعماءها فيما بعد للخضوع لقوى فرضتها الحاجة والمصلحة العامة.

---

(١) انظر: هُديل، طه حسين عوض، الموقف القبلي من الوجود الأيوبي في حضرموت، مجلة جامعة عدن الإلكترونية، العدد (١)، دار جامعة عدن، عدن، يونيو ٢٠١٢م، ص١٢١ - ١٣٧.

(٢) باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص٩١ - ٩٢.

٢- الآثار الاقتصادية:

مما هو معروف أن أهالي حضرموت اعتمدوا في حياتهم المادية والمعيشية على مداميك أساسية قام عليها اقتصادهم، واستقام بها حالهم وحلالهم، وتعد الأرض وما تنتجه من محاصيل زراعية أحد أهم المداميك الأساسية في معيشتهم وبقائهم، وبتلك الأرض ومنتجاتها الزراعية الوفيرة استقرت حياة الناس في حضرموت، وتحركت أسواقهم وتجارتهم مع غيرهم من المناطق الداخلية والخارجية، إلا أن بعض المناطق الحضرمية كثيرًا ما كانت تتعرض أراضيها ومزارعها لعدد من الأزمات الاقتصادية التي كان سببها بعض الكوارث الطبيعية من قحط وجفاف، وسيول وفيضانات، وأعاصير مدمرة، وبرد وصقيع، وحشرات ضارة كالجراد، وما يترتب على ذلك من جرف للأراضي، وموت للزرع، لهذا كان القطاع الزراعي من أكثر القطاعات تضررًا من كل تلك الكوارث وغيرها[(١)]، ومن أبرز ما تعرضت له الزراعة من كوراث خلال سنوات القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي - على سبيل المثال لا الحصر -: جفاف سنة ٩١٩هـ/ ١٥١٣م وما ترتب عليه من موت للزرع، وقحط الأرض، وتدهور في معيشة الناس[(٢)].

وأمطار سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٣م، وما تسببت به من تلف لنخيل الشحر، ودوعن، وجرف كثير منها أثر السيول المتدفقة التي بلغت أكثر من أربعة الآف نخلة وتزيد [(٣)]

وقحط وجفاف الأرض الزراعية في شهر ذي الحجة من سنة ٩٤٥هـ/ ديسمبر ١٥٣٨م، لاسيما في مناطق دوعن، والشحر وغيرها [(٤)].

وقحط شهر شَوَّال من سنة ٩٥٠هـ/ أكتوبر ١٥٤٣م في أراضي مدينة الشحر [(٥)]، وقحط سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م[(٦)]، الذي كان سببًا في جفاف الأرض وموت زرعها لعدم نزول الأمطار.

---

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٦٠.

(٢) شنبل، تاريخ شنبل، ص٣١٥.

(٣) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٨٤ - ١٨٥.

(٤) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٢٦.

(٥) بافقيه، تاريخ الشحر، ص٣٠١.

(٦) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٥٥.

كما تسببت أمطار سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م إلى خراب مزارع الناس في حضرموت وتحطم أشجارهم، وتحملهم العديد من الخسائر التي أصابت الأرض الزراعية هناك[١].

وفي سنة ٩٦٧م/ ١٥٥٩م عانى أهالي حضرموت من القحط والجفاف وموت الزرع بسبب قلّة الأمطار، مما أثر على معيشة الناس، وسوء تغذية العديد منهم[٢].

وفي سنة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م جرفت السيول والفيضانات أعدادًا لا تحصى من مزارع النخيل في المسيلة، ووادي بالحاف، ونخل الغيل، وعلوب الريدة، وأخذت نحو مائة وسبعين نخلة في ميفع، وفي شبام حضرموت، وجميع ما في وادي ذهبان وغيره[٣].

كما تسبب السيل المعروف بالثريا الذي وقع سنة ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م في وادي عدم بوادي حضرموت في قلع نخل كثير فيه ومزارع، وشكل قدومه كارثة بحق الزراعة في حضرموت[٤].

كما تأثرت الزراعة بحالات الصقيع والبرد التي كانت تتعرض لها حضرموت مما يؤدي إلى احتراق الزرع، وانتهائه إثر كل حالة صقيع تصيب المنطقة، في حين أتلفت موجات الجراد التي كانت تهاجم المزارع مساحات واسعة من الأراضي، مما تسبب في خسائر مادية كبيرة لأصحاب الأرض، وما ترتب على ذلك من انعدام المحصول في السوق وارتفاع أسعاره، وانتشار الجوع والمجاعة[٥].

وفي الوقت نفسه، كان القطاع التجاري الركيزة الثانية التي قام عليها اقتصاد حضرموت، وقد تسببت الكوارث الطبيعية التي كانت تتعرض لها هذه المنطقة في تضرّر هذا القطاع تضّررًا كبيرًا لاسيما في تجارته الداخلية والخارجية، نتيجة لانقطاع خطوط القوافل البرية والبحرية، وتوقف حال الأسواق إثر حالات الجفاف والقحط أو الفيضانات والسيول التي شهدتها حضرموت خلال بعض السنوات، وموت الحركة التجارية فيها، لشحة المنتجات الزراعية التي تباع فيها، أو ارتفاعها الجنوني في حالة وجودها، وعجز الناس عن شرائها،

(١) باسنجلة، العقد الثمين، ص١٠٩.

(٢) باسنجلة، العقد الثمين، ص١١٠ - ١١١.

(٣) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٣٠١.

(٤) العيدروس، النور السافر، ص٥٨٤.

(٥) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٧١.

وصعوبة وصول البضائع لتوقف سير القوافل، وخوف التجار من تسييرها سواء عبر البر أم البحر لسوء الأحوال الجوية[١].

ويعد إعصار سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م، من أكثر الأعاصير التي تضررت منها التجارة الخارجية لحضرموت، لما سببته من خسائر بشرية ومادية بالنسبة للتجار، بعد غرق مراكب بعضهم في البحر، مثل مركب أحد التجار المعروفين في حضرموت بالأحمر اليافعي، وهلاك بعض البحارة من أهل حضرموت، أمثال: محمد بن أحمد باسلامة، وابن عمه أبو بكر باسلامة[٢].

وقد ظلت الرياح والأعاصير من أكثر المشكلات التي واجهت التجار، والصيادين البسطاء، والمسافرين بحراً، وأثارت قلقهم، لما كان لها من انعكاسات على حياتهم، وحياة بحارتهم ومراكبهم وأموالهم، وتعد رياح سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م خير مثال على خطر الإبحار في مثل هذه المواسم الصعبة، فقد تسببت في غرق أحد المراكب القادمة من الهند في سواحل حضرموت، وكان على متنه كثير من الناس الذين ماتوا غرقًا أمام هول تلك الرياح والأمواج الهائلة، ومن أشهر مَنْ مات مِنْ أهل حضرموت في هذه الحوادث شخص يعرف بعلي بن عمر باجرش وغيره كثير[٣].

كما تسببت رياح سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م العاصفة في تكسير وغرق العديد من مراكب التجار في ساحل مدينة المكلا وغيرها[٤]، ولشدتها وصلت آثارها إلى مدينة الشحر وسواحلها، وعلى ما يبدو أن هذه الرياح الشديدة بدأت بأعاصير ظهرت في عمق البحر، ثم زحفت على الشحر لتدمر سفن التجار، ومراكب الصيادين وتغرقها، إضافة إلى السفن المبحرة بين الشحر وغيرها، وقدر عددها بحوالي ثلاثين مركبًا، وشكلت تلك الكارثة خسائر بشرية ومادية كبيرة على حضرموت وأهلها، حيث بلغ عدد من غرق من قبيلة آل كثير فقط حوالي ستة أفراد، إضافة إلى شخصيات معروفة من حضرموت، منهم: ولد عقيل بن عبد الله بن يماني وغيره[٥].

---

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢١١ – ٢١٢.

(٢) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٦٧.

(٣) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٧٩.

(٤) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٧٠.

(٥) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٨٣.

أما الثروة الحيوانية في حضرموت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي فقد تأثرت كثيرًا بفعل الجوع والقحط، أو الأمطار الغزيرة والسيول، والأوبئة والأمراض، والبرد الشديد والصقيع، لاسيما المواشي من الأغنام وغيرها[١]، مما تسبب في انخفاض نسبة هذه الثروة الحيوانية إثر كل كارثة طبيعية تصيب المنطقة.

وقد كان الغلاء وارتفاع الأسعار من بين أهم الأضرار التي يتأثر بها سكان حضرموت، بعد كل موسم أو كارثة طبيعية، وتعد سنة ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م، من أكثر السنوات التي ارتفعت فيها الأسعار، لاسيما في الشحر ومناطق أخرى[٢]، حتى بلغ سعر طعام الذرة بمدينة شبام المصرى ببقشتين[٣]، والتمر رطل وثلث ببقشة، مع قلّة في وجود مثل هذه المحاصيل في الأسواق، وارتفاع سعر بعض المواد الأخرى في أسواق حضرموت وعدن وشحتها[٤]، وقد استمرت حالة الغلاء الفاحش هذه حتى سنة ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م في الشحر وشبام، وخلت الأسواق من المواد العذائية، وارتفع سعر الموجود منها، مثل: الأرز الذي بلغ قيمته ستة أقراص بأشرفي وغير ذلك مما وجد في الأسواق وارتفع ثمنه[٥]، كما شهدت مدينة الشحر أيضًا في سنة ٩٥٠هـ/ أكتوبر ١٥٤٣م غلاءً كبيرًا في الأسعار، لدرجة لم يجد أهالي المنطقة شيئًا يأكلونه، بسبب انعدام منتوج الأرض والجفاف[٦]، وازداد الارتفاع في السنة التي تلتها سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م، وساءت أوضاع الناس وضاق حالهم لما عَمَّ البلاد من جفاف[٧]. وفي سنة ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م غلت الأسعار في جهات الشحر، ونواحي حضرموت، وقد بلغ من حال الناس في ظل هذه الظروف الصعبة أن مات العديد منهم[٨]، وكانت ظاهرة ارتفاع الاسعار من أكثر ما تضرر منه أهالي حضرموت بسبب هذه الكوارث.

---

(١) شنبل، تاريخ شنبل، ص٢٦٠.

(٢) تاريخ حوادث السنين، ص٢٣٣.

(٣) البقشة: يبدو أنها عملة نقدية كانت تستعمل في ذلك الوقت.

(٤) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٣٧.

(٥) باسنجلة، العقد الثمين، ص٧١.

(٦) بافقيه، تاريخ الشحر، ص٣٠١.

(٧) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٥٥.

(٨) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢٩٨ - ٢٩٩.

٣- الآثار الاجتماعية:

أثرت الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها حضرموت على حياة الناس الاجتماعية من نواحٍ مختلفة، وشكلت كابوسًا أقلق سكينتهم، وأثَّر في سير حياتهم ونفسياتهم، ومن خلال دراستنا هذه وجدنا أن هناك العديد من الآثار التي خلفتها الكوارث الطبيعية في حياة أهالي حضرموت الاجتماعية، ومنها: أنها كانت سببًا في تشريد العديد منهم، ونزوحهم عن مناطقهم، بعد أن فقدوا بيوتهم التي دمرتها الأمطار الغزيرة والكثيفة، والرياح العاصفة الشديدة، وأصبح بعضهم لاجئون في الصحارى والبراري والطرقات من دون مأوى لهم ولأسرهم، مثلما حدث في أمطار وعواصف سنة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م التي شهدتها الشحر ونواحيها(١).

وإضافة إلى ذلك، فقد المجتمع الحضرمي بسبب السيول الجارفة والفيضانات التي أصابت بعض مناطقه العديد من أبنائه ممن جرفتهم مياهها خلال فترات زمنية مختلفة، وعَمَّ الحزن والكآبة مناطق الشحر والمشقاص وتريم وحيريج وغيرها بعد فيضانات وسيول السنة المذكورة، بعدما ظهرت جثث العديد من ذويهم من الرجال والنساء والأطفال في الأودية وممرات المياه وعلى سواحل البحار وغيرها من الطرق التي مرت بها تلك السيول(٢).

كما تسببت الرياح العاصفة التي كانت تتعرض لها السفن والمراكب التجارية في البحر، والراسية منها في سواحل حضرموت للغرق، وموت مَنْ فيها مِنْ بحارة حضرموت وتجارها وصياديها، فضلًا عن فقدان هؤلاء التجار لأموالهم التي تفقد في البحر لاسيما في حالات العواصف الشديدة مثلما حدث في سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م(٣).

وفي الوقت نفسه، تسبب تفشي الأمراض الوبائية بين أهالي حضرموت في بعض السنوات في أن يعيش الناس حالة من الخوف والرهبة من انتشارها بينهم، لاسيما بعد أن فقدت المنطقة بسبب هذه الأوبئة والأمراض العديد من رجالها وعلمائها المشهورين في ذلك الوقت، كما يذكر في وباء سنة ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م في شبام وغيرها، وراح ضحيته أسماء معروفة في تلك المناطق، أمثال: الفقيه أحمد بن علي بابهير، وعمر بن محمد باحجر، وعبدالله بن عمر

(١) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٨٤ – ١٨٥.
(٢) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٨٥.
(٣) بامخرمة، قلادة النحر، ج٣، ص٣٧١٢.

باعقبة، وأخوه أحمد بن عقبة، وعمر بن أبي بكر باذيب وغيرهم كثير[١].

وعلى ما يبدو، إن مثل هذه الكوارث كانت سببًا في تعطيل بعض المناسبات الاجتماعية والدينية التي كان من المفروض أن يحتفل أهالي حضرموت ويفرحوا بها ويمرحوا، كما حدث في أول يوم من عيد الفطر المبارك سنة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م عندما زادت نسبة مياه الأمطار التي سقطت على حضرموت لتتحول إلى سيول وفيضانات جارفة أخذت معها كثيرًا من أهالي مناطق تريم وحيريج والمشقاص والشحر وغيرها، إلى درجة أن وجدت جثث العديد منهم في كامل زينتهم، لاسيما النساء اللاتي وجدن بزينتهن وحليهن على مشارف الأودية وغيرها[٢].

كما تسببت في زيادة نسبة الجوع والفقر بين أهالي حضرموت، وعجزهم عن الالتزام بما عليهم بالنسبة لأسرهم وغيرهم، وارتفاع مديونيات بعض هذه الأسر البسيطة والفقيرة، وما إلى ذلك من أضرار دفعت بعضهم إلى التنازل عن بعض أملاكهم وأموالهم مقابل البقاء والعيش بالقليل والستر، تجنبًا لمد اليد للغير[٣].

وكيفما كان الحال، فقدت أثرت بعض تلك الكوارث في نفسيات أهالي حضرموت، بعد أن شعر كثير منهم بالضعف والهوان أمامها، علمًا بأن آثارها الاجتماعية – على ما يبدو – بلغت حد الشعور بالضيق والكآبة مع كل حالة حر شديد تتعرض لها مناطقهم، وهو ما تشير إليه المصادر بريح السموم الحارة[٤]، ومما لا شك فيه أن ارتفاع حرارة الجو يترتب عليه بعض الأمراض الجلدية، من حساسيات واحمرار البشرة والتهابها وغير ذلك، وأمراض عضوية من ضيق التنفس، وزيادة في نسبة ضغط الدم والسكر وغيرها من المصطلحات الحديثة التي لم تكن تعرف بذلك في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فضلًا عمَّا تساعد به الرياح من سهولة انتشار الأمراض المعدية التي تنتشر بالهواء في مواسم الرياح.

ومن الملاحظ، أن أشد الآثار الاجتماعية التي ترتبت على هذه الكوارث التي بليت بها حضرموت هو زيادة نسبة الهجرة من مناطق حضرموت المختلفة إلى بعض المدن والقرى

(١) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٨٢.
(٢) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٨٤ – ١٨٥، ٣٠١.
(٣) باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص٩١ – ٩٢.
(٤) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص٢١١.

المحيطة بحضرموت مثل: عدن وغيرها، إضافة إلى خروج بعضهم إلى عدد من البلاد العربية أو غيرها من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية بعدما ضاق بهم الحال في حضرموت إثر كل كارثة يتعرضون لها، وقد يكون معظم هؤلاء خرجوا عن حضرموت لطلب الرزق أو العلم(١)، وهو ما يؤكد لنا صعوبة الأوضاع المعيشية التي كانت تعيشها المنطقة والتي أجبرتهم على السفر.

٤- الآثار العمرانية:

كان لنزول الأمطار الغزيرة، ولأوقات طويلة، ومصاحبة العواصف الشديدة لها أثره العكسي على بعض المنشآت المدنية في المدن والقرى الحضرمية، والأسوار المحيطة بها، والحصون والسدود وغيرها، لا سيما وأن كثيرًا منها بُني من الطين(٢)، وقد كانت أمطار سنة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م التي هطلت على نواحي الشحر من أكثر الأمطار التي تضررت منها هذه المنطقة ونواحيها، حيث اخربت ديار ومخازن كثيرة في شحير، وروكب وغيرها(٣)، في حين تسببت أمطار سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م في خراب العديد من بيوت أهالي حضرموت وسقوطها(٤).

كما أدت أمطار سنة ٩٧٠هـ/ ١٥٦٢م التي سقطت على منطقة الشحر ونواحيها، وما صاحبها من عواصف رعدية، ورياح شديدة إلى سقوط بيوت الناس ومساجدهم، وتدمير العديد منها، وجرف العديد من الأسوار في تريم وحيريج وغيرها(٥).

(١) الحسيني، سالم بن أحمد بن الحسين بن صالح، مختصر كتاب الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت، اختصره: د. عمر بن محمد عمر باحاذق، ط١، شركة كنوز المعرفة، د. ب، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص١٣ وما بعدها.

(٢) انظر: كوجين، يوري فيودروفيتش، العمارة الطينية الحضرمية التقليدية من الألف الأول قبل الميلاد مروراً بالعصور الوسيطة المتأخرة حتى العصر الحديث (تاريها، وبعض أنواعها، ومميزاتها)، تعريب وتقديم: عبدالعزيز جعفر بن عقيل، ط١، مطبعة وحدين الحديثة للأوفست، المكلا، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م، ص٤١ وما بعدها.

(٣) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٥٨.

(٤) باسنجلة، العقد الثمين، ص١٠٩.

(٥) بافقيه، تاريخ حوادث السنين، ص١٨٤ - ١٨٥، بافقيه، تاريخ الشحر، ص٣٦٦..

ومن عجيب ما وجدناه من خلال دراستنا هذه عن الكوارث الطبيعية، أنه لم يكن هناك أي دور للجهات المسؤولة في حضرموت والمتمثلة بزعامات القبائل أو حتى مشايخ وفقهاء حضرموت إلا بماهي جهود شخصية من قبل بعض الأفراد الذين كانوا يهدفون من وراء أعمالهم هذه المساعدة وخدمة المجتمع، وقد يكون ما سجل من موقف زعماء شبام وتريم أمام مجاعة سنة ٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م، هو الموقف الوحيد الذي يحسب لهم خلال فترة التاريخ الإسلامي، إثر استعانتهم بسلطان ظفار الحبوظي لنجدتهم(١)، مع أننا لم نجد مثل هذه الإشارات أو المساعدات التي ممكن أن تقدم من قبل هذه الزعامات والمشايخ للناس في أوقات الشدة والمحن خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

ومما وُثّق من الجهود الشخصية لبعض أفراد المجتمع الحضرمي؛ ما قام به بعضهم من تقديم المشورة والنصح والإرشاد للأهالي هناك، من خلال تأليف الكتب المتعلقة بالطب والأوبئة والأمراض، وكيفية الوقاية منها، وحماية أنفسهم من انتشارها، ومن أبرز علماء حضرموت الذين ساهموا في ذلك الطبيب والمؤلف الشهير محمد بن عمر بحرق (ت: ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، من خلال كتابه: "رسالة في الطب"، الذي - من وجهة نظري الخاصة - تَمَّ تأليفه لوقاية الناس من بعض الأمراض والأوبئة التي حدثت في حضرموت في ذلك الوقت، لاسيما وأنه يشير إلى أن معظم علل الإنسان من أربعة عناصر: ريح، ونار، وتراب، وماء(٢).

الخاتمة

لقد توصلنا في بحثنا الموسوم بـ: " الكوارث الطبيعية في حضرموت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي"، إلى عدد من النتائج والاستنتاجات التي يمكن تلخيصها في الآتي:

١. أن حضرموت تعرضت للعديد من الكوارث الطبيعية خلال عصرها الإسلامي، وكان القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي أكثرها أحداث حول تلك الكوارث.

---

(١) باوزير، صفحات من التاريخ الحضرمي، ص٩١ - ٩٢.

(٢) بحرق، محمد بن عمر، رسالة في الطب، دراسة وتحقيق: أحمد صالح رابضة، مطابع الإبداع، عدن، ٢٠١٠م، ص١٥، ٣٤.

٢. أن هناك تنوعًا واضحًا في تلك الكوارث بين جفاف وقحط، وأمطار غزيرة وسيول وفيضانات، ورياح وأعاصير، وزلازل ورجفات، وأمراض وأوبئة مميتة، وبرد وصقيع.

٣. إن أهالي حضرموت وسكانها قد تضرروا كثيرًا من مثل هذه الكوارث التي أتعبتهم وشردتهم، وأفقدتهم أموالهم وحلالهم.

٤. إن تلك الكوارث كانت وراء الهجرات التي شهدتها حضرموت عبر العصور، سواءً بشكل فردي، أم بصورة جماعات انتقلت إلى مختلف بقاع الأرض.

أننا لم نجد إشارات لتعاون المجتمع الحضرمي عند حدوث مثل هذه الكوارث، لا من الجهات المسؤولة، أو زعامات القبائل، أو مشايخ العلم، إلا ما هو مجهود شخصي لبعض أهل حضرموت يقتصر على جانب التوعية والوقاية في مجمله.

التيار الديني المعارض للسلطان بدر أبو طويرق الشيخان: عمر بامخرمة ومعروف باجمال نموذجًا

علي سالم علي باهادي

المقدمة:

يعد القرن العاشر الهجري في حضرموت قرنا واضح المعالم مقارنة بالقرون السابقة له، والتي يجد فيها الباحث نفسه محاطا بنصوص تاريخية شحيحة و مبترة لا تشفي غليل الصادي ولا الباحث المتلهف لكتابة نص تاريخي واضح ومتماسك، ومع تلك الصعوبات إلا أننا نجد أن هناك من الباحثين من خاض تلك الصعوبات وخرج بأبحاث جيدة، أما القرن العاشر الهجري فقد اكتسب تلك الميزة لأسباب أهمها انتعاش الكتابة التاريخية في حضرموت منذ ذلك القرن والقرون التي تلته، ولم يكن ذلك في حضرموت وحسب بل كان أيضا في عدد من المراكز الإسلامية كعدن و القاهرة ومدن الهند الإسلامية.

يتميز القرن العاشر الهجري في حضرموت بأنه قرنٌ حافل بالعديد من العلماء والأدباء والفقهاء والمؤرخين، الأمر الذي شكل ازدهارا في الحياة العلمية والأدبية بحضرموت، يقابلها في الجانب السياسي استقرار نسبي في الأوضاع الأمنية مع محاولة توحيد الأرض الحضرمية في كيان سياسي واحد يتزعمها السلطان بدر بن عبدالله الكثيري (أبو طويرق)، الذي استطاع أن يطرق معظم أراضي حضرموت فاتحا وحاكما، وأصبح يمثل رمزا في الموروث الشعبي للحاكم الحضرمي المثالي الذي وقف ضد الغزاة البرتغاليين وبذل قصارى جهده لإصلاح الأوضاع في دولته.

يتناول هذا البحث الموسوم بـ(التيار الديني المعارض للسلطان بدر أبي طويرق) علاقة السلطة الزمنية في حضرموت بالسلطة الدينية مع اختيار نموذجين وهما الشيخ معروف باجمال والشيخ عمر بامخرمة، اللذين شكلا ما يمكن الاصطلاح عليه بأنه تيار معارض للسلطان بدر أبي طويرق، البحث يحاول الإجابة على مجموعة من التساؤلات لعل أهمها،

ما الدوافع وراء تلك المعارضة ؟ و كيف تعامل السلطان بدر معها ؟ وهل كان للتصوف دور في ذلك الصراع ؟ وما هي أبعاد ذلك التوتر على الوضع في حضرموت والمنطقة ؟.

اعتمد البحث على مجموعة من المراجع والمصادر المختلفة لعل أبرزها كتب المناقب والسير الحضرمية وكتب الحوليات التي تشكل عمودا فقريا للأبحاث التاريخية عن تلك الحقبة، بالإضافة إلى بعض الدراسات والأبحاث الحديثة المتوافرة في المكتبات الحضرمية. وتعد مخطوطة مواهب البر الرؤوف في مناقب الشيخ معروف لجمال الدين محمد باجمال من أهم المصادر وأقدمها و تكمن أهميتها في أن مؤلفها كان مؤرخا معاصرا لتلك الأحداث.

تم تقسيم البحث إلى مبحثين تناول المبحث الأول ترجمة للشيخ عمر بامخرمة والشيخ معروف باجمال مع ذكر لأبرز المحطات العلمية في حياتيهما، أما المبحث الثاني فقد احتوى على مطلبين تناول الأول العلاقة بين الشيخ عمر بامخرمة والسلطان بدر ثم مبحث ثانٍ تناول علاقة الشيخ معروف بالسلطان بدر. وانتهى بخاتمة استعرضت فيها أهم نتائج البحث.

كل الشكر والتقدير لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر على هذه الجهود الجليلة التي يقوم بها في سبيل حفظ تاريخ حضرموت وتراثها وإرساء دعائم نهضة ثقافية شاملة ذات قواعد ثابتة.

تمهيد

السلطان بدر أبو طويرق وعلاقته بعلماء حضرموت:

يعد السلطان بدر بن عبدالله بن جعفر الملقب أبو طويرق أشهر سلاطين آل كثير فقد كان واسع الهمة أظهر تفوقا داخليا وخارجيا تولى السلطنة وهو شاب، و تفوق على أقرانه وأنداده من أمراء آل كثير، واستطاع أن يخلق قنوات اتصال بينه وبين الدولة العثمانية، وأمدته الدولة العلية بالرجال والسلاح مقابل إعلانه الولاء والطاعة، ونقل بذلك سلطنته من الدائرة الإقليمية الضيقة إلى علاقات أوسع خارج حدود حضرموت، ولد أبو طويرق في سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م وهو تاسع سلاطين آل كثير، طرق معظم أراضي حضرموت فاتحا وحاكما وغلب عليه لقب أبي طويرق، كان كاسمه بدرًا منيرًا أينما طلع سطع، وغيثًا غزيرًا كيف ما وقع نفع، وكان في زمنه بدر الصدور وصدر البدور. وهو الذي دانت له البلاد وخضعت له العباد وأول من أظهر بحضرموت هيبة الملك بسعده، وأسس قواعد السلطنة ومهدها لمن بعده، وطالت

دولته حتى لم يعلم أن أحدًا من السلاطين الحضارم مكث في الملك هذه المدة. [1]

كان القرن العاشر الهجري في حضرموت قرنا حافلا بالعديد من العلماء الصالحين والفقهاء البارعين الذين كان لهم دور بارز في تحصيل العلوم ونشرها، توافق كل ذلك مع وجود السلطان بدر أبي طويرق على رأس السلطنة الكثيرية الذي اشتهر بمحبته للعلم وأهله، حيث كان يجتمع في بلاطه أكابر العلماء و الفقهاء والأدباء والمؤرخين في حضرموت ويتبارون في عرض المسائل وتحليلها، فأصبح القرن العاشر (عصر السلطان أبي طويرق) من أزهى العصور في حضرموت و كان من أخصبها عطاء و إنتاجا علميا وفكريا. وعده البعض الفترة الذهبية في تاريخ حضرموت.

لقد شجعت تلك البطانة الصالحة والطيبة السلطان بدر في أن يقوم بعدد من أعمال الخير فقد قام بإنشاء مدرسة كبرى وجعلها مسجدا عامرا في الشحر [2]، أوقف عليها كثيرا من المال، وعين لها المدرسين الأكفاء، وكان تأسيسها سنة ٩٥٩هـ، ومدرسة أخرى في سيئون. وقد أرخ عام فراغ بناء مدرسة الشحر الفقيه أحمد بن عبدالرحيم الجابري بقوله:

شاده البدر مسجدا قد تعالى بعلاه على النجوم المضيئة

رب من قال: أرخوه فقلنا مسجدا شيدوه للشافعية[3]

لقد حرص السلطان أبو طويرق على تعزيز سلطته بضم مجموعة من العلماء والقضاة إلى بلاط حكمه من أمثال:

١- الشيخ محمد بن عمر بن مبارك بن عبدالله بحرق الذي يعد من أكابر علماء القرن العاشر ارتحل لطلب العلم إلى الحرمين وعدن و زبيد، له أكثر من ثلاثين كتابا في مختلف

(١) العيدروس عبدالقادر بن شيخ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق د. أحمد حالو وآخرين، ط١، دار صادر بيروت، ٢٠٠١م، ص٢٤٣.

(٢) يذكر الأديب عبدالله باحسن في كتابه أخبار الشحر أن الإمام شيخ بن إسماعيل العلوي أشار على السلطان بدر أبو طويرق أن يبني المدرسة الشهيرة في الشحر لما كان في ذلك المحل من يتعاطى المحظورات فامتثل السلطان الأمر. أخبار الشحر ص ٥٦.

(٣) العيدروس، النور السافر، مصدر سابق، ص. ابن حميد، سالم بن محمد تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٩٩١م.، ج ١، ص ٢٠٧.

العلوم كالحديث والتصوف والنحو والصرف والحساب والطب والأدب والفلك وغير ذلك، وكان غاية في الكرم محسنًا إلى الطلبة وغيرهم كثير الإيثار محبًا لأهل الخير متصفًا بالإنصاف [1]، أوكل إليه السلطان بدر أبو طويرق مهمة تسيير الشئون الإدارية في السلطنة، وبان ينوب عنه في أثناء غيابه عن عاصمة سلطنته، فضلا عن أنه تولى أيضا مهمة القيام بشئون القضاء في مدينة الشحر حيث اشتهر فيها بالعدل إلا انه تخلى عن هذه المهمة بسبب تدخلات الأمير مطران بن منصور أمير الشحر في الشئون القضائية [2]، ثم ارتحل إلى عدن ومنها إلى الهند و بها توفي سنة ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م [3].

٢ – الفقيه عبدالله بن عمر بامخرمة ولد بالشحر وبها نشأ وتلقى دراسته الدينية واللغوية على يد والده الفقيه عمر وعمه الطيب بامخرمة وغيرهم من علماء الشحر وحضرموت، ورحل إلى زبيد والحجاز متنقلا في طلب العلم حتى أصبح مرجعا في الفقه الشافعي في عصره، له عدد من المصنفات والفتاوى وديوان شعر [4]، وله مدائح طنانات جسام في السلطان بدر، وبما أنه يتمتع بمواهب وكفاءة علمية واسعة فقد حرص السلطان بدر أبو طويرق على تقريبه إليه وتعيينه قاضيا على مدينة الشحر مرتين بل أسند إليه أيضا منصب الإفتاء في حضرموت فكان بمثابة رئيس القضاة كما أنه تولى منصب سكرتارية الدولة، فكان أول سكرتير للسلطان بدر أبي طويرق ولاسيما في الشئون الخارجية حيث فوضه بالاطلاع على المراسلات والرسائل التي ترد إليه من السلطان العثماني ومن حكام مصر والهند و أمراء الحجاز والقيام بالرد عليها، وهو الذي قرأ مرسوم السلطان العثماني إلى السلطان بدر أبو طويرق والذي يحثه فيه على الدخول في طاعته، ومع ذلك لم يستطع الشيخ عبدالله بامخرمة التوفيق وردم هوة الخلاف بين السلطان بدر وأبيه الفقيه عمر بامخرمة، فغادر الشحر إلى عدن وتولى فيها أعلى المناصب و بها توفي سنة ٩٧٢هـ [5].

---

(١) العيدروس النور السافر، مصدر سابق، ص ١٠٢.

(٢) العامري عبدالحكيم صالح، السلطان بدر بن عبدالله أبو طويرق،تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٦م، ص ٨٠

(٣) العيدروس النور السافر، مصدر سابق، ص ١٠١.

(٤) بن عقيل عبدالرحمن جعفر، بامخرمة حياته تصوفه شعره، ط١، دار الفكر، بيروت، ص ١٠٦.

(٥) ابن حميد، العدة المفيدة، مصدر سابق، ج ١، ص ٢١١. العامري، السلطان بدر أبو طويرق، مصدر سابق، ص ٨٢.

وتذكر كتب التاريخ الحضرمي مجموعة من الحوادث التي تثبت اتصال السلطان بدر أبي طويرق بعلماء وصالحي ذلك العصر.

منها أنه حرص على استمالة وكسب ود السيد أحمد بن علوي باجحدب وهو أحد الأولياء الصالحين بمدينة تريم، فزاره وقدم له الهدايا والأموال إلا أن الشيخ با جحدب لم يقبل شيئا من تلك الهدايا والأموال لشدة ورعه بل حاول التهرب من ملاقاته، وقال له موصيا وناصحا: الله الله في العدل فقد كان والدك طيبا مع الناس، وأنت الله الله فيهم، ولما رجع السلطان بدر قال لجماعته الحمد لله الذي جعل في ولايتي مثل هذا الإمام وصار يفتخر به، و ظل الشيخ باجحدب بعيدا عن السياسة طيلة حياته حتى وفاته سنة ٩٧٣هـ(١).

ومنها أن السلطان بدر أبا طويرق لما علم بتردد السيد عمر الصافي من تريم إلى سيئون بوساطة بعض المحبين له، وكان السلطان محسن الظن به أمر ذلك الرجل بأن يرغب السيد المذكور في التزوج في سيئون، ولم يكن بسيئون آنذاك أحد من العلويين، فرغبه في البقاء بأمر السلطان الذي أراد أن تتنور بلدته بأهل البيت، فما زال به حتى استقر بسيئون و اقترن بسلطانة بنت محمد بانجار وهم من بني الحارثة، فولد له عمر فشب في حجر أمه بسيئون ثم ذهب إلى تريم فضج أهل سيئون وراجعوه، فعاد و بها تزوج وبنى بها مسجده واستقر حتى توفي بها سنة ١٠٠٧هـ(٢).

وروى الأديب عبدالله بن محمد باحسن في كتابه نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية مجموعة من الحوادث التي ظهر فيها السلطان بدر أبو طويرق مع عدد من علماء الشحر، من ذلك أن السلطان بدر أمر بإبطال القهوة البنية بحيث لا تعمل أصلا، لكن بعد أن شاهد في إحدى الليالي بالشحر نورا يصعد من أحد البيوت إلى عنان السماء وعلم في الصباح أن بذلك البيت رجل لا يترك طبخ القهوة، استغفر وتاب وأطلق عمل القهوة(٣).

(١) بن هاشم محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٧٧. العامري، السلطان بدر أبو طويرق، مصدر سابق، ص ٩٢.

(٢) ابن حميد، العدة المفيدة، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٤. ابن عبيد الله، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق محمد أبو بكر باذيب، دار المنهاج، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٦٨٧.

(٣) باحسن عبدالله بن محمد، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، تحقيق محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، ط١، ٢٠١٠م، ص ٥٢.

وفي أثناء تواجده في إحدى المرات بالشحر عزم على حضور الحضرة والمجلس الذي أسسه الشيخ شيخ بن إسماعيل (1) في صباح كل جمعة واصطحب معه أميره مطران بن منصور ليقدموا اعترافهم بالتقصير وإساءة الأدب في حق الشيخ في بعض التصرفات الصادرة منهم، مقدمين له الهدايا الوافرة، وصاروا بعدها من المحبين المخلصين، ويذكر باحسن حادثة أخرى بين السلطان بدر والشيخ محمد باشراحيل وأن السلطان لم يتراجع عن تصرفه مع الشيخ إلا بعد أن بدت له بعض الغيبيات عيانا فسلم وعرف قدر الشيخ، ويقول إن السلطان بدر أبا طويرق كان قليل التسليم حتى يقف على حقيقة الأمر (2).

وتذكر بعض المراجع عن علاقة الشاعر عبدالله بن عبود مذحج السيئة تجاه السلطان بدر حيث كان من أشد المعارضين لسياسته، واتخذ من شعره وسيله للتنديد بتلك السياسة، فلا يرى في حملات السلطان بدر لتوحيد البلاد تحت حكمه إلا خرابا وتدميرا للبلاد و أهلها، ويتهم السلطان بدر أيضا بالتقصير في مواجهة البرتغاليين الذين هجموا على مدينة الشحر سنة ٩٢٩هـ ويدعوه لمواجهتهم وترك سياسة التودد التي يتبعها معهم، وتنسب إليه قصيده يذكر بأنه قد أنشدها أمام مسجد بن قضيمتي بمدينة الشحر، هجا فيها السلطان بدرًا أبا طويرق الذي أمر بإيداعه السجن الذي ظل فيه حتى وفاته (3).

المبحث الأول: أعلام التيار الديني المعارض للسلطان بدر

المطلب الأول: الشيخ عمر بامخرمة:

أولاً: النسب و الميلاد و النشأة:

هو عمر بن عبدالله بن علي بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن أحمد بامخرمة الجوهي السيباني الهجراني و الهجراني نسبة الى مدينة الهجرين حيث ولد، و يقول في إحدى قصائده:

---

(١) الشيخ شيخ ابن إسماعيل بن إبراهيم ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف وكان من كبار المشايخ له ديوان شعر توفي بالشحر سنة ٩٥٠هـ. العيدروس، النور السافر، ص ١٧٢.

(٢) باحسن، أخبار الشحر، مصدر سابق، ص ٥٦.

(٣) العامري، السلطان بدر أبو طويرق، مصدر سابق، ص ٩٠.

قال الفتى الجوهي عيني مالها   مجروحة الخدين من هطالها[١]

كان ميلاد الشيخ عمر مغرب يوم الثلاثاء ١٣ رمضان ٨٨٤هـ/ ١٤٨٠م بمدينة الهجرين، حيث نشأ بها وتربى بموشح عند أخواله، وموشح هي إحدى قرى وادي بن علي الواقع جنوب شبام وقد ذكرها في العديد من أشعاره منها:

حيا الحيا ربوع موشح روحة   تهمي على مغناه بالأمر العلي

دار نشأت بها وكنت مصدرا   في كل ناد للفخار ومحفلِ[٢]

ثم ارتحل في سن البلوغ إلى مدينة عدن عند أبيه الذي كان قاضيا على عدن ويعد من أعلام القرن التاسع الهجري، ولم يطل به المقام مع أبيه إذ توفي الشيخ عبدالله بن علي بامخرمة علامة عدن ومدرسها في ١٢ محرم سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م [٣] حيث كان الشيخ عمر في مستهل تلقيه عنه فأخذ يلازم شيوخ عدن مجتهدا في طلب العلم.

تزوج الشيخ عمر بامخرمة في الشحر و بها ولد ابنه عبدالله بن عمر الفقيه والقاضي الشهير[٤] الذي كان سياسيًا ومقربًا من السلطان بدر أبي طويرق تولى القضاء بالشحر وأصبح مستشارا للسلطان وأمين سره، وقد غادر إلى عدن وتولى هناك أبرز المناصب العلمية وهو شاعر وفقيه يلقب بالشافعي الصغير حيث يعد مرجعا في الفقه الشافعي في عصره تتلمذ عليه جمع غفير في حضرموت وعدن التي بها توفي سنة ٩٧٢هـ، ولم يعرف للشيخ عمر من الأبناء في حضرموت غير ابنه عبدالله ومن خلال استهلاليات بعض قصائده نستدل أن له من البنات (عليا وطفلة وفاطمة) [٥]، و بعد أن استوطن سيئون تزوج مرة أخرى عند المشائخ آل بانجار وهم من بني زياد الخولانين بقايا ولاة سيئون وتوابعها [٦]

(١) السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، ج ١، ص١٣٠. بن عقيل، عمر بامخرمة حياته وتصوفه وشعره، ص ٩٥.

(٢) السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، ج ١، ص ١٣٠. بن عبيدالله، إدام القوت ص ٥٦٥

(٣) العيدروس النور السافر ص ٢٣.

(٤) السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، ج ١، ص ١٣٠

(٥) بن عقيل، بامخرمة حياته تصوفه شعره، مصدر سابق، ص ١٠٧ ص ١٠٦

(٦) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ص ١٣٢ - ١٣٣

ثانيا: أشهر شيوخه:

كان للشيخ عمر بامخرمة نتيجة لكثرة ترحله داخل حضرموت وخارجها العديد من الشيوخ الذين أخذ عنهم مختلف علوم الشريعة والحقيقة.

وكان قد أخذ على والده قبل وفاته بسنوات قليلة، ثم أخذ عن شيوخ عدن أمثال العلامة أبي بكر بن عبدالله العيدروس العلوي أحد أبرز أعلام التصوف في اليمن الذي ولد في تريم ثم ارتحل منها إلى عدن تتلمذ عليه العديد من الطلبة وأصبح مقصدا لهم توفي بعدن سنة (٩١٤ هـ/ ١٥٠٦م)[(١)]. ومن شيوخه أيضا العلامة الشيخ محمد بن علي جرفيل الدوعني، ثم عاد الشيخ عمر إلى حضرموت حيث لازم الشيخ سهل بن عبدالله بن إسحاق بهينن.

ومن أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم علم التصوف الشيخ عبدالرحمن باهرمز في هينن، وقد قدم عليه في ٢ رجب ٩١٣هـ / ١٥٠٧م من الهجرين للإنكار عليه في بعض المسائل والأحوال التي تناقلت عنه فعاد أخص تلاميذه بعد أن ألبسه خرقة التصوف ولقنه الأذكار والأدعية وأوصاه بالعديد من الوصايا وحكمه [(٢)] والعلامة عبدالرحمن الأخضر بن عمر باهرمز هو صاحب الأحوال الغريبة الشبامي المولد وقد ارتحل إلى الشحر وأخذ عن من فيها ثم استقر بهينن[(٣)] و بها توفي في محرم غرة سنة ٩١٤هـ[(٤)]

وله شيوخ آخرون أخذ عنهم في أثناء ترحله إلى زبيد والحرمين [(٥)]

و من قصيدة له في ذكر شيوخه يقول:

في هينـــن ســـند	إليـه ادعـي وانسـب
مــا مثلــه أحــد	في حــد ليلـى تقـرب
والله الصمــد	اني بــه تيــه واســحب

(١) شنبل أحمد بن عبدالله، تاريخ شنبل، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، ط ٢، مكتبة الناشر، صنعاء، ٢٠٠٣، ص ٢٣٥

(٢) العيدروس، النور السافر، ص ٤٤

(٣) بن عبيدالله، إدام القوت،ص ٤٥٨

(٤) شنبل، مصدر سابق، ص ٢٣٠

(٥) السقاف، تاريخ الشعراء الحضرميين، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٠.

والثـاني معـي في الغيـل له قبر ومشـهد
قـل يـا لوذعـي يـا ابـن علـي يـا محمـد
والثالـث وصالـه فـي مكانتـه ثانـي
بـو بـكر الإمام العيـدروس اليمانـي
والرابـع أبـي قـال لا تفشـي مدحـي
واطلبنـي غبـا مـا بيـن ليلـي وصبحـي

لقد أمضى الشيخ عمر بامخرمة مقتبل عمره في حل وترحال ساعيا إلى طلب العلم في حضرموت وعدن و زبيد والحرمين الشريفين على أيدي كبار شيوخه المعاصرين [١]، ففي العام ٩١٧هـ/ ١٥١١م قصد المدينة المنورة وقال عند ما دخلها:

قف بالمطي ضحى على الأطلال وأنـخ بظـل نخيلهـا والضـال
وتـوخ منزلـة قبـال قبابهـا فيـه محـل القـرب والإقبـال[٢]

وفي سنة ٩٤٩هـ قصد الشيخ عمر بامخرمة سقطرى، وقد عاد منها في نفس السنة[٣]، ولم تكشف المصادر عن سبب تلك الرحلة التي يرجح أن تكون لنشر الدعوة في تلك الجزيرة النائية وقد يكون قصدها بعد أن تعرض للمضايقة في سيئون للبحث عن موطن جديد بعيد عن سلطة السلطان أبي طويرق الذي لم يستحسن بقاء الشيخ بامخرمة داخل المدن الرئيسية أو بالقرب من القبائل الثائرة.

وكان بامخرمة على سعة من الاطلاع وشديد الاهتمام في تحصيل علوم الفقه والحديث واللغة، وفي سلوكه طريق التصوف كان كثير الشغف بمطالعة (الرسالة القشيرية) و(عوارف السهروردي) و(إحياء علوم الدين للغزالي) [٤]، وغيرها من كتب التصوف ثم انصرف إلى

(١) بن عقيل، بامخرمة حياته تصوفه شعره، ص ٩٦.
(٢) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج١، ص ١٣٥.
(٣) ابن حميد سالم بن محمد، تاريخ حضرموت العدة المفيدة، ج ١، ص ١٩٤.
(٤) الرسالة القشيرية في التصوف للإمام أبي القاسم: عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى ٤٥٦. كشف الضنون، ج ١، ص ٨٨٢. عوارف المعارف في التصوف للشيخ شهاب الدين أبي حفص: عمر بن

شعر عمر بن الفارض ويبدو أن هذه الكتب الصوفية تركت أثرا كبيرا على توجهه الفكري ومجرى حياته بالإضافة إلى البيئة المحلية بحضرموت المتشبعة بالاعتقادات والأفكار الصوفية، فهيأت لديه الاستجابة لتقبل وسلوك هذا الطريق حتى أصبح علما مهما من أعلامه البارزين في القرن العاشر الهجري(١).

ثالثاً: تصوفه:

اشتهر الشيخ عمر بامخرمة في بداية حياته الفقهية بالقسوة والشدة والصلابة حيث نراه ينكر على أحد أبرز شيوخ ذلك العصر وهو الشيخ عبدالرحمن باهرمز الذي رويت عنه الكثير من الأحوال الغريبة فحاول أكثر من مرة قصده لينكر عليه ما يفعل، لكنه يعدل في اللحظة الأخيرة وفي إحدى المرات من عام ٩١٣هـ قصد هينن حيث الشيخ باهرمز لكنه عاد منها بعد أن أصبح أجل شيوخه وتلقى علوم التصوف عليه، وقد روى تلك الحادثة المؤرخ عبدالقادر العيدروس في النور السافر و أوضح مسلك الشيخ بامخرمة قبل أن يلتقي بشيخه باهرمز حيث يقول: (وكان الفقيه عمر بامخرمة على طريقة الفقهاء فسمع بذلك فقصد الإنكار على الشيخ ومنعه من تلك الأعمال فسافر من بلده إليه بهذه النية فلما وصل إلى أثناء الطريق بدا له أن يرجع فرجع إلى بلده، ثم سمع عنه أيضا أمثال هذه الأشياء التي ظاهرها مخالفة للشرع فما أمكنه الصبر عن ذلك فسار إليه ثانيا ودخل عليه فلما وقع بصره على الشيخ كاشفه وقال له عمر عاد وقتك ما جاء، فرجع كذلك إلى بلده وامتثل ولم يحصل منه إنكار على الشيخ، ثم سار إليه ثالثا وقبل أن ينكر عليه كاشفه وأصبح من أخص تلاميذه)(٢) وانكب بعدها على قراءة كتب التصوف وأشعار ابن الفارض وكان لهما من التأثير في حياته مالهما، و يعود سر ذلك التغير إلى الشيخ باهرمز حيث استحالت بعد ذلك حياته من خشونة

محمد بن عبد الله السهروردي المتوفى: سنة ٦٣٢، كشف الضنون =، ج ٢، ص ١١٧٧. إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام أبي حامد: محمد بن محمد الغزالي الشافعي المتوفى: بطوس سنة ٥٠٥، كشف الضنون، ج ١، ص ١ . وتعد هذه الكتب من أجل كتب المواعظ وأعظمها، وقد شغف بمطالعتها صوفية حضرموت ورغّبوا في قراءتها واقتنائها.

(١) بن عقيل، بامخرمة حياته تصوفه شعره، ص ٩٨.

(٢) العيدروس، النور السافر، مصدر سابق، ص ٣٣

الفقه إلى نعومة التصوف حتى أصبح شديد الإنكار على المشددين على الناس [١]، وتمثلت بعد ذلك ثقافة بامخرمة الروحية في سنة الرسول القولية والفعلية وتلاوة القرآن الذي هو سبيل وباب جنات الرحمن، ويرى إن كان هناك أمر زايد في العلم فهو في عوارف المعارف وفي إحياء علوم الدين أو في الرسالة القشيرية حيث يقول مصرحا عن منهله العقائدي:

واعلم أن دربي الداير على أرباع حصني
سنة المصطفى ذي خص بالقرب وادني
واتل ما أنزل عليه اجعله لك شد ركني
وان دعا داعي أو ساعي من إنس وجني
حال عن ذي الطرق أو شفت حد با يثني
بأمر زايد على ما قلت قل ما أنت مني
غير في السهروردي إذا قلت زدني
وأبصر إحياء علوم الدين خذه ارو عني
والقشيري وحسبي علم ذولا اللدني[٢]

لقد أوضح بامخرمة في هذا المقطع منهله العلمي الذي يستقي منه علم التصوف أو العلم اللدني الغيبي على حد تعبيره.

وكان الشيخ عمر بامخرمة يذوق في السماع مالا يذوق في غيره ولذا كان لا يفتر عنه غير ملتفت إلى نقد الفقهاء في إسرافه السماعي، وقد قصد تريم في إحدى المرات زائرا ضرائحها في حشد كبير من مريديه وتلاميذه ودخلها والسماع يصخب بين يديه، فلم يحتمل الشيخ حسين بن عبدالله بن عبدالرحمن بافضل انتهاك حرمة تريم والجلبة في شوارعها ومقابرها فيقصده للإنكار عليه في ثورة المغيض المحنق ودخل عليه والسماع يهز المكان، فلم يتمالك نفسه وصار يصفق على توقيعات السماع [٣]، فانشأ الشيخ عمر بامخرمة - على البديهة - قصيدة يقول في مطلعها:

---

(١) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣١.
(٢) بن عقيل، بامخرمة، مصدر سابق، ص ٩٩.
(٣) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١ ص ١٣١ ـ ١٣٢

حسين هبت نسيم القرب بعد المدى سرت من النجد فان للنجد و أهله فدى[1]

لقد كان الشيخ عمر بامخرمة متصوفا الى درجة بعيدة كيف لا وقد تلقى ذلك على كبار علماء التصوف، وصار بعد ذلك علما من أعلامه وشق لنفسه دربا خاصا كثيرا ما كان يورده نقد العلماء، لكنه ظل مدافعا عنه مستميتا في سبيله.

رابعاً: شعره:

امتاز الشيخ عمر بامخرمة بعذوبة و كثرة أشعاره وتناقلها داخل حضرموت وخارجها ولا زال الكثير من تلك الأشعار ينشدها الحداة في مجالس أهل التصوف وترد على ألسنة الدعاة والواعظين لأنها سهلة الانسياب غزيرة المعاني.

يقول العلامة ابن عبيداللاه السقاف عنها: أما أشعار الشيخ عمر بامخرمة فألذ من الوصال، وأحلى من السلسال، وفيها فراسات صادقة عن أمور متأخرة كما يعرف ذلك بالاستقراء [2]، أما الأديب عبدالله السقاف صاحب معجم تاريخ الشعراء يقول: شعره الحميني قد تجاوز الكثرة إلى الإسراف ومعلوم أن شعره ذائع الانتشار في كافة الأقطار ويقول كثير من العارفين إن فيه كثير من علوم الكشف، وفي النور السافر إن شعره مشتمل على كثيرًا من إشارات الصوفية و اصطلاحاتهم ومسائلهم الدقيقة وعليه حلاوة وفيه طلاوة، وقد انتشر شعره خارج حضرموت فقد كان شيخنا العلامة محمد بن يوسف الخياط (ت ١٣٣٣هـ) من المولعين بكلام الشيخ عمر وفي دروسه بالحرم وغيرها كثيرا ما ينشد قوله:

دورت في قشاشي لقيت فيه ماشي
آويت إلى فراش طالبك شي بلا شي
ما أنا من أهل بي لي كلا ولا سبيلي
في الحط والرحيل جد لي بشي بلا شي[3]

(١) أبن عبيد الله، إدام القوت مصدر سابق، ص ٤٥٨.
(٢) إبن عبيد الله، إدام القوت مصدر سابق ص ٦٨٥.
(٣) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١ ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

اعتناء أهل التصوف في حضرموت بشعره:

لقي شعر الشيخ عمر بامخرمة إقبالا كبيرا من رجال التصوف في حضرموت، حيث إن السادة العلويين لهم شغف عظيم به ويجدون فيه طعما لا يجدونه في غيره حتى إن لهم عناية خاصة به وشرح الغامض منه، ويقول المحبي في خلاصة الأثر إن العلامة عبدالرحمن بن علي باحسن شديد العناية بشعر الشيخ عمر حتى جمع منه أجزاء رتبها على حروف المعجم، وللعلامة عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس ثلاثة شروح على هذين البيتين فقط التي يقول الرواة بأنها من آخر شعره وقد ارتجلها في شبام سنة ٩٥٢هـ ولم يعش بعدها سوى ستة وأربعين يومًا:

أعط المعية حقها ... وألزم له حسن الأدب

واعلم بأنك عبده ... في كل حال وهو رب

وشروح العيدروس هي إرشاد اللوذعية على بيتي المعية، والثاني إتحاف الألمعية في تحقيق معنى المعية، والثالث النفحة الإلهية في تحقيق معنى المعية [1].

خامسًا: مؤلفاته و آثاره العلمية:

للشيخ عمر بامخرمة عدة مؤلفات ما زالت مخطوطة منها الوارد القدسي في شرح آية الكرسي، وشرح أسماء الله الحسنى، والمطلب اليسير من السالك الفقير [2]، ومجموعة من الوصايا والرسائل وديوان شعر مخطوط نظمه بالشعر (الحميني)، وقد عرف ديوانه الهجرة منذ وقت مبكر بمعية المهاجرين الحضارمة صوب مهاجرهم في شرق آسيا فكان المنهل الذي يغترفون منه والزاد الروحي في غربتهم، وفي الواقع أن ديوان بامخرمة سفر رائع في الشعر الصوفي ومرآة عاكسة لحياة هذا الشيخ وأفكاره عبر فيه عن خواطره وعواطفه الجياشة ومذهبه الصوفي الذي يقوم على آراء الحب الإلهي، ومن أهم الأسباب التي أبقت على شعر بامخرمة طيلة الحقب الماضية هي القوة الفنية الزاخرة للإبداع الشعري ولغته الخاصة المتميزة وتطويعه للهجة الحضرمية لتستوعب الفكر الصوفي بما يحمله من غموض

(١) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٥.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج ٥، ص ٥٣. السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١ ص ١٣٢. كحالة، معجم المؤلفين، ج٧، ص ٢٩٣.

ورموز مبهمة، بالإضافة الى تسابق المنشدين في حواضر المدن الحضرمية على إلقاء قصائد بامخرمة في مجالس السماع، إذ تجد تلك القصائد عند الجميع الارتياح والصدى الطيب[1].

سادساً: وفاته:

استقر الشيخ عمر بامخرمة آخر أيامه في سيئون مع ما في قلبه من حنين إلى هينن موطنه الروحي وموطن شيوخه، وتوفي في سيئون في العشرين من ذي القعدة سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م[2] عن عمر يناهز الثامنة والستين عاما وبني على قبره مزار مسطح يؤمه الزائرون [3]، وبعد وفاته بحين بنى أهل هينن مسجدا فيها يحمل اسمه، ولما بلغ نعيه ابنه الشيخ عبدالله في عدن رثاه بقصيدة يقول في مطلعها:

إيـش ذا العلـم ذي جـاء بالنكـد و التعـكاس
وأحـرق القلـب حتـى كأن القلـب مقبـاس
والعيـون أسـبلت بالدمـع والكبـد تمتـاس [4]

المطلب الثاني: الشيخ معروف باجمال

أولاً: النسب و الميلاد و النشأة:

هو الشيخ معروف بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أحمد مؤذن بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن إبراهيم باجمال الكندي، وكنيته أبو محمد [5].

وينتسب آل باجمال الى أحمد بن إبراهيم ويرجعون في نسبهم إلى ثور بن مرتع الكندي ملك حضرموت، وقد كانت ولاية مدينة بور عند آل باجمال منتصف القرن السابع الهجري ثم اشتعلت حرب بينهم وبين قبيلة آل بانجار ولاة سيئون وكانت نهايتها استيلاء آل بانجار على بور ورحل آل باجمال إلى مدينة شبام، وفي دوران الأيام وضعفهم الحربي أدارتهم الظروف إلى مشائخ علم وصلاح ومسكنة متناسين حمل السلاح حتى كأنهم لم يكونوا من

---

(١) بن عقيل، بامخرمة حياته تصوفه شعره، مصدر سابق. ص ١١١-١١٢.
(٢) ابن حميد سالم بن محمد، تاريخ حضرموت العدة المفيدة، ج ١، ص ١٩٧.
(٣) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٣.
(٤) بن عقيل، بامخرمة حياته تصوفه شعره، مصدر سابق. ص ١٦٤.
(٥) باجمال محمد عبدالرحمن، مواهب البر الرؤوف عن مناقب الشيخ معروف، مخطوط، ص ٦٦.

أهله [١]، وظهر من بينهم الكثير من رجال العلم والصلاح الذين ساهموا بأدوار فاعلة في الحياة العلمية والثقافية في حضرموت، ويروى عن السيد شهاب الدين عبدالرحمن بن علوي أن لآل باجمال نسبا في الخليفة أبي بكر الصديق من جهة بعض نسائه [٢]، وكانت منازلهم في الجاهلية في ريدة الصيعر وفي جبال شبوة ومدينة دمون الغزة ثم تفرقوا بعد الإسلام على بلدان حضرموت وهم من بني جبلة بن عدي بطن معاوية الأكرمين [٣].

ولد الشيخ معروف بمدينة شبام في ليلة ١١ رمضان سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م، وقد تربى تحت رعاية أبيه وهو الصوفي الكبير الذي كان من العلماء العاملين والأولياء العارفين عديم النظر في وقته لطيفا متواضعا مع عامة أهل بلده مشاركا لهم في أفراحهم وأحزانهم، خط بيده الكثير من المصاحف والمقدمات وجمع فتاوى مشائخ عصره ومصنفاتهم كالفقيه عبدالله بلحاج بافضل والفقيه عبدالله بن أحمد بامخرمة والفقيه عبدالله باعبسين والفقيه محمد عمر بحرق والفقيه عبدالرحمن بن مزروع وقرأ جميعها عليهم، وكان كثير التنقل إلى الشحر، وكان له القبول التام عند السلطان عبدالله بن جعفر (والد السلطان بدر أبي طويرق) وكان لا يرد له شفاعة وكان كثير المحبة له، وقد كانت وفاة الشيخ عبدالله في السابع من رمضان سنة ٩٤٤هـ ودفن بمقبرة شبام. أما أمه فهي المرأة الصالحة أسماء بنت محمد بن عمر بن عبدالله زيدان باجمال وكانت من النساء الصالحات العارفات ذات حال ومعروف مع الله [٤].

وفي تلك البيئة الإيمانية عاش الشيخ معروف مكبا على العلوم والمعرفة، قرأ القرآن وحفظه في مدة قصيرة، وقد كان منذ صباه ناسكا متعبدا يصوم السنين العديدة صيفا وشتاءً، يهجر النوم متهجدا لله وكان والده يصطحبه معه إلى الشحر أيام تجارته، ولم يكنف من خدمة مجتمعه فقد كان يستقي لهم من آبار شبام ماشيا بالقربة على كتفه في الشوارع مع ما لأبيه من اتساعٍ مالي ومظهر وجاه عظيم ومكانة كبيرة [٥].

(١) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١ ص ١٤٧ و ١٤٨.
(٢) باجمال، مواهب البر الرؤوف، مصدر سابق، ص ٦٦
(٣) ابن جندان سالم بن أحمد، الدر والياقوت، دار المأمون، دمشق، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٢٥٠.
(٤) باجمال محمد بن عبدالرحمن، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، تحقيق محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، ط ١، ٢٠٠٨ م، ص ص ٧٧ و ٧٨ و ٧٩.
(٥) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١ ص ١٤٨.

ثانياً: صفاته:

كان الشيخ معروف معتدل القامة عظيم الهامة صبيح الوجه عظيم المهابة.

ثالثاً: أبرز شيوخه وثناؤهم عليه:

اتصل الشيخ معروف باجمال بالعديد من الشيوخ الذين تلقى عليهم العلوم المختلفة ولعل أبرزهم والده الشيخ الجليل ذا الشهرة الواسعة، كذلك الشيخ عبدالرحمن بن عمر باهرمز (الأخضر) وكان يذهب إليه كل صباح إلى هينن حيث يسكن الشيخ ويعود إلى أهله في شبام في المساء، فأشفق عليه الشيخ عبدالرحمن وأمره أن يبقى في شبام متتلمذا على ابن أخيه الشيخ إبراهيم بن عبدالله باهرمز الذي أصبح من أجل شيوخ الشيخ معروف، ولما بلغ الشيخ معروف ٣٥ سنة أمره شيخه إبراهيم بن عبدالله بالجلوس لدعوة الخلق إلى الله وسماه شيخا وقال لأصحابه عليكم بهذا الشيخ، وكان ذلك في مسجد الخوقة بشبام [١] في ١٧ رمضان سنة ٩٢٨هـ/ ١٥٢٣م، وأخذ كذلك على العديد من علماء تلك الفترة من أمثال الشيخ محمد بن عمر باجمال، والشيخ أحمد بن سهل بن إسحاق والشيخ عبدالله بلحاج وابنيه أحمد وحسين، والشيخ شهاب الدين بن عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر علوي الذي قال فيه: إن الشيخ معروف أمة وحده وآية من آيات الله، والشيخ أحمد بن الحسين العيدروس وقال فيه: الشيخ معروف بحر زاخر لا يعبر عنه ولا يعرفه إلا مولاه، كذلك الفقيه عمر بامخرمة الذي قال إن القطب الشيخ معروف [٢].

رابعاً: تلاميذ الشيخ معروف ومريدوه:

طارت شهرة الشيخ معروف باجمال فقصده الناس للتتلمذ عليه والتبرك به حتى بلغ عدد تلاميذه في أحد الأوقات نحو مائة مريد وهم من الخواص الذين لا يخرجون عن أمره، وكان ترتيب الشيخ معروف في تقسيم تلامذته على ثلاثة أقسام:

الدرجة الأولى من المريدين وظيفتهم العلم بالله وكتب الحقائق

---

(١) مسجد الخوقة من المساجد القديمة بشام كان قديما مقرا للإباضية وفي سنة ٥٩١هـ أزيلت من المسجد. شنبل، ص ٥٦.

(٢) باجمال، مواهب البر الرؤوف، مصدر سابق، ص ص ٦٨ ـ ٧٠.

الدرجة الثانية من المريدين وظيفتهم نشر العلوم الشرعية قراءة وإقراءً وتحصيل كتبها، مع مطالعة كتب الرقائق وسماع مذاكرات الشيخ أحيانا.

الدرجة الثالثة من المريدين -وهي درجة عامتهم- وظيفتهم الاعتناء بما يخص أمر دينهم ودنياهم من العبادات والمعاملات.

وكان لهؤلاء جميعًا بيت يأوون إليه معظم أوقاتهم و يعتكفون في مسجدهم ولا يخرجون إلا لنفقة أو حاجة، وكان لبعضهم مجاهدات بالصيام لأيام متواصلة، ووضع لهم الشيخ معروف مجموعة من الوصايا أشبه ما تكون ببرنامج يومي ينتهجه طلابه.

ويعد الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي من خواص طلابه حيث كان يمتدحه ويشير إلى نبوغه وتفوقه على أقرانه، وكذلك كان الشيخ أبو بكر كثيرَ الذكر للشيخ معروف ويعده من أجل شيوخه [(١)].

ومن أشهر تلاميذ الشيخ معروف كذلك الشيخ علي بن علي بايزيد والشيخ حسين بن عبدالله بافضل والشيخ عمر بن محمد باذيب وأخوه أبو بكر والشيخ محمد بن عمر باجمال والشيخ سالم بن محمود الجازاني والشيخ علي الهيني الصعدي والشيخ حسين بن عبدالله بلحاج، ومجموعة كثيرة من الأسماء التي أصبحت محل نفع في أوطانها بعد ذلك[(٢)].

وامتدحه الكثير من الشعراء منهم الأديب عبدالله بن محمد باحفين حيث قال:

معروف هو معروف كرخ زمانه وبلا جدال شبامه بغدادها
بث الرواتب في الأماكن كلها فتلامذته نراهم عبادها
هو قطبها وعليه دائر أمرها والتابعون لهم أوتادها

ومدحه الفاضل الأديب سالم بن محمود الجازاني التهامي بقصيدة عدتها ٥٣ بيتا منها:

يا لايمي في هوى ليلى وعشقتها كف الملام فلي قلب أصم عمي
متى أردت صدودي أو مها جرتي ناديت معروف صوتا واحدا بفمي
قطب الوجود وبحر الجود مغرسه ومعدن السر والأحكام والحكم

---

(١) الحبشي أحمد بن زين، شرح العينية، مطبعة كرجاي، سنغافورة، ط١، ١٩٨٧، ص ٢٣٤

(٢) المشهور أبو بكر العدني، الشيخ معروف باجمال، ط ١، عدن، ٢٠٠٢م، ص ٣٣ ص ٣٤.

وقال بعد أن أخذ عنه:

إن ابن عبدالله قطب زمانه — في عصره حقا برغم الحسد
من كان جاحد فضله أو سره — فالشمس عند طلوعها لم تجحد
أما شبام فقد زهت وتألقت — أنوارها بالسيد ابن السيد[١]

خامساً: مآثره:

قام الشيخ معروف بتعمير مسجد المقدشي بشبام الذي بني في سنة ٦٣٦هـ ثم أعيد ترميمه سنة ٧٩٩هـ [٢]، ثم تهدم وصار خرابا وقام الشيخ معروف بترميمه وعمره عمارة تامة سنة ٩٣٦هـ و أحدث فيه البرك وبنى عنده سقاية [٣]، وأصبح يعرف بمسجد معروف الطالعي تمييزا عن مسجد معروف الهابطي الواقع خارج سور شبام [٤].

بنى الشيخ معروف كذلك مسجدا آخر خارج سور شبام من الجهة الغربية ليكون مقصدا لعابري السبيل والمزارعين الذين تنتشر بساتينهم حول المدينة، لكنه مع مرور السنين تعرض للخراب، وفي سنة ١١٢١هـ قام الإمام أحمد بن زين الحبشي بإظهاره حيث كان مدفونا بالطين و تمت عمارة الأجزاء المهدمة منه [٥] و لا يزال معمور إلى يومنا هذا ويسمى مسجد معروف الهابطي.

سادساً: وفاته:

استقر الشيخ معروف بعد أن نفي من شبام في بضه بدوعن عاصمة الإمارة العمودية في رحاب تلميذه الشيخ عثمان بن أحمد العمودي، وقد أحيا الله به دوعن علما وتصوفا، حتى وافاه الأجل في ٥ صفر ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م [٦].

---

(١) باجمال، مواهب البر الرؤوف، مصدر سابق، ص ٧٠.
(٢) شنبل، مصدر سابق، ص ١٥٣.
(٣) باجمال، مواهب البر الرؤوف، مصدر سابق، ص ٧٠
(٤) تعليقات المحقق في إدام القوت، مصدر سابق، ص ٥٠٩.
(٥) الحبشي، شرح العينية، مصدر سابق، ص ص ٢٣٤، ٢٣٥.
(٦) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥١.

المبحث الثاني: الشيخ عمر بامخرمة والشيخ معروف باجمال

مواقفهم السياسية وعلاقتهم بالسلطان بدر أبي طويرق

المطلب الأول: علاقة الشيخ عمر بامخرمة بالسلطان بدر أبي طويرق:

تعود صلة الشيخ عمر بامخرمة بالسلاطين الكثيريين إلى فترة سابقة لعهد السلطان بدر أبي طويرق، حيث إننا نجد له عددًا من المقطوعات الشعرية يمتدح فيها السلطان عبدالله بن جعفر الكثيري (والد السلطان أبي طويرق)، ففي قصيدة مطولة يمتدحه فيها ويستنهضه في الاستيلاء على تريم حيث يقول:

الماجد الملك المظفر خير من ... يدعى إلى الخطب المهول المعضل
رب الفصاحة والسماحة والندى ... غوث البرايا في الزمان الممحل
مولى ملوك الأرض عبدالله لا ... زالت به عنا الشدائد تنجلي

ويقول:

وتقود نحو تريم كل غضنفر ... يسطو كليث في الحديد مسربل
نبغي عليها كل يوم غارة ... شعوا يذوب لها صميم الجندل
يمسون أسرى بعد قتل سراتهم ... ونطا على هاماتهم بالأرجل
تدهوهم شعث النواصي فوقها ... أولاد جعفر الكرام المفضل
ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... وأخيرهم ينسيك فضل الأول

يتضح من خلال المقطوعات السابقة مدى الولاء الذي يكنه الشيخ عمر بامخرمة للسلطان عبدالله بن جعفر، ولم يكن ذلك الولاء خافيا بل يظهره من خلال مدائحه وأشعاره، ومن المستغرب أن يستعمل ذلك الشيخ ألفاظا تكاد تكون وحشية مثل (قتل سراتهم - نطا على هاماتهم)، لكن ذلك الاستغراب يزول عندما يخبرنا صاحب تاريخ الشعراء أن تلك القصائد قالها الشيخ عمر بامخرمة قبل تصوفه [(١)].

عاش السلطان عبدالله بن جعفر محبا للصالحين قريبا منهم يستشيرهم في أموره وتوفي في سنة ٩١٠هـ، وعند تتبعنا لسيرة حياته نجد أن له مواقف طيبة مع عدد من علماء حضرموت،

(١) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٨ ص ١٣٩.

وخلفه في الحكم ابنه محمد الذي لم تخبرنا المصادر عن مدى علاقته بالشيخ عمر بامخرمة، لكن بعد أن تولى السلطان بدر أبو طويرق مقاليد الحكم في حضرموت نشأت بين السلطان بدر والفقيه عمر بامخرمة علاقة ودية قوية في بادي الأمر حيث كان الفقيه عمر من مؤيدي سياسة السلطان بدر في صد الهجمات البرتغالية المتكررة على الشحر(١) حيث كانت سواحل حضرموت تتعرض لغارات القراصنة البرتغاليين المتتالية الذين كانت سفنهم تجوب البحر العربي والمحيط الهندي تحركها نوايا استعمارية وبأساليب القراصنة كانوا يعيثون نهبا وسلبا في البحر والبر، وكانت أخبارهم تصل السلطان أبا طويرق في وادي حضرموت، وأمام هذه التطورات الخطيرة والمقلقة التي عاصرها الشيخ عمر بامخرمة نجده يطلق صيحات الحذر والاستغاثة ويحمل حجاج بيت الله في مكة وزوار الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - رسائل شعرية يصف الحد الذي وصلت إليه الأمور يقول:

زايرين إن بلغتوا منتهى كل مقصد
أو وردتوا على الزرقا مع من أورد
قبلوا قاع مستها مداحق محمد
وأبلغوا عني النور الذي غار وأنجد
في جميع النواحي قولوا إن البلاء اشتد
استباح الفرنجي الحرث والنسل وأفسد
والمناصر خلص والمسلم الواهي ارتد
والذي ينصر الله صدق ماعاد يوجد

كان لوقع هذه القصيدة في نفس السلطان بدر أثر بالغ ولعلها الدافع له في الاستعداد وإعلان التعبئة ضد البرتغاليين وحتى لا تكون صفة المنافق الواهي وصاحب الوجه الأسود المقصر في الجهاد في سبيل الدين والوطن(٢). وربما كان أثر القصيدة عند السلطان أبي طويرق سلبي بفهمه أن الفقيه بامخرمة يعرض به في أبياته التي أرسلها مع الحجاج، وأنه هو المعني بالمنافق والمسلم الواهي الذي ترك الكفار يستبيحون البنادر.

(١) العامري، السلطان بدر أبو طويرق، مصدر سابق، ص ٨٧.
(٢) بن عقيل، بامخرمة حياته تصوفه شعره، مصدر سابق، ١٢٤.

في غرة رمضان سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٠م نودي للنفير العام للجهاد في الشحر ودارت في ذلك الشهر العظيم أهم المعارك الحربية والبرية في تاريخ حضرموت، ومن حسن طالع الشحر أن السلطان بدر كان مقيما فيها بجيشه، وأشرف هذا العسكري المحنك على سير المعركة،حيث هزم البرتغاليين وولت سفنهم هاربة في عرض البحر وتم أسر أكثر من سبعين رجلا منهم[١]، تناقلت الأخبار صدى هذا الانتصار في هذه المعركة فكان لها الأثر الطيب، وعززت من مكانة وهيبة بدر وثقة الناس فيه، ومنهم الشيخ عمر بامخرمة الذي وصلت الأخبار إليه وهو بهينن فاستبشر خيرا بهذا النصر والجهاد وقال:

الله نصر الإسلام بك يا بدر يا عالي المنار
يا تاج رأس الملك يا من صيته استعلى وطار
هو ذا حسابي فيك يا ذي به أمثالك يشار

وقد تمنى الشيخ مرافقة الجيش وتلبية نداء الجهاد:

يا ريتنا سايرت في مسراك يا بدر القطار
با حمل لك الراية وباكثر سواد أهل المغار

وقد آلت بعد ذلك القوة والنفوذ في حضرموت إلى السلطان بدر، وبلغ به الطموح إلى توسيع حدود مملكته، وكان الشيخ عمر بامخرمة أيد سياسة السلطان بدر أبي طويرق في توسيع رقعة دولته وحثه على ذلك في قصائد عديدة منها القصيدة التي أرسلها إليه يدعوه فيها إلى توسيع مملكته ويستنهضه بضم أرض العوالق و ميفعة التي كان يحكمها ابن سدة حيث يقول:

بدر ذي وسع الله له بهمته وحده
لي بسيفه ملك مابين حاسك وصعده
قل لبدر بن عبدالله إذا جيت عنده
قل له إنا نبا المغدا إذا قصدوك إغده
سرونا سير والعسكر على شب وقده
حجر في شهرنا والعولقي وابن سدة[٢]

(١) ابن حميد، العدة المفيدة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٨١.
(٢) بن عقيل، بامخرمة حياته تصوفه شعره، مصدر سابق ١٢٧. العامري، السلطان بدر أبو طويرق، مصدر سابق، ص ٨٧.

لكن تلك العلاقة الجيدة ما لبثت أن ساءت بينهما نتيجة لوصول طموح السلطان بدر إلى منطقة الهجرين - بلدة الفقيه عمر بامخرمة - وتدخلاته في الشئون الداخلية، والمعروف عن السلطان بدر قيامه في حالة الانتصار على القبائل التي تقاومه بتهجيرها من ديارها ومواطنها تحت مسمى (سياسة التزويل) ومصادرة أراضيها الزراعية ووهب الحصون والأراضي لأعوانه من كبار العسكر، وقد غيرت هذه السياسة التوزيع الديمغرافي في حضرموت، إذ استوطنت حضرموت في القرن العاشر الهجري مجاميع من القبائل التي تنتمي إلى غرب اليمن[1]، ويبدو أن الفقيه بامخرمة معارض لتلك السياسة، وبذلك نشأت الفرقة بينهما فالفقيه بامخرمة يريد إبقاء منطقة الهجرين بعيدة عن سلطة الدولة الكثيرية في حين كان السلطان يصر على إخضاعها لسلطته المباشرة [2] وبرز الفقيه بامخرمة كزعيم وطني يعارض استعمار وطنه ويناهض سياسة الدولة المحتلة[3].

لكن عند النظر إلى تأييد الفقيه بامخرمة السابق للسلطان بدر لتوسيع حدود مملكته إلى أرض العوالق و شبوة، نجد أن هذا السبب (إبقاء منطقة الهجرين بعيدة عن سلطة الدولة الكثيرية) غير مقنع بدرجة كبيرة، فهل يرضى الفقيه بامخرمة لدولة السلطان أن تتوسع ثم يصر على إبقاء بلدته خارج حدود الدولة، كيف وهو قد وصف السلطان بدر بالعدل فلا يعقل أنه لا يريد أن يعم بلدته عدل السلطان، فلربما كان هناك سبب آخر هو الذي دفع بالشيخ بامخرمة للوقوف ضد سياسة السلطان بدر. وبتتبع سير الحوادث نجد أن الخلاف بينهما قد برز في العلن وأصبح الفقيه يعارض السلطان في مجالسه.

من المرجح أن تكون تصرفات السلطان بدر أبي طويرق ومعاملته القاسية لخصومه وبطشه بمعارضيه هي الدافع للشيخ عمر بامخرمة لانتقاد تلك السياسة حيث أصبح أبو طويرق سلطان حضرموت الأول بيده المال والقوة ويقود الجيش ذا التسليح الحديث بالبندقيات، فأخذ السلطان يرى أنه يستطيع أن يعمل ما يحلو له، لكن الشيخ بامخرمة رأى أن من واجبه الديني انتقاد تلك الأعمال وإيقافها.

---

(١) بن عقيل، بامخرمة حياته تصوفه شعره، مصدر سابق، ص ١٥٠.

(٢) ابن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، مصدر سابق، ص ٥١.

(٣) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٣٢.

وكان الفقيه عمر يرى أن الحكم بدأ يفقد روح العدالة وأن الجور والفساد قد عم وأطبق حيث قال:

يالذي بيده الضراء ومنه المنافع
نفس الضيق فإنه ضاق بي كل واسع
جور حكام ماله غير قدرتك رادع
فانتقم يا شديد البطش وأعجل وسارع
من ولاة الفساد أنزل عليهم صواقع [(١)]

وتروي كتب التاريخ أن السلطان بدر في سنة ٩٤٢هـ / ١٥٣٠م قام بقتل جماعة من الإفرنج في الشحر بعد أن عزموا على قتله فخذلهم الله تعالى، وكان هو وإياهم في بيت يشربون، وقد أغلقوا الأبواب عليه فأخبرته بعض الجواري منهم، ولم يجد له مخرجًا إلا من بيت الماء فخرج منه، وسلمه الله منهم و قتلهم، وأرسل برؤوسهم إلى السلطان سليمان العثماني [(٢)]، من ذلك يتضح أن السلطان بدر قد بدأ ربما نتيجة احتكاكه بالأسرى البرتغاليين والقادة والجنود الأتراك يعتاد على الشرب والمجاهرة بمخالفة بعض شرائع الدين، وأصبح ذلك العمل محل انتقاد الفقهاء والعلماء.

لم تكن معارضة الشيخ عمر بامخرمة للسلطان بدر أبي طويرق سرا لا يحب الإفصاح عنها، ولكن تكوين شخصية با مخرمة الانفعالية والمتمردة جعلته يجاهر بنقده لأسلوب السلطان بدر في معالجته القضايا المحلية، وإيثاره للقادة الأتراك - شاربين المسكرة - حد تعبير المؤرخين الحضارم، وتفضيل قبائل يافع والعوالق وإعطائهم مكانة متميزة في جيشه وتهميش التحالف القبلي الظنّي [(٣)]. وكانت للسلطان بدر مبررات لأفعاله تلك.

لم يطل صبر السلطان بدر بما يسمعه من الشيخ عمر بامخرمة، فقد أمر السلطان بدر الشيخ عمر بامخرمة بمرافقته في سفره إلى ظفار وهذا الإقليم كان جزءا من حضرموت وخاضعا لحكم ونفوذ آل كثير، ثم قفل السلطان بدر عائدا إلى حضرموت تاركا بامخرمة

---

(١) بن عقيل، بامخرمة حياته تصوفه شعره، مصدر سابق، ص ١٥١.

(٢) العيدروس، النور السافر، مصدر سابق، ص ١٥٢.

(٣) بن عقيل، بامخرمة، مصدر سابق، ص ١٤٩.

وراءه في إقامة جبرية، إذ طلب منه عدم مغادرة ظفار إلا بعد إذن منه [١]. ويبدو أن اصطحاب الشيخ معه للتعرف على أسرار نفسيته أكثر وليريه مدى قدرة السلطان بدر على البطش به إذا أراد، و ظفار بعيدة نسبيا من مدن وقرى وادي حضرموت ومسكن لقبائل آل كثير، فمن الصعب أن يجد الشيخ عمر قبولا في تلك المنطقة.

تحركت أشجان الشاعر المفارق لوطنه و مرابع أحبابه، فلم يطق البقاء في ظفار إذ أقام فيها فترة وجيزة وبدأ يرسل قصائده التي تصف معاناته في غربته متذكرا أيام تنقله بين سفوح ووديان حضرموت:

قال لاحول وين الكسر وأفياء ضلاله
وين هينن وراك المسحرة من صلالة
وين هي وين هي والله وحق الجلالة

بل أرسل إلى السلطان بدر وهو بالشحر يصف حاله في تلك الأرض الجرداء، ولا يمتنع عن مدحه ويصفه بأعز الموجودين والداهية الفطن، ثم ينتقل إلى طلبه في الاستئذان بالطريقة التي يراها السلطان:

قل لبدر بن عبدالله عزيز المواجيد
قل لبدر ما قط يوجد معه جيد
نجم سعدك طلع يا باقعة الأرض يا سيد

لم يطل مقام بامخرمة في ظفار كثيرا بل لحق بالسلطان بدر في الشحر، لكن الخلافات والجفوة عادت على أشدها، واتجه السلطان بدر إلى وادي حضرموت وأمر الشيخ عمر بالبقاء في الشحر محدود الإقامة فيها.

ولا نعلم لماذا اختار السلطان بدر مدينة الشحر مكانا لنفي الشيخ عمر بامخرمة، بالرغم من وجود العديد من رجال التصوف فيها، لكن ربما لان بها أشهر أمراء السلطان بدر أمثال الأمير مطران بن منصور والأمير عطيف بن دحدح.

لم تطب الإقامة للشيخ عمر بامخرمة في الشحر إذ تطاولت عليه الأيام وبعد عن أقاربه في الهجرين وشيوخه في هينن فعاد إلى استعطاف السلطان بدر في العودة إلى دياره ومنطقته

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

ومن مجاملته للسلطان:

ذول آل جعفر لأصل وأهل المعرفة ترعى الأصول
ما أنسى فضائلهم ولو بي من فعايلهم غلول

لقد عاد السلطان بدر أبو طويرق إلى هينن ليدير سلطنته وأحس بخطر وجود الشيخ عمر بامخرمة في الشحر فأمره بالقدوم إلى هينن، خوفا من افتتان الناس في الشحر به، وليكون تحت ملاحظته [1]. غير أن بامخرمة بالرغم من عودته إلى منطقته ظل عنيدا للسلطان بدر أبي طويرق فنفاه مرة ثانية وثالثة إلى مدينة الشحر، لكنه تحت تاثير الشكاوى والمجاملات سمح له بالعودة إلى منطقته هينن للأسباب الآتية:

١. خوف السلطان بدر من تأثر الناس في مدينة الشحر بأفكار معارضة لسياسته.
٢. ليكون على مقربة منه وتحت رقابته.
٣. للتخفيف من حدة الجفوة بينهما [2].

لم يكف الشيخ عمر بامخرمة بعد عودته إلى هينن عن التعرض للسلطان بدر في قصائده ومجالسه، بل قام بمدح خصومه من آل كثير وآل العمودي خاصة المتصوفين منهم إذ امتدح الشيخ عثمان بن محمد العمودي بقصيدة وأرسلها مع خادمه عوض باسكران وأمره بعدم قبول جائزة عليها:

يا عوض قل لمن كفه غياث المساكين
قل لعثمان وافي الشرع والدين
والذي في جبينه سر طه وياسين
زاده الله على مر الجديدين تمكين
اذكر العهد يا ابن احمد وحصنه تحصين [3]

والشيخ عثمان العمودي هو أحد رجال العلم والسياسة وهو الذي تلقى الشيخ معروف باجمال بعد نفيه من شبام سنة ٩٤٩هـ علي يد السلطان بدر [4]، وكان متصوفا بينه صلات

(١) بن عقيل، بامخرمة، مصدر سابق، ص ١٤٦.
(٢) العامري، السلطان بدر أبو طويرق، مصدر سابق، ص ٨٩.
(٣) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤٠.
(٤) ابن عبيد الله، إدام القوت، مصدر سابق، ص، ٣٤٠. توفي العمودي سنة ٩٦٥هـ.

مع رجال التصوف ومراسلات لكن أبو طويرق لا يشاهد إلا دولته وخشي أن تكون تلك المراسلات أمرًا يحاك ضده.

لقد اتسم تعامل السلطان بدر مع تصرفات الشيخ بامخرمة بالتسامح والترفق إلى أقصى حد، لكن بعد أن أنكر جماعة من أهل هينن على الشيخ بامخرمة نتيجة بعض التصرفات التي يقوم بها، استغل السلطان بدر ذلك الشعور ضد بامخرمة فوضعه تحت الإقامة الجبرية بسيئون حتى وفاته في ٢٠ من ذي القعدة سنة ٩٥٢هـ/ ١٥٤٥م [١].

حاول الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة التوفيق بين أبيه الشيخ عمر والسلطان بدر ولكنه لم يفلح، وفي نهاية المطاف فضل الرحيل إلى عدن ليستقر فيها، ولعل وقوفه إلى جانب السلطان بدر ساهم في الاستشفاع لتجاوزات وجرأة أبيه في نظم القصائد المعارضة لسياسة السلطان، وتذكر المراجع اختلافه مع أبيه في إحدى المسائل الفقهية[٢]، ومن شعره بعد أن استقر بعدن:

فـو الله ارضي مـا تركتهـا عـن قـلى
ولكـن لعجـزي عـن حقـوق لـوازم
و مـا العـذر لي إن كنـت عنـد قرابـة
يرجـون نفعـي مـن فقـير وغانـم[٣]

المبحث الثاني: علاقة الشيخ معروف باجمال بالسلطان بدر أبي طويرق:

يذكر الفقيه المؤرخ محمد بن عبدالرحمن بن سراج في كتابه المخطوط مواهب البر الرؤوف بمناقب الشيخ معروف، عن آل باجمال أنهم بيت علم وصلاح لهم من شرف النسب وكرم التقوى الحظ الأوفر لم تزل رفعتهم وعظمتهم واحترامهم عند السلاطين والملوك وكافة الناس أشهر من الشمس في رابعة النهار، وقد كثر فيهم العلماء وأهل الصلاح [٤].

تعود صلة آل باجمال بالسياسة والسلطة إلى منتصف القرن السابع عندما كانوا ولاة على

(١) ابن حميد، العدة المفيدة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٩٧. العامري، السلطان بدر أبو طويرق، مصدر سابق، ص ٩٠.

(٢) بن عقيل، بامخرمة، مصدر سابق، ص ١٣٣.

(٣) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٦١.

(٤) باجمال، محمد، مواهب البر الرؤوف، مصدر سابق، ص ٦٦.

منطقة بور [١] لكن صراع القبائل على التمدد في حضرموت امتد إلى بور فاشتعلت بينهم وبين آل بانجار ولاة سيئون حروب عدة، كانت نهايتها استيلاء آل بانجار على منطقة بور وجلاء آل باجمال إلى مدينة شبام، وفي دوران الأيام وضعفهم الحربي، أدارتهم الظروف إلى مشائخ علم وصلاح متناسين حمل السلاح حتى كأنهم لم يكونوا من أهله[٢].

تذكر المراجع التاريخية أن الشيخ عبدالله بن محمد باجمال (والد الشيخ معروف) كان على اتصال وثيق بالسلطان عبدالله بن جعفر الكثيري[٣] (والد السلطان بدر أبي طويرق)، وكان للشيخ عبدالله القبول التام عند السلطان المذكور، وكان مع كثرة شفاعاته عنده والتوسط في قضاء حوائج المسلمين لا يرد له شفاعة ولا يلقي شيئا من كتاباته وأقواله بغفلة ولا إضاعة، وكان كثير المحبة وحسن الظن به ويستشيره في معظم أموره، حتى أنه مات و رأسه في حجر الشيخ عبدالله باجمال [٤].

توفي السلطان عبدالله وتوفي الشيخ عبدالله باجمال بعد ذلك، وانتهى ذلك الود الذي كان بينهما، وآلت السلطة إلى أولاد السلطان عبدالله بن جعفر (محمد و بدر)، وفي المقابل بدأ يبرز الشيخ معروف كأحد رجال العلم والتصوف، لكن ذلك الود لم يستمر بين الأبناء فظهر الجفاء واشتد الخصام و أوقد الحساد والوشاة النار بينهم.

في إطار الجهود التي قام بها السلطان بدر أبو طويرق لتوحيد الأرض الحضرمية كان من أهم الأعمال التي قام بها سيطرته على مدينة شبام وذلك سنة ٩٢٧هـ، إذ تحرك من الشحر ترافقه قوة عثمانية بقيادة رجب العثماني قاصدا شبام بهدف انتزاعها من آل محمد بن بدر الكثيري الذين استقلوا بالسلطة فيها [٥]، وعندما رفض هؤلاء الإنذار والنصح هجم على المدينة ولم يستغرق الهجوم عليها أكثر من ليلة تمكن خلالها من إلقاء القبض على آل محمد بن بدر الكثيري وبذلك فرض السلطان بدر سيطرته على مدينة شبام [٦].

(١) مدينة عامرة بين تريم و سيئون.

(٢) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٤٧.

(٣) تولى سلطنة حضرموت سنة ٨٩٤هـ اتصف بالعدل ونصرة السنة كان قريباً من العلماء توفي بالشحر سنة ٩١٠هـ. بن هاشم تاريخ الدولة الكثيرية، ص ٤٨.

(٤) باجمال محمد، الدر الفاخر، مصدر سابق، ص ٧٨.

(٥) ابن حميد، العدة المفيدة، مصدر سابق، ج ١، ص ١٦٤.

(٦) العامري، السلطان بدر أبو طويرق، مصدر سابق، ص ٤٩.

كان الشيخ معروف في ذلك العام ما يزال تلميذا عند شيخه إبراهيم باهرمز، وفي السنة التالية ٩٢٨هـ أضفى عليه شيخه لقب الشيخ و أمره بالجلوس في مسجد الخوقة بشبام للتدريس ونشر العلم وقال لأصحابه عليكم بهذا الشيخ، وكان عمره آنذاك خمسًا وثلاثين سنة.

خرج الشيخ معروف باجمال من شبام عدة مرات للدعوة ونشر العلم، منها أنه خرج إلى السور [(١)] وهي منطقة بالكسر على بعد مرحلة من شبام وذلك سنة ٩٤٤هـ ومعه عشرة من أتباعه، و أقام بالسور سنة وعاد في السنة التالية ٩٤٥هـ، وفي غيابه في السور توفي والده الشيخ عبدالله باجمال. ثم خرج الشيخ معروف إلى عندل في نواحي حريضة وعاد منها أيضا بعد سنة، ثم كان خروجه الأخير إلى بضه من بلاد دوعن بعد الأحداث التي جرت مع السلطان بدر أبي طويرق.

وفي منطقة السور السابق ذكرها اجتمع الشيخ معروف بالفقيه بامخرمة فتعانقا طويلا ثم دعا الشيخ معروف فلما ختم وانصرف قال الفقيه بامخرمة إن الشيخ معروف دعا للسلطان بدر بولاية هذه القرية، وبعد مدة يسيره رجع الشيخ إلى بلده واستولى السلطان على السور وأخربها وذلك سنة ٩٤٨هـ [(٢)].

يتضح أنه كان للشيخ معروف نشاط كبير في نشر الدعوة في المناطق المختلفة، وربما أن السلطان بدر بدأت تساوره الشكوك حول هذا الشيخ، خاصة أنه كان يقصد في خروجاته بعض المناطق والقبائل الثائرة مثل السور ترافقه حاشية من طلبته ومريديه.

في خضم تلك الأجواء قام الأمير علي بن عمر بن جعفر الكثيري بالانقلاب على ابن عمه السلطان بدر أبي طويرق والاستقلال بشبام محاولا إقامة دولة يغلب عليها التصوف وضم إلى جواره مستشارين أمثال الشيخ معروف باجمال [(٣)] ونتيجة للميول الصوفية للأمير علي بن عمر وافق الشيخ معروف وأصبح من أهم المستشارين والمقربين له، ويبدو أن الشيخ معروف لم يدرك خطورة ذلك الأمر الذي أقدم عليه، وانضم إلى جانب الأمير على

(١) من قرى الكسر سكانها آل عامر النهديين إدام القوت ص ٤٥٥. وتذكر بعض المراجع الأخرى أن لهم حوادث مع السلطان بدر.

(٢) باجمال، محمد، مواهب البر الرؤوف، مصدر سابق، ص ٧٥.

(٣) الشاطري محمد أحمد، أدوار التاريخ، مصدر سابق، ص ٢٤٣.

اعتقاد منه أنه يحق للأمراء الكثيرين الاستيلاء على مناطقهم، وهي عادة في أغلب السلاطين الكثيرين إذ لم يظهر سلطان واحد في فترة زمنية إلا وكان له منازع في منطقة أخرى، وفي المقابل استغل الأمير علي مكانة الشيخ معروف عند الناس وانصياعهم له فقربه منه وجعله مستشارا له.

أثار انفصال مدينة شبام واستقلالها عن السلطة المركزية غضب السلطان بدر فقام بتسيير الحملات العسكرية التي استردتها في سنة ٩٥٨هـ / ١٥٥١م، والقي القبض على الأمير علي بن عمر الكثيري وأودعه السجن في حصن قرية مريمة شرق سيئون، أما الشيخ معروف باجمال فقد أمر السلطان بدر بنفيه من شبام، فاختار الشيخ معروف منطقة بضه في دوعن عند المشائخ آل عمودي [١].

ويبدو أن المظهر الذي كان للشيخ معروف و إقبال الناس عليه وانقيادهم له وإفراط الاعتقاد فيه، قد ساعد الوشاة على نقل تلك الصورة بشيء من التهويل، فخاف أبو طويرق على سلطانه من أن يكون الشيخ يحيك مؤامرة ضده، فاستغل ذلك التصرف منه ووقوفه إلى جانب ابن عمه الأمير علي بن عمر الكثيري للنيل منه. وكان الشيخ معروف يدرك أن السلطان بدر قد يتعرض له بسوء ويخرجه من شبام وذكر ذلك الخروج لتلامذته، ويروي باجمال صاحب مخطوطة مواهب البر الرؤوف عن الشيخ عمر بامخرمة أنه لما قربت وفاة شيخهم الإمام عبدالرحمن باهرمز استدعى الشيخ معروف من شبام إلى هينن وقال له: إننا نحملك أمر السلطان بدر تقوم به وتجعله في عنقك وهو مسلط عليك، فقال الشيخ معروف كان ذلك، فقال الشيخ باهرمز وإن أخرجك من بلدك فقال الشيخ معروف نعم [٢].

لم يحاول الشيخ معروف الاستشفاع عند السلطان بدر ورضي مسلما بما صدر في حقه، وعد ذلك ابتلاء واختبارًا من الله لعباده الصالحين، وكان السلطان بدر قد أمر بنفيه من شبام و بإظهاره بصورة مهينة بين أهله وتلامذته في شبام بأن يطاف به في شوارعها وعلى عنقه حبل مناديا: هذا معبودكم يا أهل شبام [٣].

---

(١) العامري، السلطان بدر أبو طويرق، مصدر سابق، ص ٨٤. بن عقيل، بامخرمة، مصدر سابق، ص ١٢٩.

(٢) باجمال، محمد، مواهب البر الرؤوف، مصدر سابق، ص ٧٥.

(٣) العيدروس، النور السافر، مصدر سابق، ص ٢٠١. بن عقيل، بامخرمة، مصدر سابق، ص ١٣٠.

وللتخفيف عن معاناة مودعيه عند ارتحاله من شبام قام الشيخ معروف بارتجال خطبة كمخفف عن أشجانهم قائلا فيها: إن الدنيا محل الهموم و الأكدار فلا يتأثر بما يقع فيها سوى سخيف العقل وضعيف اليقين ولا ينكره إلا من ليس له فهم، والشكوى من أهلها شكوى من الله تعالى، ومن رأى أن الفاعل هو الله وأن البلوى توصل صاحبها إلى ما عند الله رضيها ورضي من باشرها. ويظهر فيها مدى تسليمه للأقدار ونفسه المطمئنة بما يجريه الله في خلقه. وقد امتدح رجال التصوف موقفه ذلك وعدوه من فضائله وقالوا عنه إنه من الرجال الذين قيل في نعوتهم إنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [(١)].

لقد كان الشيخ معروف باجمال مسلما أمره لله مع تيقنه من كذب الاتهامات التي وجهت له، فقد قال ذات مره لتلامذته إن السلطان بدر يتهمنا بتحريض الإمام علي بن عمر على أخذ قلاع آل محمد، ونحن براء مما اتهمنا به. وقد امتثل الشيخ معروف وصية شيخه عبدالرحمن باهرمز أن لا ينتقم لنفسه من أحد [(٢)]

وقد اتجهت رغبة الشيخ معروف باجمال بعد نفيه من شبام إلى سكنى وادي دوعن فقصده بأسرته واستوطن منطقة بضة عاصمة الإمارة العمودية في رحاب تلميذه وصديقه الشيخ عثمان بن محمد العمودي الحاكم السياسي لدوعن [(٣)]، الذي تلقاه بالصدر الرحب وآواه في بلدته، وفيها تفرغ لنشر العلم ومساندة صديقه الأمير عثمان في مهام حكمه، حتى وافاه الأجل سنة ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م ودفن بمقبرة بضه المشهورة بطرمون وشيدت على قبره قبة يقصدها الزائرون [(٤)].

اتسم موقف السلطان أبي طويرق مع الشيخ معروف باجمال بالتعسف و قصر النظر، وقد أفسدت تلك المواقف من أعيان حضرموت والزعماء الدينيين كالشيخ معروف والشيخ عمر

(١) العيدروس، النور السافر، مصدر سابق، ص ٢٠١.

(٢) باحسن، أخبار الشحر، مصدر سابق، ص ٥٢.

(٣) أحد أمراء الإمارة العمودية لديه عداء مع السلطان أبي طويرق، وله اتصال بعلماء ذلك العصر كالشيخ عمر بامخرمة. إدام القوت،ص ٣٤٠.

(٤) السقاف، تاريخ الشعراء، مصدر سابق، ج ١، ص ١٥٠.

بامخرمة على أبي طويرق علاقاته حتى بأفراد أسرته الذين ضاقوا ذرعا في النهاية بتصرفاته الهوجاء فخلعوه عن الحكم والقوه في سجن سيئون حتى وفاته سنة ٩٧٧هـ (١).

الخاتمة

يعد القرن العاشر الهجري في حضرموت قرنا خصبا للباحثين بما احتواه من أحداث كثيرة كان للبعض منها آثار على القرون التالية، إذ أحدث استقدام مجاميع من المقاتلين من قبائل اليمن الغربية وسياسة الإجلاء من الأرض التي اتبعها أبو طويرق بعد انتصاراته تغيرا ديموغرافيا في حضرموت، وخلال هذا القرن اتصلت حضرموت بالدولة العثمانية ووصلت قواتها إلى حضرموت و ساندت السلطة في سياسة بسط النظام على أرض حضرموت.

لقد كان السلطان بدر حريصا على دولته طموحا في مد سلطانه إلى أبعد الحدود في حضرموت، حيث كان يقوم بالبطش بكل من يقف في سبيل تحقيق ذلك الحلم ولو كان من خواص أسرته أو أمرائه أو الزعماء الدينيين والقبليين متسامحا أحيانا معهم، لكن من غير أن يزيحهم عن عينيه. ويشتد بطشه إذا عادوا في عصيانهم له.

لم يكن السلطان بدر بعيدا عن علماء وأدباء عصره بل كان قريبا منهم، وكان بلاطه به العديد من الفقهاء والأدباء و المؤرخون، وكان التصوف هو الصفة السائدة على الحياة في حضرموت في ذلك العصر، وسجلت بعض المصادر التاريخية اتصال السلطان بدر بعدد من رجال التصوف أمثال الشيخ شيخ بن إسماعيل في الشحر، والشيخ أحمد بن علوي باجحدب في تريم، واستقدم من تريم أيضا السيد عمر الصافي إلى سيئون لينتفع به أهلها. ونستطيع من تلك الحوادث أن ننفي وجود علاقة سيئة بين السلطان بدر ورجال التصوف في حضرموت.

كانت تربط الشيخ عمر بامخرمة بالشيخ معروف باجمال علاقة وثيقة منذ أيام تلقيهم علوم التصوف على الشيخ عبدالرحمن باهرمز في هينن، ثم استمرت العلاقة بينهما وتوثقت، وصار كل واحد يكن للآخر المحبة ويعتقد فيه الصفاء والولاية.

لقد كان الشيخ عمر بامخرمة متأرجحا في علاقته بالسلطان بدر فتارة يجاهر بذمه وتارة يمتدحه، وحاول السلطان بدر أن يتسامح مع الشيخ عمر بامخرمة لكن الأخير لم يستطع

(١) بامطرف محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت، المكلا، ط ٢، ٢٠٠٨هـ، ص ١٠٠.

رؤية الأعمال التي تصدر عن السلطان بدر ولا ينتقدها بشعره اللاذع مجاهرا بذلك أمام الناس ويرى ذلك من واجبه كونه أحد رجال الدين، فقام السلطان بنفيه عدة مرات من موطنه إلى ظفار و الشحر، لكن الشيخ بامخرمة ما أن يصل إلى المنفى حتى يستعطف السلطان ويمتدحه إذا اقتضى الأمر ليعيده إلى بلاده التي لا يستطيع فراقها، فيعيده السلطان رغبة منه في احتواء ذلك الشيخ الجليل وربما لرد الجميل لابنه الشيخ الفقيه عمر بن عبدالله بامخرمة الذي عمل مستشارًا لدى السلطان بدر وكاتبا لرسائله وقاضيا على الشحر والذي لم يستطع في الأخير التوفيق بين أبيه والسلطان فغادر إلى عدن، وبعد أن زادت خشية السلطان بدر من الشيخ عمر وأن يثير شعره العامة والقبائل التي استطاع أن يضمها بدر بصعوبة إلى دولته، أمر بأن يبقى الشيخ عمر بامخرمة رهن الإقامة الجبرية في سيئون، حيث عاش بها آخر سنين عمره حتى توفي في العشرين من ذي القعدة سنة ٩٥٢هـ.

كان الشيخ معروف باجمال على درجة كبيرة من العلم والتصوف مستقرا في شبام يفد إليه طلبة العلم من حضرموت وخارجها، وكانت الوشايات تصل إلى السلطان بدر عن الشيخ معروف باجمال ومظهره واعتقاد الناس فيه وحاشيته الكبيرة التي ترافقه، وكانت خروجاته ورحلاته الدعوية إلى مناطق القبائل الثائرة كمنطقة السور أثارت قلقا آخر عند السلطان، واستمر السلطان بدر في كظم غضبه حتى أتى الأمير علي بن محمد الكثيري وأعلن الانفصال بشبام عن سلطة أبي طويرق، وضم إلى دولته الناشئة الشيخ معروف باجمال مستشارا، مستغلا نفوذه بين السكان المحليين وانقياد الناس له، فوجد السلطان بدر فرصته في ضرب خصمين في شبام هما ابن عمه الأمير علي والشيخ معروف باجمال، حيث تروي المصادر بأنه أحتجز الأمير في سجنه حتى مات، وبالغ في أذية الشيخ معروف باجمال بأن طاف به في أزقة شبام معلقا حبلا في عنقه، ثم نفاه خارجها فاتجه الشيخ معروف إلى دوعن واستقر ببضه حتى وفاته سنة ٩٧٧هـ.

لم تحدثنا المصادر عن موقف علماء حضرموت الآخرين من ذلك النزاع بين السلطان بدر والشيخ بامخرمة والشيخ معروف، سوى إشارات بسيطة حيث عد العلماء المتصوفون تلك الأعمال التي قام بها السلطان بدر ابتلاءات من الله تعالى لعباده الصالحين ليمحصهم ويختبر إيمانهم، ويرفع درجاتهم بها إذا صبروا.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المخطوطات:

- باجمال سراج الدين محمد بن عبدالرحمن، مواهب البر الرؤوف في ترجمة الشيخ معروف، نسخة مصورة بمركز النور تريم، عن مكتبة بارجاء، المجموع الرابع النص الرابع.

ثانيًا: المصادر:

- باجمال محمد بن عبدالرحمن، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، تحقيق محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م
- بافقيه محمد بن عمر، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- الحبشي أحمد بن زين، شرح العينية، مطبعة كرجاي المحدودة، سنغافورة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧.
- شنبل أحمد بن عبدالله، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، ٢٠٠٣م.
- العيدروس عبدالقادر بن شيخ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، تحقيق د. أحمد حالو وآخرين، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت، ٢٠٠١م.

ثالثًا: المراجع والدراسات الحديثة:

- ابن جندان سالم بن أحمد، الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت، دار المأمون، دمشق، ط ١، ٢٠٠١م
- ابن عبيدالله عبدالرحمن السقاف، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، تحقيق محمد أبو بكر باذيب، دار المنهاج، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ابن هاشم محمد، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر، الطبعة الأولى. ٢٠٠٢م.

- بن عقيل عبدالرحمن جعفر، عمر بامخرمة السيباني حياته وتصوفه وشعره، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م.
- باحسن عبدالله بن محمد بن عبدالله، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية،تحقيق محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- بافضل محمد بن عوض، صلة الأهل في تدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، الطبعة الأولى ١٩٩٩م، بدون ناشر.
- بامطرف محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت، المكلا، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
- حاجي خليفة، كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- الجعيدي عبدالله سعيد، السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت، تريم للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.
- الزركلي خير الدين، الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الخامسة، أيار (مايو) ١٩٨٠م
- السقاف عبدالله بن محمد بن حامد، تاريخ الشعراء الحضرميين، مطبعة حجازي، القاهرة، سنة ١٣٥٣هـ
- الشاطري، محمد بن أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م
- كحالة عمر رضا، معجم المؤلفين مكتبة المثنى - بيروت و دار إحياء التراث العربي - بيروت
- الكندي سالم بن محمد بن سالم ابن حميد، تاريخ حضرموت المسمى العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

المحور الحضاري

العملة والتداول النقدي بحضرموت في القرن العاشر الهجري

د. محمد صالح بلعفير
كلية الآداب - جامعة عدن

المقدمة:

يعتبر القرن العاشر الهجري بحق أزهى القرون وأكثرها رقيًّا من الناحية الحضارية، فقد شهد هذا القرن نهضة حضارية غير مسبوقة تمثلت في ظهور كوكبة من المؤرخين، وكبار علماء الشريعة وأرباب الأدب والشعر؛ فمن المؤرخين نذكر على سبيل المثال لا الحصر المؤرخ أحمد بن عبدالله شنبل مؤلف كتاب تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل والمتوفى سنة ٩٢٠هـ؛ والمؤرخ الملاّح الرُّبان سالم بن عوض باسباع صاحب كتاب بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر والمتوفى سنة ٩٥٠هـ؛ والمؤرخ الأديب الفقيه عبدالله بن محمد بن أحمد باسنجلة (أو باسخلة) مصنّف كتاب تاريخ الشحر المسمى: العِقْدُ الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر والمتوفى سنة ٩٨٦هـ؛ والمؤرخ محمد بن عمر الطيب بافقيه مؤلف كتاب حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المربين والأولياء الصالحين أو تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر والمتوفى بعد سنة ١٠١١هـ.

والحقيقة التي لا غبار عليها هي أن تاريخ حضرموت في القرن العاشر الهجري هو بدرجة رئيسية تاريخ مدينة الشحر وتاريخ عهد السلطان الكثيري بدر بن عبدالله بن جعفر المكنى (أبو طويرق)، فقد شهد عهد أبي طويرق إنجازات سياسية وحضارية لم تعرفها حضرموت في القرون السابقة على القرن العاشر فمن الناحية السياسية عمل أبو طويرق على إعادة توحيد أراضي حضرموت التاريخية، وذلك أمر لم يُعْهَدْ مثله في جاهلية ولا في إسلام حتى قيل في سبب كنيته (أبو طويرق) لأنه طرق أراضي حضرموت من بلاد العوالق إلى المهرة على عكس ما يظن البعض من أن الزعيم الإباضي عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) قد سبقه إلى ذلك في القرن الثاني الهجري، فهذا لم يكن له من هدف سوى إسقاط الخلافة الأموية لا غير.

ومن الناحية الحضارية، فقد أولى أبو طويرق التعليم والعلماء والحركة العلمية ككل إهتماما كبيرًا وتجلى ذلك في إرسال المعلمين والمربين إلى كل المناطق التي امتد إليها سلطانه وبسط نفوذه عليها، وأنفق على هؤلاء ورجال العلم الرواتب الجزيلة ومنحهم المكافآت المغرية.

وفي خطوة أخرى لتأكيد ذلك الاهتمام وترجمته أنشأ بمدينة الشحر المدرسة السلطانية (البدرية) التي عُدَّتْ في زمانها أعظم المدارس وأكثرها أهمية، فقصدها طلاب العلم وعشاق المعرفة من كل مكان، واختار لها طاقمًا تعليميًا من كبار العلماء وأجّلة الأساتذة المشهود لهم بالعلم والكفاءة في التدريس، ويأتي في صدارة هؤلاء العلامة نور الدين علي بايزيد الذي أسند إليه إدارة هذه المدرسة والتدريس فيها والإفتاء بها؛ والأكثر من ذلك ولضمان قيام المدرسة بدورها العلمي والتنويري، وقف لها أوقافًا جليلة تقوم عليها من رواتب للقائمين عليها ومعاشات للطلاب وما تحتاج إليه من اصلاح وترميم.

ومع إن دولة السلطان أبو طويرق تبدو عسكرية في جوهرها[(١)]، إلاَّ أنه لم يغفل الاهتمام بالنظام الإداري والقضائي، فأنشأ المحاكم ونظم المناصب فيها ورتّب درجاتها، كما عمل بالقدر نفسه على تنظيم إدارة الدولة وشئونها فولى القضاة على المدن الكبيرة وأكثرها أهمية للبت في قضايا الأهالي والفصل في شكاواهم وظلاماتهم ومما ذكر بهذا الصدد أن قاضي مدينة الشحر الفقيه عبدالله بن عمر بامخرمة عُدَّ في أيامه رئيس القضاة (قاضي القضاة)، فضلا عن أن بامخرمة المذكور تولى مسئوليات أخرى في إدارة شئون الدولة إلى درجة أنه عرف بأول سكرتير للدولة في حضرموت.

ومادمنا بصدد إدارة الدولة، فإن السلطان أبو طويرق وإن كان جعل من مدينة سيئون عاصمة لدولته إلاَّ أنه رأى بعينه البصيرة ونظرته الثاقبة ضرورة نقلها في أواخر سني حكمه إلى مدينة الشحر باعتبارها - من وجهة نظرنا - منفذ حضرموت البحري وميناءها الرئيس المطل على بحر العرب والمحيط الهندي، علاوة على كونها أعظم المراكز التجارية في حضرموت وأكثرها حيوية.

---

(١) باوزير، سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، الطبعة الثانية، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ١٢٥ص. وللمزيد من التفاصيل عن ترجمة أبي طويرق وتاريخه ينظر الكتاب المذكور، ص١١٢-١٢٦.

أما بالنسبة إلى العملة، فقد اهتم أبو طويرق بعد تأسيس دولته كغيره من الحكام المسلمين السابقين عليه أو المعاصرين له، بضرب النقود والإشراف على عيارها لاعتبارات عديدة منها أن النقود تمثل أحد أهم المظاهر الشرعية للحكم والسيادية للدولة[١]، وفضلاً عن ذلك، فالنقود بما تحويه من نصوص تشكل وسيلة إعلامية ناجحة لاتصال الحاكم بالشعب[٢]. وبعبارة أخرى فهي تعد وسيلة من وسائل الإعلام الرسمي للدولة للدعاية لسياستها في ذلك الوقت الذي لم يتوفر فيه الوسائل الإعلامية المعروفة في عصرنا،[٣] وقد أثبتت الدراسات والبحوث الحديثة بأن الدور الإعلامي الذي تقوم به النقود لا يقل أهمية عن دورها التجاري[٤].

على أية حال فقد حرص السلطان أبو طويرق على ضرب العملة واختار مدينة الشحر لتكون دار الضرب الوحيدة في حضرموت على مايبدو، وأمر في سنة ٩٣٤هـ أن تضرب الفلوس، كما أمر في سنة ٩٤٣هـ بضرب عملة أخرى سميت وقتذاك بقشة[٥].

أولاً: تمهيد تاريخي:

لسنا معنيين هنا بالحديث عن تاريخ حضرموت في القرن العاشر بصفة عامة وتاريخ الدولة الكثيرية الأولى بصفة خاصة، فهذا التاريخ قد أُشْبِعَ درسا وتحليلاً.[٦]وما يهمنا هو

(١) مايسة داود: المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، ودراسة أثرية وفنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٦.

(٢) قاران، وليم: المسكوكات الإسلامية، مجموعة وليم قاران (القسم باللغة العربية)، بنك بيروت، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢٥.

(٣) مايسة داود: المسكوكات الفاطمية، ص٦.

(٤) الحسيني، محمد باقر: النقود العربية الإسلامية ودورها السياسي والإعلامي، مطبعة دار الحرية، بغداد، ص٨.

(٥) لمزيد من التفاصيل، ينظر فيما سيأتي تحت عنوان السكة البدرية.

(٦) ينظر على سبيل المثال: محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، الطبعة الأولى، تريم للدراسات والنشر، تريم – حضرموت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م؛ الحامد، صالح: تاريخ حضرموت، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م؛ الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، أدوار التاريخ الحضرمي الجزء الثاني، الطبعة الأولى، مكتبة الشعب، المكلا، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م؛ الجعيدي، عبدالله سعيد، السلطنة الكثيرية الأولى في حضرموت (٨١٤-١١٤٣هـ/ ١٤١١-١٧٣٠م)، الطبعة الأولى، تريم للدراسات والنشر، تريم – حضرموت، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

الإشارة إلى أن حضرموت ولا سيما مدينة الشحر قد خضعت لنفوذ بني طاهر حكام اليمن وعدن سنة ٨٦٥هـ بعد مغامرة حاكم الشحر الأمير محمد بن سعيد بادجانة الكندي احتلال عدن. ومن المعلوم تاريخيًا أن حكم مدينة الشحر قد ظل في أيدي الأمراء من آل أبي دجانة، وكان قبل ذلك محط صراع بينهم وبين آل كثير الذين كانت لهم اتصالات مع سلاطين الدولة الطاهرية، وهي اتصالات أسفرت في نهاية المطاف عن حصول السلطان الكثيري بدر بن محمد على ولاية الشحر سنة ٨٦٧هـ، ولكنه لم يُمكّن من ذلك إلى أن استطاع السلطان جعفر بن عبدالله بن علي الكثيري من وضع يده على المدينة، ومن ثم ضمها إلى ممتلكات السلطنة الكثيرية نهائيًا سنة ٩٠١هـ ولكن مع إبقاء علاقاتهم مع الدولة الطاهرية وتبعيتهم السياسية لها، وهي تبعية كان ثمنها خراجًا سنويًا مقداره خمسة عشر ألف أشرفي ومواد عينية أخرى،[١] وقد استمر دفع هذا الخراج إلى عهد أبي طويرق.

وفي المقابل، لم يتوان سلاطين بني طاهر عن أداء واجباتهم اتجاه حضرموت وما تحتمه سياستهم من إبقاء عرى العلاقة معها، وقد وجد ذلك أصدق تعبير له في قيام السلطان الظافر عامر الثاني (٨٩٤- ٩٢٣) سنة ٩٠٢هـ بعمارة المسجد الجامع بتريم،[٢] فضلاً عن قيامه سنة ٩٠٤هـ بتعمير ضمير (سواقي) وادي ثبي بالقرب من تريم بمبلغ وقدره ألفان وثلاثمائة دينار[٣].

---

(١) بامطرف، محمد عبدالقادر: الشهداء السبعة، الطبعة الثانية، دار الهمداني، عدن، ١٩٨٣م، ها١٣٠، هامش (٧٥)، نقلاًعن كتاب الربان باسباع (بهجة السمر) الذي ذكر فيه أن الأتاوة السنوية التي كان يدفعها السلطان بدر أبو طويرق لحاكم عدن الطاهري تقدر بخمسة عشر ألف أشرفي ذهبًا وكمية من القمح والتمر والأقمشة والمواشي يقدر ثمنها بعشرة آلاف أشرفي. هذا إضافة إلى (النواتف الأخرى) على حد تعبيره. وفي مكان آخر عن الكتاب، ذكرنا باسباع أن السلاطين آل كثير يرسلون إلى حاكم عدن أتاوة سنوية قدرها عشرون ألف أشرفي ذهبًا، وكميات من القمح والتمر والأقمشة والمواشي وشيئًا من العنبر الأصلي، ينظر: الشهداء السبعة، ص١٢٧، هامش (٥١).

في تقديرنا أن مبلغ الأتاوة أو الخراج السنوي هو خمسة عشر ألف أشرفي، أما المواد العينية الأخرى ماعدا العنبر فيبلغ ثمنها عشرة آلاف أشرفي، وبهذا يكون المبلغ الإجمالي هو خمسة وعشرون ألف أشرفي ذهبًا. وما يؤكد ذلك ما ورد في الهامش (٧٥)، ص ١٣٠. وبخصوص الأشرفي ينظر فيما سيأتي تحت عنوان: التداول النقدي بحضرموت في القرن العاشر الهجري.

(٢) شنبل، أحمد بن عبدالله: تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص٢١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٧.

ومع ذلك، فإن العلاقات الكثيرية الطاهرية لم تستمر إلى مالا نهاية، فبالنظر إلى حالة الضعف التي أصابت الدولة الطاهرية وتكالب خصومها وأعدائها عليها، زيادة على حالة التنافس على الحكم في البيت الطاهري والتناحر فيما بينهم، وعدم استقرار الأوضاع الداخلية، والهجمات البرتغالية على السواحل اليمنية والتدخل الخارجي الذي تمثل باستبدال قوة بأخرى حيث حل الأتراك العثمانيون محل المماليك بعد زوال دولتهم في مصر، كانت النهاية المأساوية للسلطان الطاهري الظافر الرابع عامر بن داود (٩٣٣ - ٩٤٥هـ) آخر السلاطين الطاهريين الذي رحب بسليمان باشا قائد الأسطول العثماني أثناء مروره بمدينة عدن سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، وهو في طريقه إلى الهند لمحاربة البرتغاليين، وفتح له أبواب مدينة عدن، لكن سليمان باشا أمر بشنقه على سارية سفينته،[(١)] واستولى على المدينة غدراً، وباغتيال عامر الرابع زالت الدولة الطاهرية.

وتبعا لذلك خضعت حضرموت اسميًا للسيادة العثمانية في عهد سليمان القانوني بن سليم الأول (٩٢٦ - ٩٧٤هـ)، واكتفى العثمانيون عوضًا عن السيطرة المباشرة بخراج سنوي يبلغ عشرة آلاف أشرفي.

ثانيًا: تمهيد مسكوكاتي:

إن الكتابة عن المسكوكات أو العملة والتداول النقدي بحضرموت في القرن العاشر الهجري أمر من الصعوبة بمكان، فالمصادر التاريخية التي أرّخت للقرن المذكور لم تبسط الحديث في هذا الشأن، وكل ما وجدناه لا يتعدى كلمات معدودات من دون تفصيل ولا توضيح، ولكنها مع قلتها تضمنت إشارات قيّمة عن تعدد العملة وتنوعها في حركة التداول النقدي.

ولذلك إرتاينا أن نتناول أولا العملة الطاهرية بحضرموت بدءًا من اهتمام بني طاهر بضرب السكة وأنواع النقود الطاهرية وأوزانها، ثم سكة أبي طويرق أو السكة البدرية نسبة إليه، ثم التداول النقدي بحضرموت في الفترة موضوع الدراسة، فخلاصة ركزنا فيها على أهمية مدينة الشحر بعد أن جعل منها بنو طاهر دارًا لضرب النقود وكذا الأمر في عهد بدر أبي طويرق.

(١) النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد: البرق اليماني في الفتح العثماني، الطبعة الثانية، دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٨٠.

ثالثًا: العملة الطاهرية بحضرموت:

اهتمام بني طاهر بضرب السكة:

بعد سيطرة بني طاهر على حضرموت في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، تحولت الشحر ليس فقط إلى مدينة إدارية حيث مقر الوالي بل و إلى دار ضرب للنقود، ومع أن المصادر التاريخية لم تشر إلى ذلك صراحة إلاَّ أنه يفهم مما أوردته من معلومات تاريخية أن المدينة قد قامت بذلك الدور من قولها مثلاً: دينار شحري ودرهم شحري أي ضرب مدينة الشحر.(١)

أولى سلاطين بني طاهر بعد تأسيس دولتهم اهتمامًا كبيرًا بضرب السكة جريًا على عادة الحكام المسلمين السابقين عليهم والمعاصرين لهم لكونها تعد أحد المظاهر الشرعية للحكم والسيادية للدولة. على أن ما يلاحظ هنا أن السكة لم تضرب باسم الأخوين الظافر (الأول) عامر بن طاهر (٨٥٨-٨٧٠هـ/ ١٤٥٤ -١٤٦٠م) والمجاهد علي بن طاهر(٨٥٨ -٨٨٣هـ/ ١٤٥٤-١٤٧٩م) اللذان قاما بأمر السلطنة شريكين في الحكم؛ إذ استأثر الظافر عامر بالخطبة والسكة دون أخيه رغم كونه الأصغر،(٢) ويعلل ابن الديبع هذه الخطوة من طرف الظافر بأنها كانت برضا أخيه المجاهد وإيثاره له،(٣)وفضلاً عن ذلك يذهب بعض الباحثين إلى أن ذلك الاستئثار قد يرجع إلى الدور الكبير الذي قام به الظافر عامر في تأسيس دولة بني طاهر؛ أو لأنه كان صاحب فكرة الاستيلاء على ملك بني رسول(٤).

وأيًا ما كان الدافع الحقيقي لهذا الإجراء، فإن ضرب العملة باسم الظافر عامر لوحده لم يستمر طويلاً، إذ شُرع وابتداء من عام ٨٦٤هـ بضرب السكة باسم المجاهد. وبعد عهد كل من الظافر والمجاهد حرص بقية السلاطين الطاهريين على ضرب النقود، ومن أسف أنه رغم الإشارات التي نجدها في المصنفات التاريخية عن النقود الطاهرية، إلاَّ أن المعروف

---

(١) شنبل: تاريخ حضرموت، ص٢٠١، ص٢٢٦، ٢٢٨-٢٢٩، ٢٣٦-٢٣٩، ٢٥٦، ٣٥٣.

(٢) محمد عبدالعال أحمد: بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (٦٢٨-٩٢٣هـ/ ١٢١٣-١٥١٧م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م/ ص ٢٥٨.

(٣) ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي: بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي. الطبعة الأولى، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٧٩م، ص١٢٩.

(٤) محمد عبدالعال، بنو رسول وبنو طاهر، ص ٢٥٨.

منها حتى يومنا لا يعدو بضعة دراهم من عهود الظافر (الثاني) عامر بن عبدالوهاب (٨٩٤-٩٢٣هـ/ ١٤٨٩-١٥١٧م)، وعبدالملك بن محمد بن عبدالملك (٩٢٦-٩٣٣هـ/ ١٥٢٠-١٥٢٧م)، والظافر (الرابع) عامر بن داود (٩٣٣-٩٤٥هـ/ ١٥٢٧-١٥٣٨م).

أنواع النقود الطاهرية وأوزانها:

يفهم مما وصل إلينا من معطيات تاريخية أن السلاطين الطاهريين قاموا منذ عهد مؤسسي الدولة الظافر الأول والمجاهد علي بضرب ثلاثة أنواع من النقود هي:

الدنانير الذهبية،[١] والدنانير الفضية،[٢] والدراهم الفضية،[٣] علاوة على الفلوس[٤].

الدينار الذهب:

استعمل الدينار الذهب (الدينار الذهبي) كوحدة نقد أساسية في عهود إسلامية سابقة، وكان في أيام الأمويين والعباسيين يساوي مثقال (٤,٢٥غ)،[٥] لكنه لم يستقر بعد ذلك على وزن أو عيار واحد ثابت، فقد اختلف وزنه من دولة إلى أخرى وإن كان قد استعاد وزنه في عصر الدولة الفاطمية، غير أن ذلك الوزن تعرض للتذبذب من عهد إلى آخر تبعًا لقوة اقتصاد الدولة أو ضعفها، خاصة وأن التعامل بالنقود لم يعد بالعد بل بالوزن[٦].

أما الدينار الذهب الذي ضرب في عصر الدولة الطاهرية، فالحق أننا لا نستطيع أن نحدد أو نقدّر وزنه وعياره؛ لأنه لم يعرف منه بعد ولا قطعة واحدة، ولكنّا لا نستبعد أن يكون وزنه لا يختلف عن دنانير أسر حاكمة سابقة على الطاهريين، وهو وزن منخفض بالمقارنة مع ما كان معروفا ومتداولًا من دنانير في أقطار إسلامية أخرى.

---

(١) ابن الديبع: الفضل لمزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق: يوسف شلخد، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣، ص١٢٧، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٩، ١٦٤، ١٧٤، ١٩٦، ٢١٨، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٤٧-٢٤٨، ٢٥٧-٢٦٥، ٢٦٣، ٣٠١، ٣٠٨، ٣٢٤-٣٢٥، ٣٣٠-٣٣١، ٣٤٣، ٣٨١.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٥٩،٢٤٩،٢٦٣،٣٠٠،٣٠٦،٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٣٢،١٦٤،٢٧٣،٣٠٨.

(٤) المصدر نفسه: ص ٢٤٨.

(٥) Miles،G،C،article DINAR، Encyclopedie del' lslam 2eme ed، Leyde، 1960 et suivi.

(٦) عبدالمنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ج٢، ص١٢٥.

ففي العصر العباسي وبالنظر إلى التخلف الاقتصادي لليمن أُحدثت أوزان محلية للنقود سواء الذهبية أم الفضية تقل كثيرًا عن أوزان نظيراتها التي ضربت في أمصار وأقطار إسلامية أخرى،(١) وهذا النظام النقدي الخاص باليمن جرّ نفسه على نقود الدول التي ظهرت منذ القرن الثالث الهجري، ولعل أبرز مثال على ذلك الدنانير التي ضربها الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين مؤسس الدولة الزيدية، وكذلك الدنانير التي ضربها الأمراء الزياديون حكام زبيد وتهامة، فقد كانت تلك الدنانير تقل عن وزن الدينار العباسي المضروب في حاضرة الدولة العباسية(٢). وفي عصر الدولة الصليحية، التي ارتبطت بعلاقات مذهبية مع مصر الفاطمية، لم يختلف الوضع عما كان عليه من قبل، فالدينار الصليحي الملكي (من ضرب المكرم الأول أحمد بن علي بن محمد) اختلف وزنه من سنة إلى أخرى، فأعلى وزن له يصل إلى٤٥ , ٢غ، أما أخف وزن له فيبلغ ١٣ , ١غ، وهذا يعني أن كل دينارين ملكيين يساويان دينارًا مصريًا فاطميًا،(٣) على خلاف ماذهب إليه ابن المجاور من أن كل أربعة دنانير ونصف ملكية تعادل دينارًا فاطميًا،(٤) إلاَّ إذا كان المقصود بالأربعة دنانير من ذوات الوزن الخفيف.

أما في عصر الدولة الرسولية، فمما لا شك فيه أن السلاطين الرسوليين - الذين استمر حكمهم لما يزيد عن قرنين وثلاثة عقود من الزمن - قاموا بضرب الدنانير الذهبية، ومن أسف أنه على الرغم من طول زمن هذا العصر إلاَّ أن المعروف من الدنانير الرسولية لا يتعدى بضعة دنانير أولها من عهد المظفر (الأول) يوسف بن عمر ضرب بتعز سنة ٦٤٩هـ والمحفوظ بمجموعة سيوفي، ودنانير أخرى من عهد ابنه المؤيد داود ضربت بعدن في سنوات ٧١٠هـ، ٧١٨هـ، وسنة ٧١٩هـ،(٥)ودينار من عهد المجاهد بن المؤيد ضرب هو

---

(١) بلعفير، محمد صالح: "كنز من الدراهم الأموية"، مجلة سبأ، العدد (١٠-١١)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، يوليو ٢٠٠٢م، ص ٨٩.

(٢) المرجع نفسه والصفحة.

(٣) L O W I C K، N.M. "Some unpulished Dinars of the sulayhids and Zurayids"، Numismatic Chronicle، 1964، p.267.

(٤) جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب: صفحة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها أوسكار لوفجرين، الطبعة الثانية، شركة دار التنوير، بيروت، ١٤٠٧-١٩٨٦، ص٨٩.

(٥) NUT Z E L، H، Coins of the Rasulids: Comprising a synopsis of the History of That Yemenite Dynasty، Mainz، 1987، p.

الآخر بعدن سنة ٧٣٩هـ، ودنانير العهدين الأخيرين محفوظة بالمتحف البريطاني بلندن[١]. وليس من شك في أن هذا العدد الضئيل جدًا لا يسمح البتة بتكوين أي تصور عن متوسط وزن الدنانير الرسولية.

على أية حال، فإن معارفنا عن وزن وعيار الدنانير الذهبية الطاهرية ستظل متواضعة جدًا إلى حين العثور على قطع كثيرة من هذا النقد وبخاصة الكنوز التي عادة ما تتميز بالتنوع في مادتها ومعطياتها،[٢] وإن كنا لا نستبعد أن يكون الدينار الطاهري أقل في وزنه وعياره عن الدنانير المملوكية المعروفة في اليمن آنذاك مع أنها اتسمت بعدم ثبات عيارها أو وزنها أو سمكها أو قطرها[٣].

الدينار الفضة:

يعد الدينار الفضة (الدينار الفضي) أو الدينار الدرهم ثاني وحدة نقدية راج استعمالها وتداولها في عصر الدولة الطاهرية، ولدينا بهذا الصدد من المعطيات مايدل على ذلك، ومعلوم أن هذا النوع من النقد لم يعرف في عصر الدولتين الأموية والعباسية، ولا الدولة الفاطمية من بعدهما، ولا حتى في عصر الدولة الرسولية. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو لماذا ضرب سلاطين بني طاهر هذا النقد وما هي دوافعهم إلى ذلك؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، من المهم الإشارة إلى أن تاريخ اليمن في العصر الإسلامي قد شهد في نهاية القرن الثالث الهجري حالة نادرة في ضرب الدينار الدرهم، ولم يعرف مثل هذا الضرب بعد ذلك إلى نهاية الدولة الرسولية، وتتمثل هذه الحالة في قيام الإمام الهادي يحيى بن الحسين بضرب الدينار الفضي في سنة ٢٩٨هـ وهي السنة التي ضرب فيها الدينار الذهبي. ومع أننا لا نعرف على وجه الدقة ما إذا كان الدينار الفضي قد ضرب في وقت واحد مع الدينار الذهبي أو بعده، إلاَّ أنه يظهر بما لا يدع مجالًا للشك، أنه اضطر إلى ضرب

---

(١) L A N E -Poole، Stanley، Catalogue of Oriental Coins in The British Museum، Vol، V، P. 123.

(٢) G R I E R S O N، Philip، Monnaies et Monnayage Introduction a la Numisma-tique، Paris، 1976، p، 164.

(٣) الجابر، إبراهيم جابر: النقود العربية الإسلامية في متحف قطر الوطني، ٢ وزارة الإعلام والثقافة، الدوحة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٣٤٦.

الدنانير الفضية في نهاية عهده إلى جانب الدراهم الصغار (السداسية) بعد أن خسر في صراعه ضد خصومه من القوى اليمنية الأخرى المعارضة له المناطق التي توجد فيها مناجم الذهب، أو بسبب نقص أو انعدام التموينات من هذا المعدن، وبرهاننا على ذلك أنه لم تعرف بعد أية نقود ذهبية من عهد ابنيه المرتضى والناصر[١].

أما في عصر الدولة الطاهرية فنعتقد أن الوضع مختلف تماماً، فالدولة الطاهرية بمساحة نفوذها وموانئها المطلة على البحر الأحمر وبحر العرب وبعلاقاتها التجارية مع الخارج، ليست كمثل دولة الهادي التي انكمشت في صعدة وضواحيها ولم يكن لها منفذا بحريا كمدينة عدن حاضرة الطاهريين التي لم تفقد مكانتها الاقتصادية، وتكمن أهمية عدن كما مدينة الشحر في كونها ميناء يقع على طريق التجارة الشرقية،[٢] وشكلت بتجارتها وعائداتها المالية المورد الأساسي للخزانة الطاهرية، غير أن النظام المالي للدولة الطاهرية والتداول النقدي بمدينة عدن كان يتأثر بما يحدث في المحيط العربي والإسلامي، وخاصة في مصر التي كان يحكمها وقتذاك السلاطين المماليك البرجيون وتربطها باليمن علاقات سياسية واقتصادية. فقد ورث السلاطين المماليك عن الدولة الأيوبية في بداية عصرهم نظاما نقديًا ضعيفاً،[٣] وعلى الرغم من أن الذهب ظل حتى عصر المماليك البحرية هو قاعدة النقد وعلى أساسه قدرت وحدات النقود الأخرى إلاَّ إنه خضع لتغييرات متعددة من حيث العيار والوزن والحجم[٤]، لكن الحدث البارز في هذا العصر هو تناقص الدراهم الفضية الأمر الذي أفسح المجال للنقود النحاسية أن تفرض حضورها القوي في النظام

(١) بلعفير، محمد صالح: " مجموعات النقود الإسلامية وكنوزها في متاحف اليمن"، مجلة اليمن، العدد(٩)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ١٩٩٩م، ص١٢٥.

(٢) SERJEANT، R، B، The Portuguese off Southren Arabia Coast، Hadrami Chronicles، Oxford، 1963، p. 139.

(٣) ينظر بهذا الصدد: المقريزي، تقي الدين أحمد بن عبدالقادر: كتاب النقود القديمة الإسلامية، في كتاب: النقود العربية وعلم النميات للأب أنستامن ماري كرملي، القاهرة، ١٩٣٩م، ص.٦٠؛ الجابر: النقود العربية الإسلامية، ص ٢١٥-٢١٦. ولتفاصيل أكثر ينظر:
BALOG، Paul، The Coinage of the ayyubids Numismatic Society، Special Publications، No. 12 London، 1980، pp.35-40.

(٤) الجابر: النقود العربية الإسلامية، ص ٣٤٥.

النقدي، ولم تفلح الإصلاحات النقدية التي قام بها بعض السلاطين المماليك سواء البحرية أو البرجية فكانت الغلبة للفلوس النحاسية التي أصبحت وحده نقد أساسية منذ عهد السلطان محمد بن قلاوون الذي ضرب فلوسا جديدة وزن كل واحد منها درهم، واستمر هذا الاضطراب في النظام النقدي المملوكي إلى عهد قانصوه الغوري الذي حكم في ختام عصر المماليك البرجية، إلى درجه "أن هذا العصر - عصر المماليك البرجية - اطلق عليه تسمية عصر النحاس"[١].

وتأسيسًا على ما سبق، يمكننا القول إن دوافع سلاطين بني طاهر لضرب الدنانير الفضية ترجع إلى أن ميزانية الدولة الطاهرية عامة كانت تقدر بالدنانير الذهبية، لكن المصروفات لم تكن تسدد بغير الدنانير الفضية؛ لأن قيمتها النقدية أعلى من الدراهم الفضية ولأنها تحتوي على نسبة كبيرة من الفضة على عكس الدراهم الفضية الطاهرية كما الأيوبية والمملوكية التي تصل نسبة النحاس فيها إلى النصف.

الدرهم الفضة:

يعتبر الدرهم الفضة أو الدرهم الفضي ثالث وحدة نقد أساسية للدولة الطاهرية، وتوضح القطع المعروفة من هذا النقد وجود ضعف في الصنعة والتصميم، فأطرافها ذات أحجام غير متناسقة ودقيقة، وفي أحوال كثيرة فهي تالفة في الحواف، فضلًا عن أن قوالب السك حفرت بشكل غير متقن،[٢] ويظهر بما لا يدع مجالاً للشك، أن نسبة النحاس في هذه الدراهم كبيرة وربما تصل إلى النصف بدليل أن الدراهم المعروفة هي في حالة صدئة ورديئة.

فأما وزن الدرهم الفضي الطاهري فقد اختلف من عهد إلى آخر، بل واختلف وزنه في عهد كل سلطان على ما يظهر، فأعلى وزن للدرهم الذي ضربه الظافر (الثاني) عامر - والذي كانت حضرموت تحت حكمه - هو (١.٠١غ)، وأقل وزن هو (٠٧, ٠غ)،[٣]وأما دراهم عبدالملك بن محمد بن عبدالملك، فيصل أعلى وزن لها إلى (٠٧, ١غ)، ويبلغ أدنى وزن

(١) المرجع نفسه والصفحة.

(٢) P O R T E R، Venetia." Arecente acquistion of the Tahirid Sultans of The Yemen"، Yarmouk Numismatics، Vol.7، 1415\1995، P.22.

(٣) I bid، p. 24.

لها (٢٥ , ١غ)،[١] وأما دراهم الظافر الرابع – آخر سلاطين بني طاهر – فأعلى وزن معروف لها هو (٥٤ , ١غ)، وأدنى وزن لها هو (١٤ , ٠غ)[٢].

يتبين من أوزان الدراهم المذكورة والتي تمثل عهود ثلاثة من السلاطين الطاهريين أن عيار معدن الفضة فيها متدنٍ، وإن كانت دراهم السلطان عبدالملك بن محمد تعد أكثرها وزنـًا، وفي ذلك مؤشر ودليل على قوة اقتصاد الدولة الطاهرية ونظامها النقدي في عهده، خاصة وأنه استخدم سياسة الحزم مع خصوم الدولة ومعارضيها، والأكثر من ذلك سيطرته الفعلية على مدينة عدن الأمر الذي كان له الأثر الكبير في تحقيق الاستقرار المالي للدولة الطاهرية على خلاف عهد كل من الظافر(الثاني) عامر والظافر (الرابع) عامر؛ فعهد عامر الثاني شهد زيادة مضطردة في الخطر البرتغالي، وتعقدت الأحوال في عهده بعد موقفه من الحملات المملوكية التي أرسلها السلطان قانصوه الغوري لمحاربة البرتغاليين في سواحل الهند، وما ترتب على ذلك الموقف من تدخل مملوكي أدى في نهاية المطاف إلى مقتل السلطان عامر نفسه، فضلًا عن تمردات القبائل وصراعه مع الأئمة الزيديين.

فكل هذه الأحداث المتمثلة في اضطراب الأوضاع الداخلية علاوة على التدخل الخارجي (المملوكي) تركت آثارها في عدم الاستقرار السياسي للدولة الطاهرية، وبالتالي اضطراب النظام النقدي أو ضعفه، وهذا ما عكس نفسه على وزن وعيار الدراهم في العهد المذكور. أما عهد الظافر (الرابع) عامر فهو لا يختلف كثيرًا عن عهد الظافر (الثاني) من حيث عدم استقرار الأوضاع الداخلية، والهجمات البرتغالية على السواحل اليمنة والتدخل الخارجي الذي تمثل باستبدال قوة بأخرى حيث حَلَّ الأتراك العثمانيون محل المماليك بعد زوال دولتهم في مصر كما كنا قد ذكرنا.

صفوة القول، إن حالة عدم استقرار الأوضاع الداخلية، علاوة على التدخل الخارجي وكذلك الغزوات البحرية البرتغالية للمدن والسواحل اليمنية وما صاحبها من أعمال قرصنة للسفن التجارية كان له، دون شك، الأثر الكبير في انقاص وزن الدراهم وضعف عيارها في العهدين المذكورين.

---

(١) BALAFIER، Mohamed، Tresors et collections de Monnaies islamique des Musees du Yemen، These de Doctroact، Universite de Paris - Sorbonne، tome 2، pp. 658 - 675.

(٢) Porter، op.cit، pp. 24 - 25.

د- الفلس:

يشكل الفلس الحلقة الأخيرة في سلسلة النظام النقدي للدولة الطاهرية، ويصنع عادة من النحاس، وهو رغم انخفاض قيمته النقدية مقارنة بالدراهم مثلاً، إلاَّ أن استعماله كان رائجًا لدورة في تسهيل عمليات البيع والشراء الصغيرة التي تخص الحاجات المعيشية للناس. ومع أننا لا نعرف شيئًا عن وزن الفلس الطاهري، إلاَّ أن التعامل به كان من الأهمية إلى درجة أن الفلوس تعرضت في مدينة زبيد سنة ٩٠٤هـ للتغير وكثر زيفها[١].

رابعًا: سكة أبي طويرق أو السكة البدرية:

إن العرض السابق للعملة الطاهرية وأنواعها يوضح اهتمام السلاطين الطاهريين بسك النقود وإنشاء دور السك أو الضرب في أكثر من جهة أو مدينة وبخاصة المدن التي اتسمت بثقلها السياسي والاقتصادي والسكاني ومكانتها التجارية مثل مدينة تعز وعدن التي عرفت وقتذاك كدور ضرب للنقود، وفي تقديرنا أن مدينة الشحر كانت واحدة من أهم وأكبر دور الضرب التي أنشئت في عهد بني طاهر، وهذا ما يفهم من إشارة بعض المصادر التاريخية الحضرمية - التي أرّخت للقرن العاشر وما قبله - إلى الدينار الشحري والدرهم الشحري، مما يعني، دون شك، أنهما ضربا بمدينة الشحر كما كنا قد أشرنا. وهذه المكانة الكبيرة للمدينة كدار للضرب استمرت إلى ما قبل نهاية الدولة الطاهرية، ولعل خير دليل على ذلك أن الدولة الكثيرية إلى عهد بدر أبي طويرق كانت ملتزمة لبني طاهر بدفع أتاوة سنوية قدرها خمسة عشر ألف أشرفي وشيئًا من العنبر الأصلي[٢].

ومع ذلك، فإن أبي طويرق قد رأى أن من الأهمية بمكان، ومن ضرورات إضفاء الصفة الشرعية لحكمه والصفة السيادية لدولته أن يعمل على سك النقود لتلبية حاجة المعاملات التجارية والسوق النقدية من العملة، فأمر في شهر ربيع الأول من سنة ٩٣٤هـ بضرب الفلوس والتعامل بها[٣]. والفلوس كما ذكرنا تصنع من النحاس وتأتي في أدنى درجات النظام النقدي

---

(١) ٣٩. ابن الديبع: الفضل المزيد، ص ٢٤٨.

(٢) ٤٠. ينظر الهامش رقم (٨).

(٣) بافقيه: محمد بن عمر: تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ١٨٦. وكلمة فلوس (بالجمع) توحي إلى

من حيث قيمتها النقدية لكنها رغم ذلك اكتسبت أهمية كبيرة وراج استعمالها لدورها في تسهيل عمليات البيع والشراء الصغيرة لا سيما المعيشية اليومية منها. وحقيقة فإنا لا نعلم أية تفاصيل عن وزن الفلس البدري (نسبة إلى بدر أبي طويرق) كما الفلس الطاهري، لسبب بسيط هو عدم العثور - حسب علمنا - على قطعة واحدة منه حتى اليوم.

وبعد انقضاء أقل من عقد من الزمن، وفي خطوة واقعية لتعزيز النظام النقدي وتقويته، ضرب السلطان بدر البُقْشَةَ البَدْرِيَّة سنة ٩٤٣هـ[١].

والبقشة التي سكها أبوطويرق - من وجهة نظرنا - هي عملة فضية وليس كما وهم بعض المؤرخين المتأخرين[٢]، ومن تابعهم من الباحثين[٣]، أنها من النحاس، إذ إنه من غير المعقول ولا المنطقي أن يضرب أبوطويرق، الفلوس وهي من النحاس ثم يعود بعد سنوات قليلة تقل عن العشر أن يضرب البقشة من النحاس أيضـًا.

وفي هذا السياق ذكر كلًا من باوزير وبامطرف أن العملة التي ضربها أبو طويرق كانت في شكل ريالات من الفضة: فئة الريال وفئة نصف الريال وفئة ربع الريال، وكان ذلك في سنة ٩٣٧هـ، وهو تاريخ لم تذكره المصادر التي بين أيدينا، وقد ذهب الشاطري نفس المذهب وإن كان إلتزم بسنة الضرب ٩٤٣هـ التي ذكرها المؤرخ بافقيه الشحري.

وبالنسبة إلى الريال فهو لم يعرف في حضرموت في عهد أبي طويرق والقرن العاشر، ولا في اليمن بصفة عامة، ولم تذكر المصادر التاريخية شيئًا عنه ولو وجد لما سكتت عنه. وصحيح أن بعض الأئمة الزيديين قد ضربوا البقشة من النحاس إلاَّ أن ذلك كان في زمن متأخر بكثير عن زمن أبي طويرق، كما هو حال الإمام الهادي لدين الله محمد بن أحمد بن الحسين بن القاسم(١٠٩٨-١٣٣١هـ) المعروف بصاحب المواهب والذي دعا لنفسه ثلاث مرات حتى أنه عرف بذي الألقاب الثلاثة، وهذا حكم في نهاية القرن الحادي عشر واستمر حكمه إلى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، وضرب نقودًا نحاسية عرف منها إلى الآن

تعدد أحجامها وهذا ماذهب إليه سعيد باوزير من أن النقود النحاسية التي ضربها بدر أبو طويرق كانت كبيرة وصغيرة. ينظر صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١١٥.

(١) بافقيه تاريخ الشحر، ص٢٤٠.

(٢) الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج٢، ص ٣١.

(٣) دهلوس، يسلم صالح سالم: الدولة الكثيرية في حضرموت في عهد السلطان بدر بن عبدالله بو طويرق الكثيري، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، كلية الآداب، صنعاء، ٢٠٠٥، ص ٣٥

بعض القطع من سنة ١١٠٩هـ، ونقشت عليها كلمة بقشتين[١].

وعودٌ إلى بدء، يظهر جليًا أن باوزير والشاطري قد اعتمدا تمامًا على ما قدمه الكرملي[٢] من تعريف للبقشة بقوله:" البقشة أساس النقد عند اليمانيين، وتنقسم إلى نصف بقشة، وربع بقشة، وثمن بقشة، وكل عشر بقشات ربع ريال نمساوي، أو إمامي ويقال له عمادي، وكل أربعين بقشة تساوي ريالًا واحدًا إماميًا. والبقشة وأجزاؤها تُتخد من النحاس، وتضرب في صنعاء اليمن... والبقشة من التركية (بَاقَجَة) أو بَقْجَةْ أي صرة أو خرقة، لا سيما تلك الخرقة التي تلف بها الدراهم فسميت بذلك"..

إذاً، فالبقشة التي سكها السلطان بدر أبو طويرق هي نقد فضي، أو بمعنى أدق هي فئة صغيرة من الفضة كانت متداولة في القرن ١٠هـ/ ١٦م كما ذكر سرجنت[٣] وهذا ما يتطابق تمامًا مع ما ذكره ابن الديبع مؤرخ الدولة الطاهرية[٤] أن السيادة في النظام المالي والتداول النقدي في عصر هذه الدولة كان للعملات الفضية، فالفضة كانت في هذا العصر هي نقد البلد على حد تعبيره.

ولعل من المستغرب أن الأتراك العثمانيين لم يتخذوا من الشحر دارًا لضرب النقود مثلما فعلوا مع عدن رغم سياسة الود والتعاون والولاء التي أظهرها السلطان أبو طويرق اتجاههم[٥]، وربما يرجع ذلك إلى أنهم اكتفوا عوضًا عن الاحتلال المباشر للشحر بالتبعية الإسمية من خلال الخطبة للسلطان سليمان القانوني بن سليم الأول على منابر جوامع حضرموت ومساجدها قبل أبي طويرق، وفرض خراج سنوي يبلغ عشرة آلاف أشرفي[٦].

---

(١) Balafier، Op.cit، p. 595.

(٢) النقود العربية وعلم النميات، ص ١٦٨.

(٣) Serjeont، OP. Cit، p. 149.

(٤) بغية المستفيد، ص ١٦٠؛ الفضل المزيد، ص ١٥٤.

(٥) الجعيدي، عبدالله سعيد:" حضرموت والاحتلال العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥م،" مجلة سبأ، العدد (١٤-١٥)، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ/ يوليو ٢٠٠٧م، ص ٢٧٧- ٢٧٩.

(٦) بافقيه، محمد بن عمر: حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المربين والأولياء الصالحين، دراسة وتحقيق: أحمد صالح رابضة، الطبعة الأولى، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن، ٢٠١١م، ص ٢١٩.

خامسًا: التداول النقدي في حضرموت:

يتضح مما سبق ذكره، ومما وصل إلينا من معطيات تاريخية أن التداول النقدي بحضرموت في القرن العاشر الهجري وقبله كان يتم بوحدات النقد الأساسية الطاهرية وهي: الدينار الذهب ويليه الدينار الفضة ثم الدرهم الفضة، فضلًا عن النقود التي ضربها السلطان بدر أبوطويرق.

فبعد سيطرة بني طاهر على مدينة الشحر، إرتبطت حضرموت بالنظام النقدي للدولة الطاهرية، ولتوثيق أواصر هذا الارتباط جعل بنو طاهر من مدينة الشحر، وهي من أعظم المراكز التجارية بحضرموت ومن أكبر أسواقها، دارًا لضرب النقود، ولعل ما يؤكد ذلك إشارة المؤرخ شنبل[١] في أحداث سنة ٨٨٧هـ إلى التعامل بالدينار الشحري. وهذا يعني أن الدينار الطاهري سواء من ضرب الشحر أو غيرها من دور الضرب الأخرى قد تم التعامل به وتداوله قبل عهد أبي طويرق وفي أثنائه، من ذلك قيام السلطان الطاهري الظافر الثاني عامر بن عبد الوهاب سنة ٩٠٤هـ بتعمير سواقي وادي ثبي بنحو ألفي دينار وثلاثمائة،[٢] فضلاً عن مبلغ ألفي دينار الذي تم دفعه سنة ٩١٤هـ لطرف من أطراف متصارعة من آل كثير[٣].

إذا، هذه المعطيات التاريخية تبرهن، بما لا يدع مجالًا للشك، على أن الدينار الذهب الطاهري كان معروفًا بحضرموت في القرن العاشر الهجري وتم التعامل به وتداوله على نطاق واسع، لكن السؤال هنا هو: هل كان الدينار الذهب الطاهري وحده من هذا المعدن المتداول في السوق النقدية بحضرموت؟ لا شك في أن سلاطين بني طاهر قد اهتموا اهتماما كبيرًا بضرب الدينار الذهب، وتزخر مؤلفات ابن الديبع التاريخية عن زبيد بإشارات مهمة عن هذا النوع من النقد، لكننا لا نعلم على وجه اليقين الكميات التي كانت تضخ إلى الأسواق، والحق أن قسمًا كبيرًا منها كان يخصص للنفقات السلطانية، وبخاصة الأعمال الخيرية وبناء المساجد والمدارس وغيرها، فقد عرف عن السلاطين: الظافر الأول والمجاهد علي، والمنصور عبدالوهاب بن داود، والظافر الثاني كثرة نفقاتهم وصدقاتهم على الفقراء

---

(١) تاريخ حضرموت، ص ٢٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٧.

(٣) نفسه، ص ٢٣٣.

والمحتاجين التي تبلغ في كل مرة عشرات الآلاف من الدنانير،(١) وفضلاً عن ذلك كانت نفقات أفراد الأسرة المالكة تسحب كميات متفاوتة من الدنانير من خزانة الدولة، ولدينا بهذا الصدد مثال على قيام السلطان الظافر الثاني سنة ٨٩٤هـ بدفع مبلغ أربعين ألف دينار في كل عام من مال عدن لمن بقي من أخواله بحصن جبن(٢).

إن مدينة الشحر بحكم كونها واحدة من أربع دور ضرب طاهرية للنقود معروفة حتى الآن إلى جانب زبيد وتعز وعدن، وكذلك بحكم كونها ميناء تجاريا عالميًا كبيرًا وسوقًا حرة يلتقي فيها التجار من أقطار وبلدان عديدة كان من الطبيعي أن تعرف تداولًا نقديًا بعملات أخرى غير النقود الطاهرية والكثيرية من ضرب بدر أبي طويرق. ومن أشهر تلك العملات الدينار الذهب الأشرفي المصري المملوكي(٣)، الذي راج استعماله كثيرًا وتعامل به سلاطين بني طاهر أنفسهم(٤).

ويرجع ضرب الدينار الذهب الأشرفي إلى السلطان المملوكي البرجي الأشرف سيف الدين برسباي (٨٢٥-٨٤١هـ/ ١٤٢١-١٤٣٧م)، وكان سبب ضربه لهذا الدينار عدم ثبات واستقرار الدينار المملوكي على عيار أو وزن واحد خاصة بعدما دخل إليه الفساد، وكذلك كثرة الدوكات البندقية التي غمرت الأسواق المصرية(٥)، وحَسُن التعامل بها، وهي

(١) ابن الديبع: الفضل المزيد، ص١٤٦، ١٥٩، ١٦٤، ١٩٨، ٢٣٤، ٢٥٧، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٤٣.

(٢) المصدر نفسه، ١٤٧.

(٣) ليس صحيحاً ما أورده موسى الحسيني المازندراني من أن الأشرفي هو نقد ذهبي إيراني ضربه السلطان فتح علي شاه، وناصر الدين شاه، والملك مظفر الدين شاه، والملك أحمد شاه ملوك قاجار ينظر كتابه: تاريخ النقود الإسلامية، الطبعة الثالثة، دار العلوم، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٠٨-١٠٩. فهؤلاء الملوك أو شاهات قاجار حكموا في القرن الثالث عشر الهجري. ينظر بهذا الصدد: زامباور إدواردفون: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٣٨٩، ٣٩٢- ٣٩٣. فالمقصود هنا قطعاً الدينار الذهبي المصري. ولا نستبعد أن يكون شاهات قاجار ضربوا الدينار الأشرفي، ولكن ذلك كان في وقت متأخر جداً عن عصري الدولة الطاهرية والدولة الكثيرية الأولى بحضرموت.

(٤) ابن الديبع: الفضل المزيد، ص ١٣١، ١٤٦.

(٥) الجابر النقود العربية الإسلامية، ص ٢٤٦. ولمزيد من التفاصيل عن أوزان الدنانير المملوكية ينظر BALOG، Paul، The Coinge of The Mamluk Sultans of Egypt and Syria، the American numismatic Society، numismatic studies، No. 12، New York، 1964، pp. 39-47.

عملة عرفت في الشرق باسم (بندقي) أو (افرنتي)، وسماها مؤرخو مصر بالمشخصة لوجود صور القديسين على وجهها وصورة دوق البندقية على الوجه الآخر. ولذلك ولإعادة الثقة إلى الدنانير المملوكية قام الأشرف بتشجيع البنادقة على سك نقودهم الذهبية الافرنتية في دار الضرب السلطانية بالقاهرة في توجه منه لتمصير النقود الإيطالية الرائجة في الأسواق وقتذاك، فضرب الدنانير الأشرفية بنفس وزن وعيار الافرنتي (٣,٤٥غ)، كما أصدر الأشرف برسباي أمره سنة ٨٢٩هـ بإبطال التعامل بالدنانير المشخصة من الدوكات بسبب وجود صور الكفار عليها، وإحلال الافلورية الأشرفية ضرب القاهرة محلها[١]. والحق أن هذا الإصلاح النقدي للأشرف برسباي قد حقق أهدافه وأدى إلى استقرار النظام النقدي للعملة الذهبية؛ وهو إصلاح وجد له صدى في عهد السلطان المملوكي الظاهر سيف الدين جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٣م)، والذي سار على سياسة برسباي النقدية في تمصير الدنانير (الافلورية) وهي عملة ذهبية (فلورين) ضربت بفلورنسا، وعرفت في الأسواق الشرقية باسم (افلوري)[٢] ومن بعد الظاهر جقمق حكم عدد من السلاطين الذي تسموا بالأشرفي، وهذا مايفسر بقاء اسم الدينار الأشرف إلى نهاية عصر السلاطين المماليك في مصر. وعليه يمكن القول إن الدينار الأشرفي المصري كان معروفًا وقتذاك في الأسواق اليمنية.

وفي حضرموت عرف الدينار الأشرفي المصري، وبهذا الصدد أشارت المصادر الحضرمية التي أرخت للقرن العاشر إلى انتشار التعامل به في سنوات: ٩٠٦هـ،[٣] ٩٢٠هـ،[٤] ٩٤٢هـ،[٥] ٩٤٧هـ،[٦] ثم إن الأتاوة السنوية التي كان يدفعها سلاطين آل كثير ومنهم السلطان بدر أبو

(١) الجابر: النقود العربية الإسلامية، ص ٣٤٦. ويرى أنه لعل من أهم عوامل انتشار دوكات البنادقة في مصر والشام والحجاز واليمن هو دقة سك هذه النقود وثبات وزنها (٣,٤٥غ).

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٤٧.

(٣) بافقيه: تاريخ الشحر، ص١٤٩.

(٤) شنبل: تاريخ حضرموت، ص٢٥٦.

(٥) بافقيه تاريخ الشحر، ص٢٣٣.

(٦) باسنجلة، عبدالله بن محمد بن أحمد: تاريخ الشحر المسمى: العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٧١.

طويرق إلى خزانة الدولة الطاهرية بعدن والتي تقدر بخمسة عشر ألف أشرفي ذهبا هي من هذا النقد.

ثم حل الأشرفي العثماني محل الأشرفي المصري في حضرموت كما بقية الأقطار والمدن العربية، وترجع تسمية النقد الذهبي العثماني بالأشرفي إلى عهد السلطان سليم الأول (٩١٨ - ٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م)، إذ إنه بعد سيطرته على الشام ومصر أمر بضرب نقود جديدة سميت (سلطاني) أو (أشرفي)، وأشرفي هو في الحقيقة تحريف للفظة (شريفي)، أي الصادرة عن الإرادة السلطانية الشريفة التي تعني بمفهوم العثمانيين (مالك دائم وَسلطة أبدية)،[١] وهذا يعني أن السلطان سليم الأول قد ضرب الدينار الأشرفي في مصر بعد استيلائه عليها، وفي عهد ابنه سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) سكت النقود الذهبية سنة ٩٢٦هـ، وهي لا تختلف عن مسكوكات والده إلا في الاسم وتاريخ الضرب، وكذا الحال في عهد ابنه سليم الثاني (٩٧٤-٩٨٢هـ - ١٥٦٦-١٥٧٤م)، الذي أضاف على النقود الذهبية التي ضربت بمصر نقوشًا صغيرة تشبه الزهور حول الألقاب الفخرية مع تغيير الاسم والتاريخ[٢].

أما اليمن التي تحولت إلى ولاية عثمانية في عهد سليمان القانوني، فقد أنشأ السلطان المذكور دارًا لسك النقود في مدينة زبيد، لأنها مركز تجمع القوات العثمانية[٣] ومن حسن الحظ أنه تم العثور على عدد من النقود الذهبية والفضية التي ضربت في عهده باليمن، ولا سيما في دور ضرب زبيد وعدن وصنعاء والحديدة.

وبالنسبة إلى حضرموت، فقد أعلن السلطان الكثيري بدر أبو طويرق الولاء للسلطان سليمان القانوني بعد ما استقبل مبعوث الأخير في سنة ٩٤٤هـ والذي حمل معه مرسومان وخلعتان للسلطان أبي طويرق، وقرأ المرسومان في جامع مدينة الشحر الفقيه عبدالله بن عمر بامخرمة،[٤] كما أمر أبو طويرق الخطباء في جوامع حضرموت ومساجدها أن يخطبوا

---

(١) محمود علي عامر: المكاييل والأوزان والنقود منذ فجر الإسلام وحتى العهد العثماني: دراسة وثائقية، مطبعة ابن حيان، دمشق، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٥١-١٥٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(٣) نفسه، ص ١٦٠.

(٤) POPP،V; PUIN،R،WILSKI،H.،Ottoman coins of yemen Turk Numismadik Derneginin، 2o Kurulus Yilinda Ibrahim Artuk'a Armagan، Istanbul، 1988، pp. 255-256.

للسلطان العثماني سليمان القانوني قبله[١]، وفي سبيل تأكيد تبعية أبي طويرق للسلطان العثماني وولائه له فرضوا عليه خراجا سنويًا قدره عشرة آلاف أشرفي، وجرى ذلك ولم يف لهم كل سنة قاصدة على حسب تعبير بافقيه[٢]، والمقصود بالأشرفي هنا دون شك هو الأشرفي العثماني، لأن العثمانيين بعد سيطرتهم على سورية وفلسطين ومصر بدؤوا بسحب العملات المملوكية من الأسواق وأحلوا محلها نقودهم الجديدة[٣].

على أية حال، فالعملة الذهبية التي كانت معروفة بحضرموت وتم التداول بها في أسواقها والمعاملات الأخرى هي الدينار الذهبي الطاهري والأشرفي المملوكي المصري وأضيف إليها الأشرفي العثماني. والمقصود هنا بالدينار الطاهري الدينار الشحري الذي ضرب بمدينة الشحر وكذلك دور الضرب الأخرى. وبصدد الأشرفي العثماني نشير إلى معطى تاريخي في غاية الأهمية، إذ بعد سيطرة العثمانيين على عدن أنشاوا بها دارًا لضرب النقود الذهبية والفضية، ومن ذلك الأشرفي العدني من الذهب، وبهذا الصدد ذكر بعض المصادر التاريخية الحضرمية أن حضرموت قد عرفت التداول النقدي بالأشرفي العدني في سياق تدوينها لأحداث سنوات ٩٤٧هـ و ٩٤٨هـ.[٤] ونظن أن وزنه لا يختلف عن أشرفي زبيد إذ يبلغ الحد الأقصى لوزن الأخير (٣،٥٢غ)[٥].

وأما العملة الفضية التي عرفتها حضرموت في القرن العاشر الهجري فقد كانت دون شك الدرهم الطاهري والبقشة البدرية للسلطان بدر أبي طويرق فضلًا عن النقود الفضية التي سكت في دار ضرب عدن في أيام العثمانيين، إذ يفهم من معطيات المصادر التاريخية أن هذا الدار قد دأب على ضرب العملة الفضية إلى جانب الأشرفي العدني ولعل خير دليل على ذلك ما ذكره المؤرخ بافقيه[٦] في أحداث سنة ٩٤٦هـ ولا سيما في مستهل جمادى الأولى

(١) بافقيه: تاريخ الشحر، ص ٢٤٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥٨.
(٣) محمود علي عامر: المكاييل والأوزان والنقود، ص ١٥٣.
(٤) ينظر مثلاً باسنجلة، العقد الثمين، ص ٧١، ٨٠.
(٥) POPP، OP.cit، p.255.
(٦) تاريخ الشحر، ص ٢٧٠.

عن سكة جديدة من الفضة تسببت في الحاق الأذى بالناس، وهي على حد قوله لأنه وقع في كيفية صرفها أمور لم تنضبط.

وعود إلى الدرهم، فحضرموت بقدر ماعرفت التداول النقدي بالدراهم الطاهرية، عرفت التداول كذلك بالدرهم الشحري الذي ضرب بمدينة الشحر في عصر الدولة الطاهرية، ولدينا في هذا الصدد من المعطيات التاريخية ما يؤكد ذلك، ففي سنة ٩١٢هـ ارتفعت أسعار المواد الغذائية حتى بلغ التمر الهجري عشرة بدرهم شحري والمقلّف سبعة بدرهم،[١] وفي السنة التالية ٩١٣هـ حلت بحضرموت مجاعة عظيمة ترتب عليها غلاء الأسعار، وكان التعامل النقدي بالدرهم الشحري وبالدينار الفضي والدرهم، والأمر كذلك في سنوات ٩١٤هـ، ٩١٥هـ، ٩١٨هـ، وسنة ٩٢٠هـ، لكن بعد أن ضرب أبو طويرق البقشة البدرية - وهي من الفضة كما كنا قد ذكرنا - تم تداول العملة المذكورة، ومما يؤكد قيمة البقشة في حركة التداول النقدي، ما أصاب حضرموت سنة ٩٤٧هـ من موجة غلاء الأسعار فقد ذكر باسنجلة أن سعر مصرى الطعام الذرة بلغ في شبام بقشتين، والتمر رطل وثلث ببقشة ولا يوجد طعام ولا تمر على حد تعبيره[٢].

بعد كل ما سبق عرضه، فالسؤال هنا هو: هل كان التداول النقدي في حضرموت بصفة عامة، وفي مدينة الشحر بصفة خاصة ينحصر في العملة الوطنية وما أتينا على توضيحه من عملات أخرى؟

إن الإجابة على هذا السؤال لا تستدعي بالضرورة الحديث عن موقع الشحر الاستراتيجي في طريق التجارة الشرقية باعتبارها المنفذ البحري الرئيسي لحضرموت المطل على بحر العرب والمحيط الهندي، ولا عن كل علاقاتها التجارية مع الأقطار الأخرى، فمثل هذا الموضوع قد أشبع درسًا وتحليلًا من قبل المؤرخين القدامى والمحدثين، ولكننا مع ذلك نشير باختصار إلى أن مدينة الشحر كانت واحدة من أهم ثغور اليمن ومركزًا تجاريًا عظيمًا في المحيط الهندي، فهي المرسى الرئيس لحضرموت وهو - كما مدينة عدن - تتردد عليه مراكب الهند والسند والصين وكرمان وعمان، إذ كان يوجد في الشحر وكلاء من جنسيات

(١) شنبل، تاريخ حضرموت، ص٢٢٦.

(٢) العقد الثمين، ص ٧١.

متعددة ومن مختلف الموانئ التجارية على طريق المحيط الهندي والبحر الأحمر.[١] وهذا يعني أن الشحر كانت ملتقى التجارة ومقصد التجار من أقطار عديدة، من الحجاز ومصر وشرق أفريقيا ومن أقطار الشرق العديدة لا سيما الهند والسند والصين وإيران الحالية وعمان ولعل ما يؤكد ذلك العثور في عام ١٩٤٨م على عدد كبير من الفخار الصيني والفارسي في الطبقات الحضارية للمدينة القديمة وكذلك فخار وقطع زجاجية وأساور،[٢] وتبعًا لذلك، فقد تحولت مدينة الشحر إلى مركز تجاري عالمي، وإلى سوق حرة انتعشت في ظلها حوانيت الصرافة، فكان هؤلاء التجار يأتون ببضائعهم وبعملات بلدانهم ويتداولون بها لتسهيل معاملاتهم التجارية، وهذا ما ذهب إليه المستشرق الإنجليزي سرجنت بقوله: "وأعتقد أن الكثير من النقود الأجنبية كانت متداولة في عدن والشحر"[٣]، وعليه فقد شهدت مدينة الشحر إزدهارًا تجاريًا وماليًا بالمعنى الواسع للكلمة.

وهكذا كانت المعاملات المالية والتداول النقدي تتم في مدينة الشحر، وكانت حوانيت الصرافة تقوم بما تقوم به البنوك والشركات المالية في أيامنا، والفرق بين عمل حوانيت الصرافة في ذلك القرن، وعمل البنوك والشركات المالية هو الفرق بين التعامل بالنقود المعدنية في الماضي، وبين النقود الورقية في عصرنا.

الخلاصة:

يعتبر القرن العاشر بكل المقاييس قرن ازدهار حضاري في حضرموت، فقد خلّف هذا القرن مآثر حضارية جمّة لعل أهمها المدرسة السلطانية (البدرية) التي أنشأها السلطان بدر أبو طويرق، وعُدَّت في زمانها أثرا فريدًا وآية من آيات الفن المعماري الإسلامي. وفضلًا عن ذلك، كان القرن العاشر الذي حكم فيه أبو طويرق من أزهى القرون وأثراها بالمؤرخين والعلماء والأدباء، فقد شهد ظهور ونبوغ كوكبة من هؤلاء كل في اختصاصه مثل الفقيه اللغوي العلامة محمد بن عمر بحرق، والشيخ الفقيه والشاعر الأديب عبدالله

---

(١) سرجنت أر.ب: مينائي عدن والشحر في العصر الإسلامي الوسيط"، في كتاب: دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، ترجمة: نهى صادق، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٣م،ص ٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٣. ومن أسف أننا لم نحصل على نسخة من تقرير بعثة الآثار الفرنسية التي قامت بحفائرها الآثارية في المدينة القديمة حتى يتسنى لنا الاستفادة منه.

(٣) نفسه، ص ٥٦.

بن عمر بامخرمة، والشيخ أبي بكر العيدروس الصوفي المشهور، والعلامة الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات، والشيخ عبدالرحيم باوزير، والشيخ معروف باجمال، والشاعر الصنديد عبدالصمد باكثير، وغيرهم كثير من أجلة الفقهاء كالشيخ محمد بن أحمد بافضل وابن عبسين وبامزروع وبايزيد وباقشير[١].

وغني عن القول، إن مدينة الشحر الساحلية قد حظيت باهتمام كبير من قبل السلاطين الكثيريين ومن سبقهم، وبلغت مكانتها عندهم إلى درجة أن السيطرة عليها كان شرطًا ضروريًا لتأمين الموارد الكافية لخزانة الدولة ولذلك حرص كل سلطان منهم على تحقيق ذلك، لأن بتملكه على الشحر كان بإمكانه خنق تجارة البلاد،[٢] وفي هذا دليل على أهميتها السياسية والاقتصادية. وبعبارة أخرى فمدينة الشحر - حاضرة حضرموت إذا جاز التعبير - بقدر ما كانت مدينة العلم والسياسة، كانت بالقدر نفسه مدينة التجارة والمال، وساعدها في ذلك - كما مدينة عدن - موقعها الاستراتيجي في طريق التجارة البحرية الشرقية الذي جعل منها مرسىً للسفن القادمة من أقطار الشرق وشرق أفريقيا، ومركزًا تجاريًا مهمًا محليًا وعالميـًا.

ولعل مما زاد من الأهمية السياسية والاقتصادية لمدينة الشحر احتفاظها بمكانتها كدار ضرب للنقود منذ أيام الدولة الطاهرية حتى عهد بدر أبي طويرق، وفي تقديرنا - وهذا ما فهمناه من المعطيات التاريخية - أنها كانت دار الضرب الوحيدة في حضرموت في القرن العاشر الهجري. ومن أسف أنه لم يعثر بعد على أمثلة أو نماذج من النقود التي ضربت في القرن المذكور.

وهكذا فقد تحولت مدينة الشحر ليس فقط إلى ميناء ومرسى للسفن ومركز تجاري عالمي، بل إلى مدينة للمال والأعمال، انتشرت في أسواقها - كما هي الحال اليوم - حوانيت الصرافة التي كان لها، دون شك، الأثر الكبير في انتعاش التجارة وحركة التداول النقدي للعملات الوطنية وبخاصة النقود الفضية التي كانت أساس النقد في عصر بني طاهر، والتي وصفها ابن الديبع - مؤرخ الدولة الطاهر بأنها نقد البلد، وكذلك التداول بعملات

(١) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١١٦.

(٢) سرجنت: مينائي عدن والشحر، ص ٤٢.

الأقطار الإسلامية الأخرى كالدينار الذهب الأشرفي المصري الذي ينسب أول ضرب له إلى السلطان المملوكي البرجي سيف الدين برسباي، والأشرفي الذهب العثماني الذي ضرب في عهد السلطان سليم الأول بعد سيطرته على سورية ومصر، ومن بعده ابنه سليمان الأول (القانوني)، والأشرفي الذهب العدني الذي ضرب بعدن في عهد السلطان سليمان القانوني نفسه، وهذا النقد الأشرفي راج التداول به في أسواق المدن اليمنية وفي أسواق مدينتي عدن والشحر. وعلاوة على ذلك فقد عرفت حوانيت الصرافة بالشحر - كما مدينة عدن - التعامل بنقود ممالك الهند وفارس وغيرها وهي أقطار ارتبطت مع مدينة الشحر - كما عدن - بعلاقات تجارية لم تبخل علينا المصادر الجغرافية والتاريخية من وصفها أو الإشارة إليها، وهذا ما دفع المستشرق الإنجليزي سرجنت إلى القول إن الكثير من النقود الأجنبية كانت متداولة في عدن والشحر.

الحياة العلمية في حضرموت في القرن العاشر
العلوم التطبيقية نموذجًا

د. أحمد هادي باحارثة
جامعة الأندلس / صنعاء

مقدمة:

لحضرموت بعدها العميق في السمو الحضاري والرقي الفكري والنشاط العلمي، عمق تاريخها العريق الموغل في القدم، وقد ازداد هذا النشاط العلمي حراكًا وتفاعلا مع محيطه العربي في القرن العاشر الهجري الذي يعد بحق عصرًا ذهبيًا في الحياة العلمية بل الفكرية والحضارية بحضرموت.

ومن هذا المنطلق يأتي بحثنا الوجيز هذا بدافع المشاركة في تلبية نداء مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر لمؤتمره الثاني عن التاريخ والمؤرخين الحضارمة، وخص به في موسمه هذا أفسح قرونه الهجرية، وهو القرن العاشر الغزير بالعلماء وما أسفر عنه وجودهم وجهودهم من إنتاج علمي جاد ورصين.

وقد اخترت في مشاركتي البحثية هذه محور الحياة العلمية والحضارية بحضرموت خلال ذلك القرن، وتوجهت تلقاء العلوم التطبيقية لعلو شأنها في حياتنا الراهنة وتعلق الجيل الحضرمي الحالي بها، وانبهاره بما ينتجه الآخرون ولاسيما من غير العرب مع غفلة عن ما لآبائهم من مشاركة أصيلة فيها، وتقصير الأوعية العلمية التي تتناول تلك العلوم بالتدريس عن مثل هذا التعريف في مقرراتها التعليمية.

وقد قسمت البحث ثلاثة مباحث، فبحث أتى تمهيديًا تضمن تعريفًا بمفهوم العلم والعلوم التطبيقية على وجه الخصوص، والبحث الثاني عرف بإيجاز عن حال البيئة العلمية بحضرموت بصورة عامة وموجزة في ما قبل القرن العاشر وخصصت منها ما يتعلق بموضوع البحث أي العلوم التطبيقية، ثم يأتي المبحث الثالث والأخير عرضًا تعريفًا موجزًا بالعلماء المشاركين في هذا النوع من العلوم، ثم الوقوف عند كل علم وبيان مشاركة كل عالم حضرمي فيه خلال قرن الدراسة، مع تعريف ميسر ببعض مصطلحاتها أو طبيعة موضوعاتها.

وتلك العلوم التطبيقية التي رصدتها أو رصدت مشاركة الحضارمة في التأليف بها هي خمسة علوم: الفلك، الطب، الرياضيات، الهندسة، والملاحة البحرية.

راجيًا أن أكون ببحثي هذا الذي أقدمه للمركز قد ردمت هوة في فراغ غياب المعلومة أو محدودية انتشارها، وأن يحرص ذوو العلاقة على الاهتمام بالتأصيل لمثل هذه العلوم في تاريخ حضرموت وأسلافنا الأماجد، بإذن الله تعالى.

المبحث الأول: مفهوم العلوم التطبيقية وموقف الإسلام منها

مفهوم العلم والعلوم التطبيقية:

يُعدّ العلم أحد أشهر النشاطات الإنسانية، وأصبح العلم فعالية لا تنفك عن الإنسان، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن تيمية: "هذه الأعضاء الثلاثة هي أمهات ما يُنال به العلم ويُدرك، أعني العلم الذي يمتاز به البشر عن سائر الحيوانات دون ما يشاركها فيه من الشم والذوق واللمس، وهنا يدرك به ما يحب ويكره، وما يميز به بين من يحسن إليه ومن يسيء إليه إلى غير ذلك" [(١)]، "ثم إن العين تقصر عن القلب والأذن وتفارقهما في شيء وهو أنها إنما يرى صاحبها بها الأشياء الحاضرة والأمور الجسمانية مثل الصور والأشخاص، فأما القلب والأذن فيعلم الإنسان بهما ما غاب عنه وما لا مجال للبصر فيه من الأشياء الروحانية والمعلومات المعنوية، ثم بعد ذلك يفترقان: فالقلب يعقل الأشياء بنفسه؛ إذ كان العلم هو غذاؤه وخاصيته، أما الأذن فإنها تحمل الكلام المشتمل على العلم إلى القلب، فهي بنفسها إنما تحمل القول والكلام، فإذا وصل ذلك إلى القلب أخذ منه ما فيه من العلم، فصاحب العلم في حقيقة الأمر هو القلب، وإنما سائر الأعضاء حجية له توصل إليه من الأخبار ما لم يكن ليأخذه بنفسه" [(٢)].

ويمكننا استخراج أمر في غاية الأهمية من النص السابق، وهو أن العلوم الدنيوية الحسية ترتبط غالبًا بالعين، ومن هنا جاءت أهمية "الملاحظة والتجربة" للعلوم التجريبية البشرية،

(١) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ٥/ ٥٠.
(٢) نفسه.

وأصبحتا مكوِّنين مهمِّين من مكونات المنهج التجريبي، أما العلوم المعنوية -ولاسيّما الدينية- فهي ترتبط بالأذن والقلب؛ فالأذن طريق الخبر، وتوصله إلى القلب، والقلب إن كان على الفطرة وسلم من الشبهة والهوى وبقية الصوارف تَحَقَّقَ له العلم الأسمى وانتفع به، ومن هنا تأتي أهمية السمع للعلوم الدينية؛ لأن مصدرها الوحي(١).

ما المراد بالعلم؟

ربما يكون من العجب كثرة الاختلاف في تعريف العلم؛ إذ نجد اختلافات كثيرة في كتب اللغة وغيرها حول تعريفه، قال الزبيدي: "وقع خلاف طويل الذيل في العلم حتى قال جماعة إنه لا يحد؛ لظهوره وكونه من الضروريات، وقيل: لصعوبته وعسره"(٢)، وقال الرازي في تفسيره بعد ذكره لعدد من التعريفات: "ولما ثبت أن التعريفات التي ذكرها الناس باطلة، فاعلم أن العجز عن التعريف قد يكون لخفاء المطلوب جدًا، وقد يكون لبلوغه في الجلاء إلى حيث لا يوجد شيء أعرف منه ليجعل معرفًا له" (٣).

ثم ذكر الزبيدي بعض التعريفات فقال: "قلت: وقال الراغب: العلم إدراك الشيء بحقيقته... وقال المناوي في التوقيف: العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، أو هو صفة توجب تمييزا لا يحتمل النقيض، أو هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص" (٤).

وقال الجرجاني في تعريفه: "العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع. وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني. وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به. وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه. وقيل: هو مستغنٍ عن التعريف. وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات. وقيل: العلم وصول النفس إلى معنى الشيء. وقيل: عبارة عن إضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول،... وينقسم إلى

---

(١) النظريات العلمية الحديثة.. مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها، حسن بن محمد حسين الأسمري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ٢٠١٢، ٣٠

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية، ٣٣/ ١٢٦

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢/ ٤٢٠

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، دار الهداية، ٣٣/ ١٢٦

قسمين: قديم، وحادث، فالعلم القديم هو القائم بذاته تعالى، ولا يشبه بالعلوم المحدثة للعباد، والعلم المحدث ينقسم إلى ثلاثة أقسام: بديهي، وضروري، واستدلالي" (١).

ولا شك في أن التعريفات وإن اختلفت إلا أنها تعطينا المعنى التقريبي، ومما يهم من هذه التعريفات حول هذه الفعالية الإنسانية أمران: أنه فعالية ترفع الجهل الذي وُلد عليه الإنسان والوارد في آية النحل، وأنه فعالية تساعدنا على إدراك الأشياء، وإن اختلفت التعريفات حول درجة هذه المعرفة، فبإدراك الأشياء يرتفع الجهل ويتحقق العلم، وعمدته على الدليل، قال ابن تيمية: "العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول. وقد يكون علم من غير الرسول؛ لكن في أمور "دنيوية" مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة" (٢).

واشتهر وصف مثل هذه العلوم بصفة التطبيقية، والمقصود بها كل "دراسة غرضها تطبيق قوانين نظريّة على وقائع لتحقيق غايات عمليّة" (٣)، وتندرج فيها أيضًا العلوم التجريبية والطبيعية (٤)، وهي التي "تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار سواء أكانت أساسية كالكيمياء والطبيعة والفلك والرياضيات والنبات والحيوان والجيولوجيا، أو تطبيقية كالطب والهندسة والزراعة والبيطرة وما إليها" (٥).

وفي حضرموت كانت العلوم الدينية هي صاحبة الحضور الساحق ولم يأت الاهتمام غالبًا بالعلوم التطبيقية أو التجريبية إلا كنوع من التتميم لمباحث في العلوم الدينية كالمواريث والمواقيت مثلاً، أو لأغراض تتطلبها الطقوس التعبدية كمعرفة الوقت والاتجاهات، وتأتي علوم أخرى لا بقصد التطوير العلمي بذاته ولكن بنية الاشتغال بما يقيم صلاح الدنيا والعباد في أبدانهم وأرزاقهم، كالطب والصنائع والتجارة، ولأن عامة علماء حضرموت المشتغلين بالعلوم التطبيقية هم كذلك معدودون من علماء الدين وفقهاء الأمة كان من المناسب معرفة نظرة الإسلام لمثل هذه العلوم وأحكام الفقهاء تجاهها.

---

(١) التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ١٥٥

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٩٩٥، ١٣/ ١٣٦

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ٢٠٠٨، ٢/ ١٣٧٨

(٤) أبجد العلوم، محمد صديق خان، دار ابن حزم، ٢٠٠٢، ٤٦٧

(٥) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، ٢/ ٦٢٤

موقف الإسلام من العلوم التطبيقية وأمثالها:

وضع الإسلام العلم في مكانة عالية، فبوابة الإسلام هي العلم، وقد عقد البخاري بابًا مهمًا في صحيحه فقال: "باب العلم قبل القول والعمل"(١)، قال ابن حجر العسقلاني: "قال ابن المنير: أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يُعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما لأنه مصحِّح للنية المصحِّحة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: "إن العلم لا ينفع إلا بالعمل" تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه" (٢)، وفي الحديث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" (٣).

ويكفي دلالة على مكانة العلم في الإسلام أن أول سورة نزلت كان فيها الحديث عن العلم ووسائله، وهي سورة العلق التي ابتدأت بـ "اقْرَأْ" وجاء فيها توجيه الإنسان إلى نعمة القلم ونعمة العلم التي أعطانا الله إياها، فقال -تعالى-: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ - ٥]، قال القرطبي: "قوله -تعالى- [الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ] يعني الخط والكتابة؛ أي: علم الإنسان الخط بالقلم. وروى سعيد عن قتادة قال: "القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش". فدل على كمال كرمه سبحانه، بأنه علَّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبه على فضل علم الكتابة؛ لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو، وما دُوِّنت العلوم، ولا قُيِّدت الحِكَم، ولا ضُبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا" (٤).

وقال بعضهم: "لم يقتصر صلى الله عليه وسلم في عنايته بالقلم والتعليم به عند كتابة الوحي، بل جعل التعليم به أعم... من ذلك ما جاء في قصة أسارى بدر، حيث كان يفادي

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١/ ٢٤

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١/ ١٦٠

(٣) سنن ابن ماجة، ابن ماجة، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١/ ٨١

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ٢٠/ ١٢٠

بالمال من يقدر على الفداء، ومن لم يقدر -وكان يعرف الكتابة- مفاداته أن يعلِّم عشرة من الغلمان الكتابة، فكثرت الكتابة في المدينة بعد ذلك... فإذا كان المسلمون -وهم في بادئ أمرهم، وأحوج ما يكونون إلى المال والسلاح، بل استرقاق الأسارى- فيقدمون تعليم الغلمان الكتابة على ذلك كله، ليدل على أمرين:

أولهما: شدة وزيادة العناية بالتعليم.

وثانيهما: جواز تعليم الكافر للمسلم ما لا تعلُّق له بالدين، كما يوجد الآن من الأمور الصناعية، في الهندسة، والطب، والزراعة، والقتال، ونحو ذلك" [١].

بعد أن عرفنا شيئًا من الموقف الإسلامي من العلوم أختم ببيان حكمها عند أهل العلم، ولاسيّما من جهة الأحكام التكليفية "الواجب والمستحب والجائز والمكروه والمحرم"، فقد درج أهل العلم على مثل ذلك، ومن بينهم النووي، ففي مقدمة كتابه "المجموع" تكلم على ذلك وقسم العلم إلى قسمين: شرعي وغير شرعي، فقال عن القسم الأول: "باب أقسام العلم الشرعي هي ثلاثة: الأول: فرض العين؛ وهو تعلُّم المكلف ما لا يتأدى الواجب الذي تعين عليه فعله إلا به... القسم الثاني: فرض الكفاية؛ وهو تحصيل ما لابد للناس منه في إقامة دينهم من العلوم الشرعية، كحفظ القرآن والأحاديث وعلومهما، والأصول والفقه والنحو واللغة والتصريف، ومعرفة رواة الحديث والإجماع والخلاف. وأما ما ليس علمًا شرعيًا وُيحتاج إليه في قوام أمر الدنيا كالطب والحساب ففرض كفاية أيضًا نص عليه الغزالي، واختلفوا في تعلم الصنائع التي هي سبب قيام مصالح الدنيا كالخياطة والفلاحة ونحوهما، واختلفوا أيضًا في أصل فعلها، فقال إمام الحرمين والغزالي: ليست فرض كفاية، وقال الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري صاحب إمام الحرمين: "هي فرض كفاية، وهذا أظهر. قال أصحابنا: وفرض الكفاية المراد به تحصيل ذلك الشيء من المكلفين به أو بعضهم، ويعم وجوبه جميع المخاطبين به، فإذا فعله من تحصل به الكفاية سقط الحرج عن الباقين، وإذا قام به جَمْعٌ تحصل الكفاية ببعضهم فكلهم سواء في حكم القيام بالفرض في الثواب" [٢].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، طار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥، ٩/ ٢٠

(٢) المجموع شرح المهذب، النووي، دار الفكر، ١/ ٢٤

فقد جعل النووي تعلم العلوم العقلية الدنيوية البشرية النافعة من فروض الكفايات، وجعل لمن قام بفرض الكفاية مزية يختص بها، مع العلم أن لابن قيم الجوزية نقدًا لقسم فرض الكفاية يحتاج إلى تأمل إذ قال: "وأما فرض الكفاية -أي في العلم- فلا أعلم فيه ضابطًا صحيحًا؛ فإن كل أحد يُدخل في ذلك ما يظنه فرضًا، فيُدخل بعض الناس في ذلك علم الطب وعلم الحساب وعلم الهندسة والمساحة، وبعضهم يزيد على ذلك علم أصول الصناعة كالفلاحة والحياكة والحدادة والخياطة ونحوها، وبعضهم يزيد على ذلك علم المنطق" (١)، ومن اعتراضاته: "فلا فرض إلا ما فرضه الله ورسوله، فيا سبحان الله! هل فرض الله على كل مسلم أن يكون طبيبًا حجامًا حاسبًا مهندسًا؟!... فإن فرض الكفاية كفرض العين في تعلقه بعموم المكلفين، وإنما يخالفه في سقوطه بفعل البعض" (٢)، واعتراضه هنا إنما هو على جعلها فرض كفاية وليس اعتراضه على صحتها في ذاتها أو جواز تعلمها (٣)، ومع ذلك فمن العلماء من جعلها فرض كفاية من جهة النظر في حاجة الناس إليها، ومعلوم أن هذه الحاجات معتبرة في الشرع، قال ابن تيمية: "فلهذا قال غير واحد من الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم كأبي حامد الغزالي وأبي الفرج بن الجوزي وغيرهم: إن هذه الصناعات فرض على الكفاية؛ فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بها" (٤)، وقال النووي: "وأما الحرف والصناعات وما به قوام المعايش كالبيع والشراء والحراثة وما لابد منه حتى الحجامة والكنس فالنفوس مجبولة على القيام بها فلا تحتاج إلى حثٍّ عليها وترغيب فيها، لكن لو امتنع الخلق منها أثموا وكانوا ساعين في إهلاك أنفسهم، فهي إذن من فروض الكفاية"(٥).

المبحث الثاني: البيئة العلمية في حضرموت والمشاركة في العلوم التطبيقية قبل القرن العاشر

البيئة العلمية في حضرموت ما قبل القرن العاشر:

يلقانا في حضْرَموْت كثير من العلماء النابهين، والأدباء البارعين، وهم منبثون في كتب التراجم التي تتناول قرونًا متعاقبة، أو طبقات متتابعة، ولهم دلالتهم على ما كان وراءهم من

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١/ ١٥٧

(٢) نفسه

(٣) النظريات العلمية الحديثة.. مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها ٨١

(٤) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٨٠

(٥) روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، ت: زهير الشاوش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٠/ ٢٢٢

حركة علمية، وفيها ما يصور من بعض الوجوه النشاط العلمي وازدهاره بحضرموت ومراكز العلم بها من مدن وقرى، وقد تلقى هؤلاء علومهم في مدن حضرموت نفسها ولاسيما في فترة النشأة وبداية الطلب، عبر المساجد أو الأربطة والزوايا، أو الكتاتيب، أو عبر الرحلة العلمية في مراحل عمرية لاحقة.

وفي كتب التاريخ والتراجم فقهاء ومحدثون وقراء وعلماء حضرميون كثيرون جاوروا في بلاد الحرمين، أو استوطنوا اليمن، أو انتشروا في بلدان عربية مختلفة، ولاسيما مصر والشام، فلم تكن حضرموت منذ حقب مبكرة بعيدة عن الحركة الثقافية المجاورة لها في عدن وزبيد ومكة، فقد كان طلاب العلم الحضارمة وبعض علمائهم يفدون بصورة منتظمة إلى تلك المدن لحمل العلم وتلقينه، ويلقانا منهم كثيرون في كتب التراجم لقرون هجرية خلت قبل القرن العاشر، ذكر منهم الجندي مثلًا علي بن محمد ابن جديد (ت ٦٢٠) الذي جاور بمكة المكرمة [(١)] بعد أن مر بمدينة عدن وأخذ عن بعض فقهائها [(٢)]، وعبد الرحمن بن محمد حسان (ت ٧٢٤) الذي زار زبيد ومكة [(٣)]، ويقول الرواة إن مجلس الفقيه زيد بن عبد الله اليفاعي اليمني (ت ٥١٤) [(٤)] كان يغصّ بالفقهاء القادمين من حضرموت، فيذكر الجعدي [(٥)] من تلاميذه الفقيه يحيى بن أبي الخير محمد بن عبد الله الحضرمي [(٦)] من تَريم،

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك، بهاء الدين الجندي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٥، ٢/ ١٣٧

(٢) نفسه ٢/ ١٣٥

(٣) نفسه ٢/ ٣٢

(٤) زيد بن عبد الله اليفاعي: من كبار علماء اليمن الذين تتلمذ لهم فقهاء حضارم، توفي في الجند سنة ٥١٤ هـ. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص٨٢

(٥) الجعدي: عمر بن علي بن سمرة، مؤرخ وقاض من اليمن، فقيه شافعي تولى قضاء أبين، توفي نحو ٥٨٦، ألف كتاب طبقات فقهاء اليمن وخص منهم الشوافع فقط، يقول باوزير: " حين يذكر اليمن في كتابه يقصد به جميع أجزاء ومخاليف اليمن الطبيعية، فقد ذكر في كتابه هذا عددًا من الفقهاء الحضرميين على اعتبار أنهم من اليمن "، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ص٨١، وانظر الأعلام ٥/ ٥٥

(٦) أبو الحسين يحيى بن أبي الخير محمد بن عبد الله الحضرمي: من كبار فقهاء الشافعية وله تلاميذ كثر، ومن أبرز مؤلفاته كتاب البيان في الفقه الشافعي، وكتاب الانتصار في الرد على القدرية المعتزلة الأشرار، توفي سنة ٥٥٨ في منطقة ذي سفال بإب. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ٨١

وأيضًا محمد بن مفلح الحضرمي [١]، وهو الذي طلب إليه تأليف كتابه (استخراج المسائل المشكلة في المذهب) لأبي إسحق الشيرازي وأجابه إلى طلبه [٢].

وقد استفاد الطلاب المرتحلون ممن قابلوهم من العلماء بمختلف اتجاهاتهم العلمية، وذلك على حسب طول أو قصر المدة الزمنية التي يمكثها الطالب عنده، كما استفادوا تنوعًا في طرائق التلقي، وانفتاحًا في التفكير العلمي والمذهبي بسبب تعدد الشيوخ الذين تلقوا عنهم مختلف المعارف [٣]، وبذلك كان هناك تواصل منظم بين حضرموت والعلماء المجاورين لهم من اليمنيين والحجازيين، فضلا عن من كان يرحل في طلب العلم إلى حواضر عربية وإسلامية مثل بغداد والقاهرة وغيرهما [٤]، ويعود محملاً بالمصنفات والرسائل، وبالإجازات العلمية التي تتيح له روايتها ونشرها.

ثم عاد أولئك الدارسون، أو عادت كثرتهم إلى مواطنهم في مدن تَريم، وشِبام، ودوعن في وادي حضرموت، ومدن الشحر وغيل باوزير، وغيرها من بلدان حضرموت التي اشتهرت بأنها مراكز علمية، بل حتى في بعض القرى المعزولة، مثل قسم والعجز ويبحر وغيرها [٥]، وسرعان ما أخذت في تلقين ما تلقته من علوم ومعارف للشباب المتعطش للتعلم، وصاروا يقبلون عليها من مختلف مناطق حضرموت الشاسعة.

ويذكر الجعدي أيضًا في طبقاته [٦] عددًا من فقهاء حضرموت، من بينهم أبو جحوش [٧] من الهجرين، وأبو أكدر [٨] الذي جمع بين الفقه والقراءات السبع، من تريم، وذكر أيضًا

(١) انظر طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي بن سمرة الجعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١، ١٩٦

(٢) السلوك في طبقات العلماء والملوك ١/ ٢٩٦

(٣) الحياة العلمية في حضرموت ٢٤٩

(٤) انظر الجامع، محمد عبد القادر بامطرف، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨، فقد ذكر جموعا من الحضارمة المهاجرين لبلدان عربية وإسلامية مختلفة عبر التاريخ.

(٥) نفسه ١٢٢

(٦) نفسه ٢٢٠

(٧) أبو جحوش: هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد باعيسى، كان مبرزًا في علوم الشريعة وداعية، توفي سنة ٥٥٣ هـ. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ١٢١

(٨) أبو أكدر: هو الشيخ أبو بكر بن يحيى بن سالم أكدر من فقهاء تريم المتقدمين، توفي شهيدًا سنة ٥٧٥، وصفه ابن عبيد الله بالمحقق وقاضي القضاة وسيد القراء في عصره، انظر إدام القوت ٧٨٦

فقيهين من منطقة شبوة الحضرمية [1] هما عيسى بن مفلح، وأحمد بن سليمان[2]، ويحدثنا عبد الله بن محمد السقاف (ت ١٩٦٠م) في كتابه (تاريخ الشعراء الحضرميين) عن فقهاء كثيرين ترجم لهم، نذكر منهم ابن عقبة المتوفى في عدن سنة ٦٩٥، وعلي بن أبي بكر السقاف (ت ٨٩٥) [3]، وغيرهم، ولم يكن علماء حضرموت يعنون بالفقه فقط، بل إلى جانب ذلك اشتغلوا بعلوم دينية أخرى مثل الحديث والتفسير، وبعلوم لغوية وأدبية كالنحو والبلاغة والنقد، وكثير منهم كان ينظم القصائد، وشارك جماعة منهم في ما يعرف بعلوم الأوائل التي تشمل اليوم ما نصفه بالعلوم التطبيقية والطبيعية.

ومن ناحية أخرى يقول المؤرخون إنه قُتل كثير من فقهاء حضرموت وعلمائها في الحملة الغازية التي وجهها الأمير الأيوبي نائب توران شاه عثمان الزنجيلي/ الزنجاري من عدن إلى حضرموت [4]، وفي ذلك ما يدل على وفرة وجود الفقهاء والقراء ونشاطهم هناك، وعلى قوة ما لهم من تأثير مجتمعي، حتى قال الشاطري: "لم تخل حضرموت في أدوارها كلها من هذا النوع الممتاز بوفرة العلم ومتانة الأخلاق، وبعد النظر، ونزاهة القصد" [5].

العلوم التطبيقية في ما قبل القرن العاشر:

تبدو المعلومات شحيحة في ما يتعلق بالعلوم التطبيقية أو الطبيعية في حضرموت، وفي عامتها تندرج ضمن الإشارات الموجزة والعبارات الرامزة، وذكرت مصادر بعض الأسماء التي أسهمت في التأليف في تلك العلوم، وإن تكن معظم تلك المؤلفات حبيسة في ذاكرة الأيام، ولم تصنها الرفوف والدواليب من عاديات الزمان العجيب.

---

(١) انظر طبقات فقهاء اليمن ٢٠٢

(٢) انظر جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي ١/ ٣١٠

(٣) علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف (٨١٨ – ٨٩٥): مولده ووفاته بمدينة تريم، تلقى العلم في تريم والغيل والشحر ورحل إلى عدن وزبيد والحجاز، من مؤلفاته معارج الهداية والبرقة المشيقة، وله ديوان شعر. تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ٧٨

(٤) تاريخ حضرموت، أحمد بن عبد الله شنبل، ت: عبد الله محمد الحبشي، على نفقة محفوظ شماخ، ١٩٩٤، ٤٩

(٥) أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد الشاطري، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط٣، ١٩٩٤، ١٨٠

وقد أشارت المصادر التاريخية إلى بعض الصناعات القديمة في حضرموت كنسج البرود والحلل والشيال، كما عرفت بتصدير اللبان والعنبر [١]، وقد يدل ذلك على وجود معارف تطبيقية تتعلق بها، لإنتاجها ولحفظها وللاستفادة المثلى من مكوناتها[٢]، وأشارت بعض مصادر إلى اهتمام لدى طائفة من الحضارم وهم المهرة بعلم النجوم، وأنهم كانوا "محبين لعلم النجوم"[٣]، وهو علم يشمل معرفة مواقع النجوم وأوقات مطالعها ومغاربها[٤]، لكنها إشارة يلفها الغموض واختلطت ببعض المبالغات [٥].

وكان لبعض علماء حضرموت اشتغال بعلوم الكيمياء؛ وذلك لأغراض تتعلق في الغالب بتحضير الأدوية، أو صناعة العطور، وممن عرفوا بذلك الشيخ سعد بن أحمد بافضل من علماء القرن الثامن الهجري، وذكرت المصادر أنه كان لا يستعمل مهارته في الكيمياء إلا عند الحاجة [٦]، التي لا تخلو من بعض ما ذكرنا بدليل اشتغاله بعلم الطب والصيدلة.

ولا تذكر المصادر أعيانًا بذاتها امتشقت التأليف في العلوم التطبيقية إلا في قرون هجرية وسيطة، وتحديدًا من القرن الثامن الهجري حيث نلتقي بأمثال سعد بن محمد بافضل الذي ذكرت عنه أنه ألف كتابًا في علوم الطب والصيدلة تحت عنوان (المنوال في تفسير ما أشكل من العلل والأدوية والأبدال)[٧]، ولا تزال توجد نتف منه [٨]، ومن هؤلاء في القرن التاسع الهجري عبدالرحمن بن علي حسان (ت ٨١٨)، وقد ألف رسالة مفقودة في علم الفلك[٩]،

---

(١) انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥، ١/ ١٩٣

(٢) انظر تاريخ حضرموت، صالح الحامد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣، ١/ ٩٣

(٣) صفة جزيرة العرب، الحسن الهمداني، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤، ٣٧

(٤) انظر تاريخ حضرموت السياسي، صلاح البكري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٣٦، ١/ ٤٧

(٥) انظر الفكر والمجتمع في حضرموت، كرامة مبارك بامؤمن، دار التيسير، صنعاء، ط٣، ٢٠٠٦، ١٥٤

(٦) منهج الخطيب التريمي ومادته التاريخية في كتابه الجوهر الشفاف، د. محمد يسلم عبد النور، تريم للدراسات والنشر، تريم، ٢٠١٤، ٩٦

(٧) صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، محمد بن عوض بافضل، ١٩٩٩، لا مكان نشر، ٩٧

(٨) انظر الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة، د. محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠١٠، ٤٦٢

(٩) غرر البهاء الضوي، محمد علي خرد، مطابع المكتب المصري الحديث، ١٩٨٥، ٣٩٢

ومثله علي بن أبي بكر باعلوي (ت ٨٩٥) له رسالة مفقودة في الميقات[١].

المبحث الثالث: العلوم التطبيقية في القرن العاشر.. العلماء والعلوم

العلماء المشاركون في العلوم التطبيقية في القرن العاشر:

يلقانا بحضرموت في قرنها العاشر اهتمام واضح بالعلوم التطبيقية والطبيعية، وصنفها علماء العرب إلى علوم طبيعية تشمل علم الطب، وعلم النبات، وعلم الكيمياء، وعلوم رياضية، تشمل علم الهندسة، وعلم الهيئة، وعلم العدد، وجعلوا لكل علم فروعًا تتصل به وتنتمي إليه[٢]، ووردت في كتب التاريخ والتراجم عن ذلك أخبار متناثرة هنا وهناك.

والعلماء الحضارم الذين علمنا لهم مشاركات في هذه العلوم في القرن العاشر، استطعنا أن نعد منهم أحد عشر عالمًا، وهم على النحو الآتي:

١. **أبو الطيب عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت ٩٠٣)**: مولده في الهجرين ووفاته في عدن، نشأ يتيمًا، وتلقى العلم في شبام وعدن، وقد وصفه السخاوي بأنه "مِمن تقدم فِي الفِقه وأصوله والعربية والحَدِيث وَالتفسِير... متوجه لنفع الطلبة خَاصة مع علو همة وشرف نفس" [٣].

٢. **محمد بن أحمد بافضل (٩٠٣)**: مولده في تريم، ونشأ في غيل باوزير، وتلقى العلم فيها وفي تريم وعدن وزبيد، واستقر في عدن متفرغا للتدريس والتصنيف حتى وفاته، قال عنه العيدروس: "برع فِي العلوم وانتصب للتدريس وَالفتوَى وصار من أعلام الدين والتقوى وكان إمامًا كبِيرا عالما عَاملا محققًا ورعًا زاهدًا مجتهدا عابداً" [٤].

٣. **محمد بن عبد الرحمن باصهي (ت ٩٠٣)**: مولده ووفاته في شبام، تلقى العلم في تريم والشحر وغيل باوزير ومكة، له عدد من المصنفات الفقهية، قال عنه السخاوي الذي

(١) مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، عبد الله محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط٢، ٢٢٨، نقلا عن د. محمد باذيب، وقال: "لم أقف على ذكر له عند غيره، ولم يذكر الحبشي مصدره". جهود فقهاء حضرموت ١/ ٤٠٨

(٢) انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١، ١/ ١٤

(٣) الضوء اللامع ٥/ ٩

(٤) النور السافر ١/ ٢٤

لقيه في مكة: "خلف وَالِده فِي الفتيا وَالصلح ونحو ذَلك، وهو خير متعبد" (١).

٤. **عبدالله بلحاج بافضل (ت ٩١٨)**: مولده في تريم ووفاته في الشحر، طلب العلم في تريم وعدن ومكة والمدينة، قال عنه ابن العماد: "كان إماما، عالما، عاملا، عابدا، ناسكا، ورعا، زاهدا... لا يرى إلا في تدريس علم أو مطالعة كتاب أو اشتغال بعبادة وذكر" (٢).

٥. **محمد بن عمر بحرق (ت ٩٣٠)**: مولده في سيئون ووفاته في الهند، أديب ومن كبار العلماء، كثير التصانيف في علوم جمة، من تآليفه في علوم الدين والعربية: حلية البنات والبنين في ما يحتاج إليه من أمر الدين، نشر العلم شرح لامية العجم، شرح ملحة الإعراب للحريري، البهجة في تقويم اللهجة، فتح الأقفال شرح أبنية الأفعال، وله منظومة في حروف المعاني وشرحها فتح الرؤوف في معاني الحروف (٣).

٦. **عبدالله بن محمد باقشير (ت ٩٥٨)**: مولده في قسم ووفاته في العجز، وهما قريتان في شرق تريم، درس في تريم والشحر وعدن، قال عنه العيدروس: "كان من الأئمة المحققين، وَالعلماء العاملين، وَالفقهاء البارعين، صَاحب تصانيف مفيدة، وحيد زَمَانه علما وَعَملا وزهدًا وورعًا، جمع بَين معالم الشريعة وسلوك الطريقة وعلوم الحقيقة" (٤).

٧. **سليمان بن أحمد المهري (ت نحو ٩٦١)**: بحّار، فلكي، يلقب (معلم البحر)، كان من سكان جزيرة (سقطرى)، ويعد من تلاميذ ابن ماجد، له تآليف في علوم البحر وأنوائه، وأحوال النجوم والرياح، ووصف الطرق البحرية بين بلاد العرب والهند وجاوة والصين، منها (خمس رسائل) نشرها المستشرق الفرنسي جبريال فران مع رسائل لابن ماجد، هي (قلادة الشموس واستخراج قواعد الأسوس)، و(تحفة

---

(١) الضوء اللامع ٨/ ٣٧

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ت: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦، ١٠/ ١٢٥

(٣) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٣

(٤) نفسه ٢٢٤

الفحول في تمهيد الاصول)، و(المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر)، و(شرح تحفة الفحول في تمهيد الأصول) وله (العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية) [١].

٨. **عبدالله بن عمر بامخرمة (ت ٩٧١)**: مولده في الشحر وتوفي في عدن، من كبار العلماء وفقيه متصوف، كثير التأليف للشروح والحواشي والرسائل، منها شرح الرحبية وحاشية على أسنى المطالب والنكت على تحفة المحتاج لابن حجر، وله عدد من المنظومات العلمية وشرحها [٢].

٩. **عمر بن عبدالله بابشير (ت بعد ٩٧٠)**: فقيه فلكي، من دوعن، وفيها تفقه على يد والده وآخرين [٣].

١٠. **عبدالقادر بن أحمد الحباني (ت بعد ٩٧٠)**: من فقهاء حبان، مولده سنة ٨٩٣، تفقه على يد مشايخ عصره، وله عدد من المصنفات الفقهية [٤].

١١. **عبدالرحمن بن علي باغوث باحرمي (ت ١٠٠٠)**: مولده في تريم ووفاته في المدينة المنورة، تلقى علمه في تريم وزبيد ومكة. وله مصنفات، قال عنه الشلي: "الإمام المقدم على التحقيق، والسابق إلى الغايات، الذي جلي له الطريق، السالك سبيل الأقدمين على سنن قويم ويقين" [٥].

وقد تراوحت مشاركات هؤلاء العلماء ما بين تأليف الكتب المطولة، والرسائل الوجيزة، ونظم الأراجيز التعليمية، ثم قد يقوم الناظم نفسه بشرحها أو يشرحها غيره لا سيما إذا كثر تداولها بين طلبة العلم، وكذلك وضع الجداول الموضحة، والإسهام في شرح كتب أو منظومات متداولة في الوسط العربي العلمي.

وتعرف الرسالة بأنها: "ما يشتمل على قليل من المسائل التي يجمعها نوع واحد" [٦]، وكثيرًا ما يقاس حجمها بعدد الكراسات المكونة لها، والكراسة هي مجموعة من الأوراق

(١) الأعلام ٣/ ١٢١
(٢) انظر السنا الباهر ٤٧٠
(٣) جهود فقهاء حضرموت ١/ ٥٢٦
(٤) نفسه
(٥) السنا الباهر ٦٣٨
(٦) التعريفات ١١٠

يقدر عددها غالبًا بعشر ورقات [١]، والجدول عبارة عن "شكل يحتوي على مجموعة قضايا أو معلومات بوجه مختصر، تنظيم للبيانات والمعلومات في صورة صفوف وأعمدة" [٢]، أما المنظومة فهي نوع من ما يعرف بالشعر التعليمي الذي ازدهر منذ بدايات العصر العباسي[٣]، وتعددت بحور الشعر التعليمي لكن يغلب عليه استعمال بحر الرجز لسهولة تفاعيله بسبب كثرة جوازاته واختصاراته [٤]؛ فلهذا تسمى المنظومة بالأرجوزة.

العلوم التطبيقية في القرن العاشر:

أتت العلوم التطبيقية والطبيعية التي شارك علماء حضرموت بالتأليف فيها خمسة علوم، هي الفلك، والرياضيات، والهندسة، والملاحة البحرية، والطب، وأتت مشاركاتهم فيها ما بين كتب ورسائل ومنظومات وجداول، وذلك على النحو الآتي:

الفلك:

كثيرًا ما يسمى عند الأوائل بعلم الهيئة، ويعرفونه بأنه علم يتم عبره "معرفة تركيب الأفلاك وهيئتها، وهيئة الأرض"[٥]، وتتفرع منه علوم مثل علم المواقيت، وعلم التقاويم، وعلم الآلات الظلية، وغيرها، وعلم الفلك أو الهيئة من أبرز العلوم التي عكف الحضارمة على التأليف فيها والعناية بها، وذلك لمعرفة أوقات بعض العبادات المرتبطة بأركان الإسلام من صلاة وصوم وحج وزكاة، كما ارتبط بمصالح الناس في بعض شؤون دنياهم في البر والبحر، كمواسم الزراعة، ومواسم الاصطياد والرحلات البحرية.

وإذا بدأنا بعبدالله بن أحمد بامخرمة نجد أنهم قد ذكروا عنه أن له رسائل في علم الهيئة[٦]، لكنها لم تنص على عنواناتها، وهي في الغالب معدودة في المفقودات، ولنظيره محمد بن

(١) التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، ١٨١

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٣٥٣

(٣) العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١٤، ١٩٠

(٤) انظر علم العروض والقافية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ٧١

(٥) مفاتيح العلوم ٢٤٠

(٦) الضوء اللامع ٥/ ٩

أحمد بافضل (٩٠٣) رسالة في العمل بالربع المجيّب[١]، والمقصود به عند أرباب الهندسة هو نصف وتر ضعف القْوس [٢]، وهي مسألة أكثر علماء العرب من التصنيف حولها [٣].

وألف محمد بن عبد الرحمن باصهي (ت ٩٠٣) رسالتين في علم الهيئة، إحداهما في معرفة الأوقات والجداول، والأخرى في معرفة عين القبلة بطريقة الإسطرلاب[٤]، ولعبدالله بلحاج بافضل (ت ٩١٨) مشاركة في علم الفلك بتأليفه رسالة صغيرة في المواقيت ومعرفة سمت القبلة [٥]، ومثلها أيضًا رسالة فلكية أخرى من تصنيف محمد بن عمر بحرق في علم الميقات[٦]، ورسالة أخرى لعبدالله بن محمد باقشير تناول فيها المواقيت ودليل القبلة بالاستواء [٧].

وكان عبدالله بن عمر بامخرمة (ت ٩٧١) مكثرًا من التأليف في العلوم، فألف رسائل متعددة في علم الهيئة، تناول في رسالة منها مسألة الربع المجيب [٨]، اشتملت على مقدمة وعشرين بابًا، وقال فيها إنه سلك مسالك عالم الفلك العربي سبط المارديني (ت ٩١٢)[٩]، وهو يعني كتابه الشهير في علم الفلك (الرسالة الفتحية في الأعمال الجيبية)، وقد شرح

---

(١) جهود فقهاء حضرموت ١/ ٤٢٦

(٢) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي نكري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ١/ ٢٩٢

(٣) انظر أبجد العلوم، محمد صديق خان، دار ابن حزم، ٢٠٠٢، ٥٥٣

(٤) الدر والياقوت لابن جندان نقلا عن باذيب في كتابه جهود فقهاء حضرموت، وقال: "تفرد بذكرها السيد سالم ابن جندان باعلوي ولم أجدها عند غيره، كما لم نعرف مصادره فيها، فلا يمكن الجزم لنسبتها للمترجم إلا مع وجود معضد آخر" ١/ ٤٣٠، ويبدو باذيب هنا متوافقًا مع انتقاد الحبشي للكتابات التاريخية لابن جندان، لكن رأى طارق العمودي بأنه "من قبيل الجرح غير المفسر، فلم يدلل الحبشي بأدلة ملموسة على ما ذهب إليه، على الأقل في رده لكلام ابن جندان في باصهي". الخمير المفتوت معجم المصنفات الواردة في إدام القوت، طارق بن محمد العمودي، بحث غير منشور ١٦١

(٥) النور السافر ٩٣، وانظر جهود فقهاء حضرموت ١/ ٤٥٧

(٦) النور السافر ١٣٦، ووهم د. باذيب حين أشار إلى عدم ذكر العيدروس لها. انظر جهود فقهاء حضرموت ١/ ٤٧٤

(٧) جهود فقهاء حضرموت ١/ ٤٩٥

(٨) النور السافر ٢٥١

(٩) انظر جهود فقهاء حضرموت ١/ ٥٢١

كثيرون هذا الكتاب الذي يعد من أهم الكتب العربية في علم الفلك [١].

وألف بامخرمة رسالة أخرى تناول فيها ما يحتاج إليه في معرفة الأوقات وسمت القبلة ومعرفة الساعات وما يتعلق بذلك[٢]، ورسالة في اختلاف المطالع واتفاقها[٣]، وله رسالة أخرى في ظل الاستواء لعرض ثلاث درج في الجنوب[٤]، وأرجوزة في ظل الاستواء للشحر وما وافقها في العرض[٥]، وله رسالة في معرفة سمت القبلة لجهة الشحر وما قاربها، ثم شرع في نظمها، ومما قاله في هذا النظم [٦]:

الحمـد لله مـع التسـليم ... ثـم الصـلاة للنبـي الكريـم
وآلـه ومـن عنـي بصحبتـه ... وبعـد يـا طالـب صوب قبلته
في جهـة الشـحر ومـا يقـارب ... قابلْ لقرص الشمس وهو غارب
وخط خطًا سمت ظل الوقت ... وآخـرًا مقاطعًـا ذا السـمت
واعمـل لـه دائـرة ثـم اقسـم ... تسعين قسمًا كل ربع واعلم
بـأي نجـم أنـت في الشـبامي ... فـإن تكـن في هقعـة التمـام

كما لبامخرمة أرجوزة أيضًا في معرفة الظل بالقيراط[٧]، وهو "علم نتعرّف منه مقادير ظلال المقايس وأحوالها والخطوط التي سمتها أطرافها. ومنفعته معرفة ساعات النهار بهذه الآلات. وهذه الآلات كالبسائط والقائمات والمائلات من الرخامات ونحوها"[٨]، ومما قاله في مطلع تلك الأرجوزة [٩]:

---

(١) انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، ٢/ ٢٤٢، والأعلام ٧/ ٥٤

(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر ٤٧٤

(٣) نفسه

(٤) نفسه

(٥) نفسه

(٦) نفسه ٤٧٥

(٧) نفسه

(٨) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ١/ ٦٣

(٩) السنا الباهر بتكميل النور السافر ٤٧٥

يقـول راجـي ربـه أن يرحمـه　　عبـد الإلـه بـن عمـر بامخرمـة
مـن بعـد حمـد الله والصـلاة　　علـى النبـي وآلـه الهـداة
يـا مـن يريـد الظـل بالشـبامي　　بنسـبة القيـراط خـذ كلامـي

ولعبدالله بامخرمة أيضًا اشتغال بعلم التقاويم، وهو علم له "قوانين كالمقدّمات والأصول لها في معرفة الشّهور والأيّام والتّواريخ الماضية، وأصول متقرّرة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات، واستخراج بعضها من بعض، يضعونها في جدول مرتّبة تسهيلا على المتعلّمين، وتسمّى الأزياج، ويسمّى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصّناعة تعديلا وتقويما"(١)، وقد وضع بامخرمة جداول وصفت بالمحققة والمحررة في علم الهيئة (٢).

ثم جاء عمر بن عبد الله بابشير (ت بعد ٩٧٠) فصنع بدوره جدولا فلكيا ألحقه بجدول عبدالله بامخرمة، وقام فيه بتحرير نصف فصل قوس النهار الأطول على قوس النهار المعتدل للبلاد(٣)، ويسمى ذلك عند الفلكيين نصف غاية التعديل(٤)، والمقصود بذلك التعديلات المستعملة في استخراج التقويم من الزيج (٥)*، وفيه جدول تعديل الأيام، وهو علم يتعرف منه كيفية تفاوت الليل والنهار وتداخل الساعات فيهما عند تفاوتها في الصيف والشتاء، ونفع هذا العلم عظيم (٦).

واشتغل عبد الرحمن بن علي باغوث باحرمي (ت ١٠٠٠) كذلك بعلم التقاويم؛ إذ وضع في ذلك جداول محققة(٧)، كما له رسالة أخرى في علم الميقات بلا آلة(٨)، وهو "علم تتعرّف

(١) تاريخ ابن خلدون ١/ ٦٤٣
(٢) السنا الباهر بتكميل النور السافر ٤٧٤
(٣) جهود فقهاء حضرموت ١/ ٥٢٦
(٤) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ٢/ ١٧٠٢، وانظر جهود فقهاء حضرموت ١/ ٥٢٦
(٥) * الزيج: كتاب يحسب منه سير الكواكب ليستخرج منه التقويم. انظر معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، ت: د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤، ١٧٠
(٦) أبجد العلوم ٣٣٤
(٧) السنا الباهر ٦٣٩
(٨) نفسه

منه أزمنة الأيام والليالي وأحوالها وكيفية التوصّل إليها، ومنفعته معرفة أوقات العبادات وتوخّي جهتها"[١]، وله رسالة أخرى في مسألة الربع المجيب [٢].

ولسليمان بن أحمد المهري (ت نحو ٩٦١) كتاب في علم الفلك عنونه بـ(تحفة الفحول في تمهيد الأصول)[٣]، ثم قام بشرحه في كتاب مستقل[٤]، وهو كتاب مفيد للملاحين والبحارة بحكم خبرة المؤلف في عمل ربانًا بحريًا.

ولعبد القادر بن أحمد الحباني (ت بعد ٩٧٠) منظومة في علم الهيئة تناول فيها معرفة الزوال[٥]، وهو "الوقت الذي تكون فيه الشمس في كبد السماء"[٦]، وخط الزوال في اصطلاح أهل الهيئة قديمًا إنما يقصد به ما يعرف اليوم بخط الطول الوهمي الذي يصل بين القطبين الشمالي والجنوبي[٧]، كما للحباني أيضًا منظومة أخرى في معرفة فصول السنة[٨]، وتعرف الفصول في علم الهيئة بأنها "عبارة عن أزمنة كون الشمس في البلاد المائلة في ربع معيّن من الفلك" [٩].

الرياضيات:

وقد يسمى بعلم العدد، وهو علم يعنى بدراسة القياسات والخصائص والعلاقات الرِّياضيّة باستخدام الأرقام والرُّموز[١٠]، وله فروع من أشهرها علم الجبر، وعلم الحساب.

وتكلم بعض علماء الدين في فضل الرياضيات حتى أثر عن الإمام الشافعي أنه قال: "من نظر في الحساب جزل رأيه"[١١]، وقد فسر ابن خلدون ذلك بقوله: "في صناعة الحسّاب نوع

---

(١) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ١/ ٦٣
(٢) السنا الباهر ٦٣٩
(٣) معجم المؤلفين ٤/ ٢٥٤
(٤) الأعلام ٣/ ١٢٢
(٥) جهود فقهاء حضرموت ١/ ٥٢٨
(٦) المعجم الوسيط ٤٠٨
(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٠١١
(٨) جهود فقهاء حضرموت ١/ ٥٢٨
(٩) كشاف اصطلاحات العلوم والفنون ١/ ٢/ ١٢٧٦
(١٠) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ٩٦٠
(١١) مناقب الشافعي، أبو بكر البيهقي، ت: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠، ١/ ٢٨٢

تصرّف في العدد بالضّمّ والتّفريق يحتاج فيه إلى استدلال كثير، فيبقى متعوّدا للاستدلال والنّظر، وهو معنى العقل"[1]، وقال: "من أخذ نفسه بتعليم الحساب أوّل أمره يغلب عليه الصّدق؛ لما في الحساب من صحّة المباني ومناقشة النّفس، فيصير ذلك خلقا، ويتعوّد الصّدق ويلازمه مذهبا"[2]، وتغلب حاجة الفقهاء لهذا العلم في مباحث الفرائض والمواقيت.

من بين من ألف في الرياضيات من علماء حضرموت في القرن العاشر عبد الله بن أحمد بامخرمة (ت ٩٠٣)، كتب في ذلك شرحًا لأرجوزة معروفة في علم الجبر والمقابلة[3]، من نظم عالم الرياضيات العربي ابن الياسمين المغربي[4]، وهذا العلم يقوم على "إحلال الرموز محلّ الأعداد المجهولة أو المعدومة" [5]، ومعنى الجبر: "زيادة قدر ما نقص من الجملة المعادلة بالاستثناء في الجملة الأخرى لتتعادلا"، ومعنى المقابلة: "إسقاط الزائد من إحدى الجملتين للتعادل" [6].

أما محمد بن عمر بحرق (ت ٩٣٠) فكانت مشاركته في الرياضيات بأن نظم أرجوزة تعليمية في علم الحساب[7]، ثم تكفل بشرحها بنفسه[8]، والحساب "علم يستعلم مِنْهُ اسْتِخْرَاج المجهولات العددية من مَعْلُومَات مَخْصُوصَة عددية" [9].

ومثله عبدالله بن عمر بامخرمة (ت ٩٧٢)، فضرب له في علم الرياضيات (العدد) بسهم؛ إذ صنف فيه رسالتين، رسالة في الجبر والمقابلة[10]، ورسالة أخرى تشي من عنوانها بنفس

(١) تاريخ ابن خلدون ١/ ٥٤٢

(٢) نفسه ١/ ٦٣٥

(٣) الضوء اللامع ٥/ ٩

(٤) ابن الياسمين هو عبد الله بن محمد بن حجاج (ت ٦٠١)، مغربي من أصل بربري، عالم بالحساب، وقد شرح أرجوزته في الجبر علماء عرب آخرون، انظر الزركلي ٤/ ١٢٤، ومعجم المؤلفين ١/ ٢٧١

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٣٤١

(٦) أبجد العلوم ٣٥٣

(٧) النور السافر ١٣٦، وانظر تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣

(٨) السنا الباهر بتكميل النور السافر، محمد الشلي، ت: إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٠٤، ٢١٢

(٩) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٢/ ٢٥

(١٠) السنا الباهر بتكميل النور السافر ٤٧٤

اقتصادي؛ فقد حملت عنوان (حساب الدرهم الإسلامي) (١)، وهو يندرج لدى العلماء العرب ضمن علم العدد (٢).

الهندسة:

لفظة الهندسة مشتقة من الهنداز، وهي كلمة فارسية معناها التقدير (٣)، وهذا العلم يعرف بأنه "علم يبحث في الخطوط والأبعاد والسُّطوح والزَّوايا والكميّات أو المقادير الماديَّة من حيث خواصّها وقياسها، أو تقويمها وعلاقة بعضها ببعض" (٤)، وينتفع بعلم الهندسة في شؤون متعددة؛ كإقامة الدور وشق القنوات وإصلاح الطرق ونحوها من المنافع الجمة، حتى قال ابن خلدون: "اعلم أنّ الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله، واستقامة في فكره؛ لأنّ براهينها كلّها بيّنة الانتظام، جليّة التّرتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها؛ لترتيبها وانتظامها، فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ" (٥).

ولم يخل نشاط الحضارمة العلمي في القرن العاشر من مشاركات في العلوم الهندسية، فقد ألف عبدالله بن عمر بامخرمة فيها كتابًا خص بها علم المساحة (٦)، قال الشلي: "أكثر فيه الجداول والأسئلة، ثم اختصره"(٧)، وهو فنّ يحتاج إليه في مسح الأرض، ومعناه استخراج مقدار الأرض المعلومة بنسبة شبر أو ذراع أو غيرهما، ونسبة أرض من أرض إذ قيست بمثل ذلك، ويحتاج إلى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والفدن، وبساتين الغراسة، وفي قسمة الحوائط، والأراضي بين الشّركاء أو الورثة، وأمثال ذلك (٨).

علم الملاحة البحرية:

شهد عامة المؤرخين للحضارمة بأنهم ملاّحون ممتازون، وجعلت الملاحة شطرًا كبيرًا

(١) جهود فقهاء حضرموت ١/ ٥٢٠

(٢) انظر أبجد العلوم ٢٤٥

(٣) تاج العروس ١٧/ ٤٥

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢٣٧٠

(٥) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ١/ ٦٣٩

(٦) السنا الباهر بتكميل النور السافر ٤٧٤

(٧) نفسه

(٨) تاريخ ابن خلدون ١/ ٦٤٠

منهم تجارًا، وإليهم يرجع الفضل الأكبر في نشر الإسلام بشرقي إفريقيا وبالملايو وإندونيسيا والهند [١]، وبأنهم بحق أبناء المحيط الهندي، جابوه شرقًا وغربًا، ونزلوا في أقاليمه، وعايشوا سكانها، ولهم في كل إقليم نزلوه منزلة رفيعة وأموال وتجارات واسعة[٢]، ويشتهر منهم بالتأليف في علم الملاحة البحرية سليمان بن أحمد المهري، وله فيه كتب لا تقل أهمية عن كتب البحار العماني أحمد بن ماجد، بل رأى بعضهم أنها أتت "أوفى وأشمل في بيانها لأحوال الملاحة في المحيطين الهندي والهادي حتى بحر الصين" [٣].

وعلم الملاحة البحرية يعده بعضهم من فروع علم الهندسة[٤]، وهو علم يبحث في كيفية صنعة السفن، وكيفية ترتيب الانتهاء، وكيفية إجرائها في البحر، ويتوقف على معرفة سموت البحار والبلدان والأقاليم، ومعرفة ساعات الأيام والليالي، ومعرفة مهاب الرياح وعواصفها ورخائها، وممطرها وغير ممطرها، كما يتوقف على معرفة عجائب البحر، وطبائعها وخواصها، وصور الأقاليم، وغير ذلك مما يعرفه أهل هذا العلم العظيم النفع، وفيه كتب موجودة عند أهله، وأكثر مباديه مستندة إلى التجربة [٥].

ومن أبرز كتب سليمان المهري المعروفة في مجال علم الملاحة البحرية كتاب (العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية)، وهو مكون من سبعة أبواب [٦]، ومثله كتاب (المنهج

(١) من المشرق والمغرب: بحوث في الأدب، د. شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٨، ٧٧.

(٢) أسهم الحضارمة بدور كبير في اقتصاديات تلك البلاد من خلال عملهم التجاري، وقد ساعدهم في ذلك تعلق السكان هناك بكل ما هو قادم من أرض الجزيرة العربية مهبط الديانة الإسلامية، ولاسيما أن بعض المهاجرين يصرفون جزءًا من أرباحهم في بناء المساجد والأعمال الخيرية، انظر الحضارم في شرق إفريقية، د. رزق سعد الله الجابري، دار حضرموت، المكلا، ٢٠١١، ١٣٧، كما كان لذلك النشاط التجاري عائداته في اقتصاد موطنهم الحضرمي أيضًا من التحويلات المالية التي كان يرسلها المهاجرون الحضارمة إلى أقاربهم في حضرموت. انظر الهجرة الحضرمية إلى إندونيسيا، د. يحيى غالب، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٨، ٣١٧.

(٣) عصر الدول والإمارات (٥)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ٦٢.

(٤) أبجد العلوم ٥٠.

(٥) نفسه ٥٢٢

(٦) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢/ ١١٧٢

الفاخر في علم البحر الزاخر)، وتاريخها جميعًا يعود إلى النصف الأول من القرن العاشر، وقد درس المستشرق الفرنسي غبريال فران أعمال سليمان المهري البحرية دراسة وافية وأسهم في نشر عدد من مؤلفاته [١].

الطب:

الطب من العلوم الضرورية لحياة الإنسان، وتتعقد مباحثه بتعقد مسببات الأمراض، ومن ثم فإن الطب كعلم وصناعة، كما يقول ابن سينا، "ينظر فِي الْأَركان والمزاجات والأخلاط والأعضاء البسيطة والمركبة والأرواح وقواها الطبيعية والحيوانية والنفسانية وَالْأَفْعَال، وحالات الْبدن من الصِّحَّة وَالْمَرَض والتوسط، وأسبابها من المآكل والمشارب، والأهوية والمياه، والبلدان والمساكن، والاستفراغ والاحتقان، والصناعات والعادات، والحركات الْبَدَنِيَّة والنفسانية، والسكونات، والأسنان والأجناس، والورادات على الْبدن من الْأُمُور الغريبة، وَالتَّدْبِير بالمطاعم والمشارب، وَاخْتِيَار الْهَوَاء، وَاخْتِيَار الحركات والسكونات، والعلاج الْأَدْوِيَة، وأعمال الْيَد لحفظ الصِّحَّة وعلاج مرض" [٢]، وإن كثيرًا من أصول الطب فعليًا إنما أخذت عن عوائد الناس وعرفهم وتجاربهم [٣]، وثمرته تتمثل في "حفظ الصّحّة للأصحّاء، ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتّى يحصل لهم البرء من أمراضهم" [٤].

وقد عني علماء حضرموت وفقهاؤها بعلم الطب ربما تأثرًا بإمام مذهبهم محمد بن إدريس الشافعي الذي عرفه بمهارته في علم الطب مع سعته الفقهية، ومما أثر عنه أنه كَانَ يَقُول: "لَا تسكن ببلدة لَيْسَ فِيهَا عَالم ينبئك عَن دينك، وَلَا طَبِيب ينبئك عَن أَمر بدنك"[٥]، وكان عامة الطب آنذاك مما توارثه العرب أو أتت به الأحاديث النبوية مما يعرف بالطب النبوي، مع بعض الإشارات القرآنية؛ إذ إن مدار الطب على ثلاثة أشياء؛ حفظ الصحة، والاحتماء عن المؤذي، واستفراغ المادة الفاسدة، وقد أشير إلى الثلاثة في القرآن الكريم[٦].

(١) الأعلام ٣/ ١٢١

(٢) القانون في الطب، ابن سينا، ت: محمد أمين الضناوي، لا بيانات نشر، ١/ ١٥

(٣) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢

(٤) تاريخ ابن خلدون ١/ ٥٢٠

(٥) نفسه ٢/ ٢٢٠

(٦) فتح الباري ١٠/ ١٣٤

وفي هذا القرن من العلماء الحضارمة نلتقي مجددًا بمحمد بن عمر بحرق (ت ٩٣٠) الذي اهتم بعلم الطب وتعليمه حتى أنه نظم فيه أرجوزة سهلة الحفظ باسم (الكافية في أصول علم الطب)، ثم عكف بنفسه على شرحها شرحًا وافيًا[(١)]، كما لبحرق، كتاب فقهي بعنوان (حلية البنات والبنين وزينة الدنيا والدين) احتوى بابًا في أدوية نافعة، وهو مزيج من العلاج بالغذاء وطب الأعشاب.

أما في منظومته فاعتمد المؤلف في وصفاته الطبية على الغذاء الذي يتناوله الإنسان، مكتفيًا بالمواد الغذائية وبعض الأعشاب الطبية المرتبطة بالبيئة الحضرمية، وحرص بحرق في شرحه على توضيح معاني بعض المفردات الغذائية التي استعملها، بذكر ما يرادفها عند أهل حضرموت، مبتعدًا عما ارتبط بالطب من شوائب وخرافات، فلم يذكر أي تفسيرات خرافية تقف خلف الأمراض التي تعرض لها، أو في كيفية علاجها أو الوقاية منها، وقد قسم بحرق علم الطب إلى قسمين أساسيين هما:

١- الطب الوقائي أو كما أسماه بـ(حفظ الصحة الموجودة بالتدبير).

٢- الطب العلاجي التقويمي أو كما أسماه بـ(جلب الصحة المفقودة بالعلاج).

ومما جاء في منظومته الطبية[(٢)]:

وحاجة الناس لعلم الطب ... لا يمتري في أمرها ذو لب
لكنه قد عز من يباشر ... أحكامه إذ لا طبيب ماهر
وهو لحفظ الصحة الموجودة ... فينا وجلب الصحة المفقودة
والعلم بالغذاء والدواء ... أصل عليه أس ذا البناء

خلاصة ونتائج

مما سبق نعلم أن لعلماء حضرموت مشاركات واسعة في الجانب العلمي من التأليف، وهو ما يعرف بالعلوم التطبيقية، ومثلها التجريبية والطبيعية، وقد تراوحت مشاركاتهم ما بين تأليف الكتب المطولة، والرسائل المختصرة، ونظم الأراجيز التعليمية، ثم شرحها، ووضع الجداول الموضحة، والإسهام في شرح كتب أو منظومات متداولة في الوسط العربي العلمي.

---

(١) انظر تاريخ الشعراء الحضرميين ١/ ١٢٣

(٢) الكافية في أصول علم الطب، محمد عمر بحرق، ت: أنور السكوتي، بحث غير منشور، ٣١

وتمثلت تلك العلوم التي حظيت بعناية الحضارم في القرن العاشر في عدد من العلوم التي تداولها العرب والمسلمون في ما سلف من حقب حضارية، وهي علم الفلك أو الهيئة، وعلوم الرياضيات والهندسة والملاحة البحرية، وعلم الطب، وقد امتدت العناية إلى فروع متعددة من تلك العلوم.

وكثيرًا ما تأتي تلك المشاركة العلمية في إطار خدمة العلوم الدينية والمقاصد التعبدية؛ نظرًا لكون عامة من اهتموا بها معدودين في زمرة الفقهاء وعلماء الدين، وكذلك لانتشار فكرة الشخصية الموسوعية المتعددة المجالات المعرفية لدى غالبية المشتغلين بالعلم في الحقب الماضية، وحتى وقت قريب.

إننا عبر هذا البحث الصغير لنوجه دعوة صادقة بأن تحظى تلك المشاركات العلمية العتيدة لأسلافنا الحضارمة بمختلف صورها الكتابية بعناية الكليات العلمية في الجامعات الحضرمية؛ سواء أكانت حكومية كجامعتي حضرموت وسيئون، أو أهلية كجامعات الأحقاف والأندلس وابن خلدون والعرب؛ ليتسنى لطلبتها الاطلاع على ميراث أجدادهم في تلك المجالات العلمية التطبيقية ويحذو حذوهم في التفاعل معها بعيدًا عن الانبهار الأحادي أو السلبي لدى الآخرين، ولاسيما في بلاد الغرب.

وأخيرًا نشكر القائمين على مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر على إتاحتهم هذه الفرصة الثمينة عبر تنظيم مثل هذه المؤتمرات العلمية والمواسم السنوية الهادفة إلى إثراء المعرفة الإنسانية وإجلاء الصورة النقية للمشهد العلمي والحضاري في حضرموت في عصورها المتعاقبة.

المصادر والمراجع

- أبجد العلوم، محمد صديق خان، دار ابن حزم، ٢٠٠٢
- إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، دار المنهاج، بيروت، ٢٠٠٥
- أدوار التاريخ الحضرمي، محمد بن أحمد الشاطري، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، ط٣، ١٩٩٤
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، طار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية
- تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، ت: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٨
- تاريخ حضرموت، أحمد بن عبد الله شنبل، ت: عبد الله محمد الحبشي، على نفقة محفوظ شماخ، ١٩٩٤
- تاريخ حضرموت، صالح الحامد، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ٢٠٠٣
- تاريخ الشعراء الحضرميين، عبدالله محمد بن حامد السقاف، مكتبة المعارف، الطائف، ١٤١٨
- التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣
- التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢
- الجامع، محمد عبد القادر بامطرف، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ١٩٩٨

- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي نكري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ت: أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤
- جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي، د. محمد أبو بكر باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، ٢٠٠٩
- الحضارم في شرق إفريقية، د. رزق سعد الله الجابري، دار حضرموت، المكلا، ٢٠١١
- الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة، د. محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة، صنعاء، ٢٠١٠
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، ت: زهير الشاوش، المكتب الإسلامي، بيروت
- السلوك في طبقات العلماء والملوك، بهاء الدين الجندي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٥
- السنا الباهر بتكميل النور السافر، محمد الشلي، ت: إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ٢٠٠٤
- سنن ابن ماجة، ابن ماجة، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، ت: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٦
- صحيح البخاري، البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة
- صفة جزيرة العرب، الحسن الهمداني، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٤
- صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل، محمد بن عوض بافضل، ١٩٩٩، لا مكان نشر
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت

- طبقات فقهاء اليمن، عمر بن علي بن سمرة الجعدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨١
- عصر الدول والإمارات (٥)، د. شوقي ضيف، دار المعارف
- العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط١٤، ١٩٠
- علم العروض والقافية، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت
- غرر البهاء الضوي، محمد علي خرد، مطابع المكتب المصري الحديث، ١٩٨٥
- الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧
- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت
- الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، سعيد عوض باوزير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٩٦١
- الفكر والمجتمع في حضرموت، كرامة مبارك بامؤمن، دار التيسير، صنعاء، ط٣، ٢٠٠٦
- القانون في الطب، ابن سينا، ت: محمد أمين الضناوي، لا بيانات نشر
- الكافية في أصول علم الطب، محمد بن عمر بحرق، ت: أنور السكوتي، بحث غير منشور
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، ت: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١
- المجموع شرح المهذب، النووي، دار الفكر
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ت عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٩٩٥
- مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، عبد الله محمد الحبشي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط٢
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥

- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ٢٠٠٨
- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، ت: د. محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، بيروت
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة
- مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد البلخي، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢
- مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت
- من المشرق والمغرب.. بحوث في الأدب، د. شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٨
- مناقب الشافعي، أبو بكر البيهقي، ت: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠
- النظريات العلمية الحديثة.. مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها، حسن بن محمد حسين الأسمري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ٢٠١٢
- منهج الخطيب التريمي ومادته التاريخية في كتابه الجوهر الشفاف، د. محمد يسلم عبد النور، تريم للدراسات والنشر، تريم، ٢٠١٤
- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت
- الهجرة الحضرمية إلى إندونيسيا، د. يحيى غالب، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٨

مدارس الشحر العلمية
في القرن العاشر الهجري ودورها التنويري

محمد علوي عبدالرحمن باهارون
دار الحامي للدراسات والنشر
وخدمة التراث - حضرموت

مقدمة:

يعد طلب العلم من أهم المهمات التي وجه اليها الحضارمة أبناءهم بالاحتلاق حول الشيوخ في حلقات العلم في المساجد والزوايا والبيوت وأماكن الدرس في شتى المدن والقرى الحضرمية.

وقد ظهر في حضرموت العديد من الفقهاء والقضاة والمحدثين الذين يتلقى عنهم العلم الشرعي المتسلسل إلى منابعه الأصيلة العشرات من أبناء حضرموت وغيرهم، حيث كانت آهلة بالعلم والعلماء ومحل نظر طلاب العلم ومكان رحلتهم عبر القرون.

وفي القرن العاشر الهجري الذي شهدت فيه حضرموت نشاطًا علميا واسعًا نبغ العديد من المحدثين والفقهاء، ووفد إليهم طلاب العلم والمعرفة من شتى المناطق ورحل إليهم العلماء للالتقاء بهم والتزود من علومهم، وما رحلة العلامة محمد بن أبي بكر البغدادي (ت بالشحر سنة ٩١٠هـ) والعلامة الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد المحلي المصري المتوفى سنة ٩٩٠هـ، والعلامة السيد يوسف بن عابد الإدريسي الفاسي عام ٩٩١هـ (ت بمريمة سنة ١٠٤٤هـ) والعلامة السيد عبدالرحيم الحساوي البصري والعلامة محمد بن أحمد الفاكهي المكي والعلامة عمر بن عيسى باركوه السمرقندي (ت بالغرفة) للالتقاء بمشايخ وعلماء حضرموت وفي مقدمتهم الشيخ الكبير أبي بكر بن سالم باعلوي (ت ٩٩٢هـ)،[1] ليدل دلالة واضحة على ما ذكرنا من ذلك النشاط المعرفي المتجدد.

---

(١) باهارون، محمد علوي، الرحلة العلمية إلى حضرموت من القرن السادس حتى الخامس عشر الهجري ص ٢٩٧-٣٠١.

وقد نالت مدينة الشحر عاصمة السلطنة الكثيرية الأولى نصيبا وافرا من ذلك النشاط المعرفي، وكانت حينها البوابة الجنوبية للجزيرة العربية تفد إليها جميع الجاليات العربية والهندية والإفريقية وتنشط فيها الحياة التجارية وترسو بها السفن الشراعية الماخرة عباب المحيط الهندي، وكانت كما وصفها المؤرخ سالم عوض باسباع (ت٩٥٠هـ) بلهجته الشحرية:" الشحر بلاد عظيمة ما مثلها في حضرموت الخير باسط رأسه فيها.. وفي الشحر توشر الزعايم الكمبارية والمسمارية من كل شكل، وفيها بحرية ونواخيذ وربابين ومعالمة ماهرين رجال بحر من أهل الشحر والحامي وفيها آلة السفينة من نالية وحبال وأخشاب ودقال وسناقل وشرع وبراوصة. الأشرفي كل شي يوجده لك في الشحر من آلة السفن.. وأهل الشحر أشتات من كل قالب لغة، مهرة وعمانية وحضارم ودواعن وشبامية كلهم شحارية بو عن جد.." [(١)]

لقد احتضنت الشحر منذ بداية القرن العاشر عددا من شيوخ العلم والفقه والفتوى وفد إليهم طلاب العلم من وادي وساحل حضرموت ودوعن والمناطق المجاورة، ولهذا قام بعض الأعيان من العلماء بفتح مدارس علمية وهي عبارة عن غرف تبنى بجوار المسجد أو تقام في أحد البيوت، وبفتح تلك المدارس والزوايا نشطت الحياة العلمية في الشحر وكانت قبلة لطلاب العلم لتلقي العلوم الشرعية والعربية والفلكية والملاحية، وظهر فيها جماعة من الشيوخ الأجلاء، وهو ما سنتحدث عنه في هذه الدراسة التي تهدف إلى توثيق الدور العلمي والتنويري لتلك المدارس العلمية، وكذلك دور الحكام في تشجيع التعليم وفي مقدمتهم السلطان بدر بن عبدالله الكثيري المعروف بأبي طويرق الذي أسس مدرسته الشهيرة في الشحر وتخرج منها فطاحل فقهاء وعلماء وأدباء حضرموت.

يقول الأستاذ سعيد عوض باوزير واصفا عهد السلطان أبوطويرق" كان القرن العاشر الذي عاش فيه أبوطويرق من أحفل العصور التاريخية في حضرموت بالعلماء والأدباء، فقد ضمت هذه المائة العاشرة جمهرة من رجال الدين والتصوف وكبار العلماء بالشريعة واللغة والشعر، أمثال الفقيه اللغوي العلامة محمد بن عمر بحرق والشيخ الفقيه الكبير والشاعر الأديب عبدالله بن عمر بامخرمة ووالده الصوفي الشاعر عمر بامخرمة والشيخ

(١) بامطرف، محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة ص ٢٤، ٢٥، ٣٤.

أبي بكر العيدروس الصوفي المشهور والعلامة الشيخ ابي بكر بن سالم صاحب عينات والشيخ عبدالرحمن بن عمر باوزير مولى الجيش والشيخ معروف باجمال والشاعر الفحل عبدالصمد باكثير وغيرهم كثير وكثير من أجل الفقهاء كالشيخ محمد بن أحمد بافضل وابن عبسين وبامزروع وبايزيد وباجمال وباقشير". [١]

والجدير بالذكر أن تلك المدارس التعليمية مع مشايخها وطلابها كان لهم دور اجتماعي رائد فقد شاركوا في الجهاد المقدس الذي شنه أهالي الشحر وحضرموت على العدوان البرتغالي الذي اجتاح ساحل حضرموت والشحر في شهر ربيع الثاني عام ٩٢٩هـ (١٥٢٣م)، وكان قادة تلك المعارك من مشايخ هذه المدارس المباركة وبعض مقاتليها من طلابها الأوفياء، وقد نال الشهادة في سبيل الله عدد كبير منهم، رحمهم الله رحمة الأبرار وأسكنهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

نأمل أن تكون هذه الدراسة مفيدة في سبيل توثيق التراث العلمي لحضرموت وتخليد دور مشايخها وعلمائها الفضلاء، وما قدموه من نفع وعطاء للإنسانية جمعاء.. والله من وراء القصد.

أولاً: مدرسة جامع الشحر:

الشهيرة بمدرسة بن عبسين، وهي من أولى المدارس العلمية ببندر الشحر في القرن العاشر تخرج فيها عدد من الشيوخ والعلماء، كان تأسيسها في مستهل القرن العاشر كما يستفاد من كلام المؤرخ بامطرف، بعد أن قام الشيخ القاضي عبدالله بن محمد بن عبسين عام ٨٩٦هـ باستخراج وقف الجامع المخصص لطلبة العلم من السلطان الكثيري ثم جدد عمارته عام ٩٠٠هـ وأنشأ بجانبه مدرسة تولى التدريس فيها الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل. [٢]

ويقول المؤرخ عبدالقادر العيدروس في ترجمة ابن عبسين: ومن فضائله المشهورة ومناقبه المذكورة سعيه في إخراج وقف الجامع الذي على المدرس والمدرسة وغيرهم من يد الدولة بعد أن استولوا عليه مدة وكاد أن ينطمس ويندرس. [٣]

(١) صفحات من التاريخ الحضرمي ص ١٢٣، مكتبة الثقافة- عدن.

(٢) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٣) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص ٢٥.

مشايخها ومخرجاتها:

♦ العلامة الفقيه القاضي عبدالله بن محمد بن عبسين.

كان من الفقهاء المبرزين والعلماء الزاهدين والقضاة الورعين نشأ من صغره في العبادة والطاعة وطلب العلم حتى بز أقرانه وشجع على نشر التعليم في حضرموت وأحيى معالمه في جامع الشحر، وكان قد اشتغل بالتدريس والفتوى بالشحر ثم تولى القضاء بها وعرف بالعدل والنزاهة والإنصاف، وكان يضرب به المثل في حضرموت في حسن الخط وكتب أكثر من خمسين مصحفا، وقيل عنه إنه لا يتناول أجرا على واجباته القضائية، بل كان يأكل من عمل يده، توفي بالشحر سنة ٩٠٧هـ،[(١)] بينما يذكر المؤرخان باسنجلة وبافقيه بأنه توفي يوم الجمعة قبل الزوال يوم أربع في ربيع الثاني من سنة ٩٠٨هـ ودفن بتربة الشيخ فضل.[(٢)]

وقد أسس العلامة ابن عبسين إلى جانب مدرسة الجامع مدرس الجمعة الفقهي الذي يقام في جامع الشحر بعد صلاة الجمعة إلى وقت العصر ويحضره فقهاء الشحر وطلاب العلم وتقرأ فيه أمهات كتب الفقه الشافعي كالمنهاج والروضة والإرشاد وغيرها وشهد مناظرات ومناقشات علمية خلدتها كتب التاريخ الحضرمي إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وفيه حصلت تلك المشادة الفقهية بين كل من القاضيين العلامة عبدالله بن محمد بن عبسين والعلامة محمد بن عمر بحرق في إحدى مسائل البيع حتى أقبل الشيخ ابن عبسين بكتاب الروضة للإمام النووي في المدرس الثاني وقرأ المسألة على بحرق فعندها هب العلامة بحرق وصعد المنبر وقال بأعلى صوته إن المسألة التي اختلفت فيها مع شيخنا ابن عبسين في المدرس الماضي الحق فيها معه وما قلته فيها خطأ ولسان حاله قائلا الاعتراف بالحق فضيلة وهو أحق أن يتبع رضي الله عن الجميع فما أنصفهم وما أحلمهم في الانقياد إلى الحق ولو أدى إلى تفويت حقوقهم ومصالحهم فما أحوجنا اليوم لهذا الخلق في اختلافاتنا.[(٣)]

♦ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل:

كان ميلاده بمدينة تريم سنة ٨٥٠هـ ونشأ بها وتلقى علومه على شيوخها الأجلاء، وكان من العلماء العاملين والأولياء العارفين، عابدا ورعا زاهدا، ترجم له تلميذه الفقيه عبدالله

---

(١) نفس المرجع السابق والشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٢) العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر ص٢٦، وتاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين ص٤٤، ٤٥.

(٣) باهارون، محمد علوي، مدرس الجمعة الفقهي بجامع الشحر، مجلة سعاد ص ٣٤، العدد (٩) يناير ٢٠١٠م.

بن عمر بامخرمة وأثنى عليه ثناء جليلا وقال: أخذ العلم عن الإمامين محمد بن أحمد بافضل وعبدالله بن أحمد بامخرمة وغيرهما وأكب على الاشتغال بالعلم حتى برع وتميز، واشتهر ذكره وبعد صيته وأثنى عليه الأئمة من مشايخه وغيرهم، وكان شريف النفس كريما سخيا مفضالا كثير الصدقة حسن الطريقة صبورا على تعليم العلم متواضعا.. وانتصب في حضرموت بالاشتغال بالفتوى وصار عمدة القطر وانتهت إليه رئاسة الفقه في حضرموت حتى وفاته مساء يوم الخامس من شهر رمضان سنة ٩١٨هـ.[١]

وقد ترك مؤلفات كتب الله لها القبول في الأرض منها:

١. ربع العبادات ويسمى بـ (مسائل التعليم والمقدمة الحضرمية والمختصر الكبير) وقد شرحه العلامة أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت٩٧٤هـ) والعلامة سعيد بن محمد باعشن (ت ١٢٧٠هـ) والعلامة محمد بن عبدالله باسودان (ت ١٢٨١هـ).
٢. المختصر الصغير أو اللطيف وقد شرحه العلامة محمد بن أحمد الرملي المصري.
٣. وأذكار الحج والعمرة وأذكار الصباح والمساء وغيرها.

وبعد أن تم الانتهاء من بناء المدرسة استقدم العلامة بن عبسين من مدينة تريم الفقيه العلامة عفيف الدين عبدالله بن عبدالرحمن بافضل إلى الشحر ورتبه مدرسا بالجامع لانتفاع الناس به مع تولي الخطابة في الجامع وإمامة مسجد الشيخ أحمد بن عمران،[٢] ومكث العلامة بافضل مدرسا في مدرسة جامع الشحر فترة من الزمن إلى أن ابتنى له مدرسة خاصة به كما سيأتي الحديث عنها. ويبدو أن العلامة ابن عبسين كان طاعنا في السن فانتدب تلميذه بافضل وكان يقوم بمساعدته والنظارة على أوقاف الجامع المتعددة.

وقد تخرج عليه جماعة من العلماء في تريم والشحر منهم:

♦ **ابنه العلامة الفقيه محمد بن عبدالله بافضل:**

المتوفى بالشحر ليلة السبت بعد صلاة العشاء لثمان وعسرين خلون من ربيع الأول سنة ٩٠٨هـ ودفن بتربة الشيخ فضل.[٣]

---

(١) باجمال، محمد بن عبدالرحمن، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر ص ١٤٤، ١٤٥.
(٢) النور السافر، مرجع سابق ص ٢٥، والشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٣٩.
(٣) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص٢٦

♦ **ابنه العلامة الفقيه الشهيد أحمد بن عبدالله بافضل:**

كان من العلماء العاملين والأولياء الصالحين تفقه بأبيه وبالفقيه محمد بن أحمد بافضل وغيرهما وقصد للإفتاء والتدريس في حياة والده، وكان مرجوعا إليه لحل المشكلات، وتولى إعادة درس الجامع في حياة أبيه، ثم خلفه في الجميع، وصار عين المكان، ذكره الفقيه عبدالله بن عمر بامخرمة وأثنى عليه وقال: كان فقيها فاضلا حسن الاستنباط قوي الذهن فقيه النفس، وكان والده يعظمه ويثني عليه، وكذلك العلامة عبدالله بن عبسين كان يبالغ في الثناء عليه ويشير إليه بالمعرفة بالفقه حج مرارا، واجتمع بالشيخ الصالح محمد بن عراق، ولم يزل مواظبا على الطاعة حتى استشهد في معركة الكفار لما دخل الإفرنج الشحر بعد فجر يوم الجمعة عشر ربيع الثاني سنة ٩٢٩هـ. وله مؤلفات قيمة منها نكت على روض المقري في مجلدين ونكت على الإرشاد في مجلدين، ومشكاة الأنوار في الأوراد والأذكار. [(١)]

قرأ على والده مجموعة من الكتب العلمية ومنها تفسير البغوي وختمه عليه في سنة ٩١٣هـ بالشحر المحروسة في مسجد بن عمران. [(٢)]

♦ **العلامة الفقيه القاضي أحمد بن علي بن علوي خرد:**

ولد سنة ٨٨٦هـ بتريم وتخرج وتفقه بالعلامة عبدالله بلحاج وابنه الفقيه أحمد والعلامة محمد بن عبدالرحمن الأسقع، وانتهت إليه رئاسة العلم والفتوى بحضرموت وتولى قضاء وادي حضرموت من العقاد إلى قبر نبي الله هود وتوفي سنة ٩٥٧هـ. [(٣)]

ـ العلامة شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن ابن الشيخ علي باعلوي

قرأ على الفقيه عبدالله بلحاج والفقيه محمد الأسقع، وتوفى سنة ٩٤٦هـ. [(٤)]

♦ **العلامة الفقيه القاضي عبدالله بن أحمد باسرومي**

ولد بالشحر ونشأ بها وتلقى تعليمه بها ثم سافر إلى زبيد وأخذ عن مشايخها ثم رجع إلى الشحر وأخذ عن عالمها الفقيه عبدالله بلحاج ولازمه وقد رشحه لدى السلطان عبدالله بن

---

(١) الدر الفاخر، مرجع سابق، ص ١٤٦، ١٤٧.

(٢) شنبل، أحمد عبدالله، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل ص ٢٢٨.

(٣) خرد، محمد بن علي، غرر البهاء الضوي ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٤) الغرر، مرجع سابق، ص ٣١١.

جعفر الكثيري لتولي قضاء الشحر سنة ٩١٠هـ بعد وفاة قاضيها الصالح الفقيه عبدالله بن عبسين فتولاه ومكث فيه إلى أن عزم على الحج وتوفي بمكة قبل الحج في شهر ذي القعدة سنة ٩٤٢هـ ودفن بالمعلاة ومن كبار تلامذته العلامة عبدالله بن عمر بامخرمة. (١)

♦ العلامة الفقيه عبدالله بن علوي المكنون الشحري:

قرأ على الفقيه عبدالله بافضل، والفقيه عبدالله بن محمد بن عبسين كتاب المناهج وتفقه بهما، وله عبادة ظاهرة ويسمى المحتجب، وتوفي يوم الاثنين ١٣ رمضان سنة ٩٤٢هـ ودفن بتربة الفقيه عبدالله بلحاج بافضل بالشحر. (٢)

♦ العلامة الفقيه أحمد بن عبدالرحمن بن حسين باعلوي

قرأ على فقهاء حضرموت وزبيد واليمن من أجلهم الفقيه العلامة عبدالله بلحاج وابنه الفقيه أحمد كان نبيها عاقلا متفقها مشاركا في علوم جمة كالفلك والقراءات وغيرهما توفي سنة ٩٤٥هـ. (٣)

♦ العلامة الفقيه القاضي محمد بن عمر بحرق:

كان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين اشتغل بالعلوم وتفنن بالمنطوق منها والمفهوم وتمهر في المنثور والمنظوم وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم وصنف في كثير من الفنون كالحديث والتصوف والنحو والصرف والحساب والطب والأدب والفلك وغير ذلك. ولد سنة ٨٦٨هـ وتلقى تعليمه على علماء الشحر وفي مقدمتهم العلامة عبدالله بن محمد بن عبسين والعلامة عبدالله بلحاج وتولى القضاء بالشحر ثم عزل نفسه ورحل إلى عدن ودخل زبيد والحرمين وأخذ عن جملة من مشايخها ثم رحل إلى الهند وتوفى بها ليلة العشرين من شعبان سنة ٩٣٠هـ. (٤)

---

(١) النور السافر، مرجع سابق، ص ١٠٤، تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٢٠٥، ٢٠٦.
(٢) نفس المرجع السابق، ص ٣١٣، والعقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ٥٤.
(٣) الغرر، مرجع سابق، ص ٣٥٢.
(٤) النور السافر، مرجع سابق، ص ٧٥-٧٧. تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص١٣٨، ١٣٩. وقد وهم الأستاذ باوزير في ترجمته في "صفحات من التاريخ الحضرمي" عندما جعله نفس الفقيه محمد بحرق الذي كان عاملا لدى السلطان بدر أبوطويرق وإنما هو ابن أخيه الفقيه محمد بن عبدالله بن عمر بحرق المتوفى بهينن سنة ٩٥٦هـ. انظر: العقد الثمين الفاخر ص ١٠١، والدر الفاخر، ص ١٥٧، مرجعان سابقان.

♦ **العلامة الفقيه القاضي عبدالله بن عمر بامخرمة:**

ولد في مساء يوم العاشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٩٠٧هـ بالشحر ونشأ بها وتلقى علومه على والده الفقيه عمر والعلامة ابن عبسين والعلامة بافضل والعلامة باسرومي وغيرهم. وكان علامة مشاركا وفقيها متبحرا انتهت إليه رئاسة العلم والفتوى وتولى الإمامة والتدريس بجامع الشحر، له مؤلفات قيمة منها: الفتاوى العدنية والهجرانية وذيل على طبقات الأسنوي ومشكاة المصباح في شرح العدة والسلاح، تولى قضاء الشحر مرتين في سنتي ٩٤٣هـ و٩٥٤هـ، وكان كاتبا وسكرتيرا للسلطان بدر أبوطويرق ثم رحل إلى عدن وتولى القضاء والإفتاء بها وتوفي بها ليلة العشر من رجب سنة ٩٧٢هـ. [١]

♦ **العلامة الفقيه عمر بن عبدالله بن حاتم:**

كان عالما صالحا تولى الإفتاء بالشحر والإمامة والتدريس بجامعها توفي في آخر شهر جمادى الأولى سنة ٩١٩هـ. [٢]

♦ **العلامة الفقيه القاضي أحمد بن عبدالله بالرعية**

كان له دور مشرف أيام الغزو البرتغالي وقد تعرض للأسر مع جماعة من أعيان الشحر وافتك في الحال، وتولى الإمامة والتدريس بالجامع إلى آخر عام ٩٤٤هـ، وتولى قضاء الشحر وعزل منه في شوال سنة ٩٤٨هـ. [٣]

♦ **العلامة الفقيه القاضي سالم بن محمد بامعيبد**

ولد بالشحر ونشأ بها وتولى إمامة الجامع والتدريس به في ذي الحجة سنة ٩٤٤هـ وعزل منها في شهر رمضان ٩٥٠هـ ثم تولاها للمرة الثانية في شهر شعبان سنة ٩٥٣هـ إلى عام ٩٥٨هـ. وتولى قضاء الشحر مرتين أول مرة بعد عزل القاضي شهاب الدين أحمد بالرعية عام ٩٤٨هـ والمرة الثانية في شهر صفر سنة ٩٥٤هـ في عهد أمير الشحر كثير بن علي إلى أن

---

(١) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ١١٥، وتاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٤٢،٣٠٤-٣٠٧، والشهداء السبعة، مرجع سابق ص٩٧، ٩٩.

(٢) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ٣٥، وتاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٨٨، والشهداء السبعة، مرجع سابق ص ٩٧.

(٣) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ٤١، ٦٠، ٨١. وتاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

عزل بالقاضي عمر بن أبي طويح الدوعني وتوفي بغيل أبي وزير ليلة الأربعاء ١٧ جمادى الأولى سنة ٩٧٠هـ. (١)

♦ **العلامة الفقيه عبدالله بن عباد باعباد:**

تولى إمامة الجامع والتدريس به في شهر رمضان سنة ٩٥٠هـ وعزل منها في شهر شعبان سنة ٩٥٣هـ ثم تولاها مرة ثانية عام ٩٧٧هـ مع النظارة على غلة وقف المسجد.(٢)

♦ **العلامة الفقيه سعيد بن يعقوب بالرعية**

من مشاهير فقهاء الشحر ولد وعاش بها، وكان يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم وقد تعرض للسجن مع جماعة من الفقهاء منهم الفقيه أحمد بن عبدالله بالرعية وأحمد بن أبي بكر بامطرف في شهر شعبان سنة ٩٥٥هـ، تولي إمامة الجامع والتدريس بمدرسته بإنابة من السلطان بدر أبو طويرق في يوم الخميس ٢٠ ذو القعدة سنة ٩٥٨هـ خلفا للقاضي سالم بن محمد بامعيبد ومكث في تلك الوظيفة حتى ألم به مرض موته ولزم بيته في شهر شعبان وتوفى ليلة الجمعة ٤ رمضان ٩٧٢هـ. (٣)

♦ **العلامة الفقيه القاضي عبدالله بن عقيل بافضل:**

ولد نشأ بتريم وتلقى علومه على مشايخها ثم قدم إلى الشحر في يوم الخميس ٢٠ربيع الأول سنة ٩٧١هـ وتولى إمامة الجامع والتدريس في يوم الأحد ٢٢ شعبان سنة ٩٧٢هـ خلفا للفقيه بالرعية، وعزل عنها ليلة السبت ٢٦ رمضان ٩٧٧هـ، وتلقى عليه العلم جماعة منهم السيد الشريف أحمد بن الحسين البيض والفقيه داؤود الشحيطي وكان من درسته بالجامع الشريف وقد سافرا معه إلى وادي حضرموت في ليلة التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة ٩٧٤هـ وسبب سفر الفقيه داوود كما يحدثنا المؤرخ باسنجلة: سمعت الفقيه داود يقول ما كان لي همة مسير إلى حضرموت أبدا وما هيجني إلى المسير صحبة سيدنا القاضي بافضل إلا بيتان وقفت عليهما في كتاب (بستان العارفين) للشيخ محيي الدين النووي وهما:

---

(١) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ٦٠، ٨٥، ٩١، ٩٥، ١٠٤، ١١٤. وتاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٧٣، ٣٠٢.

(٢) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ٨٥، ١٣٣. وتاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٣) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ١٠٠، ١٠٤، ١٠٦.

شدوا المطايا غداة البين وارتحلوا وخلَّفوني على الأطلال أبكيها
إن كنت تعزى بهم فارحل كما رحلوا ولا تقف برسوم الدار تنعيها

فكان ذلك سبب العزم، وقابل الفقيه داوود السلطان بدر وكتب له كتابا بأنه محترم مجير في جميع البنادر الحضرمية.(١)

كما تولى القضاء بالشحر وكان له الثناء الحسن عند الخاص والعام وقد نعته المؤرخ بافقيه بـ" الفقيه العلامة الحبر الفهامة القاضي" وكانت وفاته يوم الأحد ٢١ جمادى الآخرة سنة ٩٨٠هـ.(٢)

ثانيًا: المدرسة السلطانية البدرية.

من أشهر مدارس الشحر العلمية تأسست في أوج السلطنة الكثيرية الأولى على يد حاكمها السلطان بدر بن عبدالله الكثيري (أبوطويرق)، وقد أمر ببنائها ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، وكان بدء العمل في بنائها في شهر شوال عام ٩٥٥هـ على يدي الفقيه حسن باكثير أمير بندر الشحر.(٣)

ولم يذكر عن أحد من حكام حضرموت أنه اعتنى بنشر العلم والإنفاق على مؤسساته سوى مانقل من اهتمام السلطان بدر أبو طويرق بالناحية العلمية في عهده من تشجيع العلماء وبناء تلك المدرسة، وقد كانت المدارس تبنى بمجهودات خاصة من أفراد الشعب، وقد وقف بوطويرق على هذه المدرسة ما تحتاج إليه من نفقات حتى قصدها طلاب المعرفة في كل أنحاء حضرموت وتخرج منها جمع غفير من كبار العلماء أمثال الفقيه الأديب المؤرخ عبدالله بن محمد باسنجلة والعلامة محمد بن عبدالرحمن سراج الدين باجمال ووالده العلامة عبدالرحمن والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن العمودي وغيرهم.(٤)

يقول الأستاذ محمد بن هاشم في وصفها: " لم تشغل بدرا أبا طويرق مشاغله السياسية عن الالتفات إلى الناحية العلمية بنشر العلم والآداب فقد بث الدعاة والمعلمين في البلاد،

---

(١) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ١١٦، ١١٩، ١٣٣.

(٢) تاريخ الحوادث والسنين، مرجع سابق، ص ٣٣٤.

(٣) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ٩٧، ٩٩، وتاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٢٧٨.

(٤) باوزير، سعيد عوض، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، ص ٩٩، ١٠٠.

وأجرى رواتب غير قليلة لرجال العلم وأرباب التعليم وأسس بالشحر مدرسة جليلة سارت بفضلها الركبان قصدها طلاب المعارف من كل صوب واختار لها من الأساتذة والنظار من يشار إليهم بالبنان علما وفضلا". [١]

ويقول صاحب النور السافر:" وفي سنة ٩٥٩هـ عمر السلطان بدر ابن السلطان عبد الله بن جعفر الكثيري مدرسة لطلبة العلم بالشحر، وقد جعل عليها وقفا معلوما، وقال الفقيه أحمد الجابري برد الله مضجعه مؤرخا لذلك العام:

شاده البدر مسجدا قد تعالى   بعلاه على النجوم المضيئة
رب من قال أرخوه فقلت   مسجدا شيدوه للشافعية[٢]

وكذا نقله عنه المؤرخ بافقيه قائلا:" وفيها عمّر السلطان بدر مدرسته التي بالشحر لطلبة العلم"[٣] ومما يؤكد أن بناء المدرسة في عام ٩٥٥هـ هو أن السلطان بدر ولى الفقيه علي بايزيد النظارة على جميع مساجد الشحر بتاريخ يوم الخميس ٢٠ ذي القعدة سنة ٩٥٨هـ أي أنه مقيم بالشحر منذ فترة، ويزول الإشكال بأنه تم إضافة بعض العمارة، كما تدل عليه عبارة المؤرخ بافقيه، أو كانت البناية الأولى كشكل غرفة ثم تم تعديل بنائها وأوقفها مسجدا وهو الأقرب للصواب.

ويذهب إلى رأينا هذا المؤرخ محمد بن أحمد الشاطري عندما قال: ولبدر مدرسة كبرى جعلها مسجدا عامرا في نفس الوقت بالشحر حبس عليها أموالا كثيرة وعيَّن لها مدرسين أكفاء وذكروا من بينهم اسم الشيخ العلامة علي بن علي بايزيد وأنه بمثابة مدير لها، وأنها تقصد للاستفتاء والتعليم وكان تأسيسها سنة ٩٥٩هـ ولم تزل باقية إلى اليوم لأداء الصلوات.[٤]

ويذكر العلامة عبدالله بن جعفر مدهر نقلا عن أخيه العلامة علوي بن جعفر مدهر أن سبب إنشاء هذه المدرسة السلطانية أن السلطان الكثيري مع أميره من آل مطران جرت له قضية مع السيد شيخ بن إسماعيل بسبب إساءة أدب ثم أذعن واعترف وتاب مما اقترف

---

(١) تاريخ الدولة الكثيرية ص ٧٨.

(٢) النور السافر، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٣) تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص٢٨٤.

(٤) أدوار التاريخ الحضرمي، ص ٢٤٠-٢٤١.

مع أميره المطراني فأمره سيدنا شيخ نفع الله به أن يبني ذلك المسجد الشهير البناء في الشحر بالمدرسة، وكان في ذلك المحل يتعاطى بعض المحظورات فامتثل السلطان وعمر المسجد المعروف الذي هو بالمدرسة موصوف.[1]

ويقول المؤرخ عبدالله بن محمد باحسن عند ذكره مساجد الشحر التاريخية: مسجد المدرسة وهي مدرسة الشحر المشهورة بناها السلطان العادل الملك المؤيد بدر بن عبدالله الكثيري بإشارة سيدنا شيخ بن إسماعيل، وكان للمدرسة المذكورة صدقات كثيرة وبها طلبة علم، ودرس بها كثير من العلماء الأعلام أرجو الله أن يعمرها بأهل العلم والصلاح مدى الأيام.[2]

بينما عرف عند أهل الشحر في القرن الماضي بأن مسجد المدرسة المذكور منسوب إلى الشيخ ناصر بن صالح بن علي بن الشيخ علي بن هرهرة فيقال (مدرسة الشيخ ناصر) وكان مفتي وقاضي الشحر في بداية السلطنة القعيطية أواخر القرن الثالث عشر الهجري إلى أن توفي سنة ١٣٠١هـ، ولعله تولى التدريس بها وأحيا معالمها بتجديدها فنسبت إليه كما هو الحال في العديد من المساجد والمدارس بحضرموت تنسب لمجدديها، ولكن العجيب أن المؤرخ باحسن لم يذكر ذلك وهو من تلاميذ الشيخ ناصر ويعرفه حق المعرفة، ولو كان بناها الشيخ ناصر لأثبته في ترجمته، وإنما نسبها إلى السلطان بدر كما تقدم ذكره.

ويؤكد كلام باحسن المذكور أبيات الفقيه الجابري المتقدمة ورواية العلامة مدهر بأن المدرسة هي في الأصل مسجد ويكون فيه التدريس عرف بمسجد المدرسة الواقع في وسط مدينة الشحر ثم جدد بناؤه الشيخ بن هرهرة وتصدر للتعليم فصار ينسب إليه وبهذا يزول الإشكال والله أعلم.

مشايخ التدريس بها:

تولى صدارة التدريس بتلك المدرسة المباركة عدد من فطاحل العلماء والفقهاء وأول من انتدب للتدريس بها من قبل السلطان بدر أبوطويرق هو:

---

(١) التجلي الجميل شرح أنفاس سيدنا شيخ بن إسماعيل ص ٦٨، ٦٩، مخطوط مكتبة الاحقاف رقم (٢٩٢٠)، ويقصد به السلطان بدر أبو طويرق وأميره هو محمد بن مطران وليس والده مطران بن منصور كما يذكره المؤرخ باحسن لأنه توفي شهيدا في الغزو البرتغالي عام ٩٢٩هـ، وكانت وفاة ابنه محمد بن مطران بهينن يوم الاثنين ٤ رمضان سنة ٩٦٨هـ بمرض حصر البول. العقد الثمين ص ١١٢.

(٢) نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية ص ٧٧، مخطوط.

♦ **العلامة الفقيه علي بن علي بايزيد الدوعني:**

وهو من أبرز فقهاء حضرموت في القرن العاشر، كان ميلاده في مدينة قيدون وتتلمذ على مشايخها ومنهم العلامة عثمان بن محمد العمودي (ت٩٤٨هـ)، وكان رحمه الله من العلماء العاملين، والأكابر المعتمدين، رحلة الطالبين وعمدة المفتين وصدر المدرسين، انفرد بشهرة العلم والفتوى، وانتفع به جماعة من العلماء، اجتمع عنده في وقت واحد نحوا من ستين طالبا، وكانوا يرحلون إليه من أقاصي البلاد، وأقامه السلطان بدر في مدرسته بالشحر وقال: ما أرى لها كفوا غيره، فأقام بها مدرسا حتى توفاه الله تعالى، وامتدحه في تلك جماعة من الفضلاء. [١]

ولما بنى السلطان بدر مدرسته المذكورة رشحه لإدارتها وتولي التعليم بها، فاعتذر له وامتنع بادئ بدء فقال له ما أرى لها وللتدريس بها أهلا غيرك فأقام بها يدرس ويفتي([٢])، وكان يتردد على دوعن في فصل الخريف للمصيف وزيارة أرحامه وآخر زيارة له عاد منها في ليلة الأحد ١٦ ربيع الثاني سنة ٩٧٥هـ ومكث في الشحر شهرًا وثلاثة وعشرين يومًا وتوفي بعدها في يوم الأربعاء ٨ جمادى الآخرة، ودفن شرقي تربة الفقيه عبدالله بلحاج، وحضر جنازته خلق كثير، وصلى عليه القاضي عبدالله بن عقيل بافضل. [٣]

وقد تخرج عليه جماعة من العلماء والأدباء في قيدون منهم:

♦ **العلامة الفقيه محمد بن عبدالرحمن بن محمد باجمال**، تصدى للفتوى والتدريس وتولى الإمامة والخطابة بجامع الغرفة المتوفى سنة ٩٥٥هـ.

♦ **العلامة الفقيه عبدالرحمن بن سراج الدين بن عبدالله باجمال** المتوفى بعد عام ٩٩٥هـ. [٤]

---

(١) الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، مرجع سابق، ص ١٢٤.

(٢) تاريخ الدولة الكثيرية، مرجع سابق، ص ٧٨.

(٣) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٤) الدر الفاخر، مرجع سابق، ص ٧٥، ٨٤.

ومن العلماء المتخرجين على يديه في المدرسة السلطانية بالشحر:

♦ **العلامة الأديب المؤرخ عبدالله بن محمد بن أحمد باسنجلة:**

من مواليد مدينة الشحر في بدايات القرن العاشر وتتلمذ على أبيه ثم سافر إلى وادي حضرموت في شهر رمضان ٩٢٩هـ مع والده وتتلمذ على مشايخ تريم، وكانت وفاة أبيه سنة ٩٣٧هـ، ثم تتلمذ على شيخه بايزيد بالمدرسة السلطانية وختم عليه كتاب الإرشاد لابن المقري وتخرج به، ومن مشايخه العلامة عبدلله بن عمر بامخرمة المتوفى سنة ٩٧٢هـ. [١]

قال عنه صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين:" فقيه غزير المادة حاد الذهن قوي الفهم متسع المدارك، وقد استقى تعاليمه بالشحر وغيرها وتقدم في معلوماته بخطى واسعة لا سيما في الفقه والأدب والتاريخ".[٢]

وقد نعته زميله باجمال بقوله: الفقيه الفاضل خاتمة الأدباء. ونعاه تلميذه بافقيه بقوله: وفيها – أي سنة ٩٨٦هـ- توفي الفقيه عفيف الدين الأديب الأريب المؤرخ عبدالله بن محمد باسنجلة ليلة الأحد حادي عشر ذي الحجة رحمه الله تعالى. [٣]

ومن مؤلفاته تاريخ شهير لأعيان حضرموت يسمى (العقد الثمين الفاخر فيمن توفي بالقرن العاشر)[٤] ألفه بطلب من زميله الشيخ جمال الدين محمد بن عبدالرحمن العمودي، ويبدو لنا أنه من أقرانه في طلب العلم بالمدرسة السلطانية، ولعله أخ الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن العمودي الآتي ذكره.

ولما ختم كتاب الإرشاد على شيخه بايزيد امتدحه بقصيدة عظيمة وأثنى فيها على المدرسة البدرية، وعلى كتاب شيخه المسمى (عقد اللآلي والنكت الغوالي فيما يتعلق بإرشاد الغاوي) قال فيها: [٥]

---

(١) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ٤١، ٤٦، ٩٧.

(٢) السقاف، عبدالله بن محمد، تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٧٩)، وقد وهم عندما ذكر عام ولادته ٩٣٨ ووفاته عام ٩٩٥هـ، ويبدو أنه ذكره بالتقريب، ولكن الصحيح ما ذكرناه آنفا.

(٣) تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٣٤٣.

(٤) يذكر السيد سالم بن جندان أنه توجد نسخة منه في المتحف البريطاني، الدر والياقوت ص٧٩. وقد طبع مؤخرا بتحقيق السيد عبدالله محمد الحبشي عن النسخة الموجودة في مكتبة المؤرخ علوي بن طاهر الحداد.

(٥) تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٣١٧-٣١٩.

لتفتخـر الشـريعة كيـف شـاءت ... بابـن يزيـد إذ يشـفي السـقاما
أُقـام العلـم تدريسـا وفتـوى ... وأنثـر مـن معالمـه الرمامـا
بمدرسـةٍ بهـا جلّـت زهـاء ... علـى كل المـدارس أن تسـامى
أعـاد ببحثـه الإرشـاد غضًّـا ... وهذّبـه اجتهـادًا واهتمامـا
وحـرره وقـرر نازحـات ... شـوارد عاقهـا منـه الزمامـا
إذا اشـتد الجـدال رأيـت منـه ... لسـانا تفضـح العضـب الحسـاما
لـه تأليفـةٌ عـزّت مثـالاً ... ولـم يهتـم بهـا إلا الهمامـا
هـي النكـت التـي فاضـت علومـا ... كمـوج البحـر يلتطـم التطامـا
لآلئهـا زهـت في جيـد حسـناء ... مـن الإرشـاد واتسـق النظامـا
حـوت كل العلـوم بـلا امتـراء ... وجلـت مـن سـما البحـث القتامـا
فـدع مـا قـال حاسـده وعـرج ... بركـن العلـم مسـحا واسـتلاما
فكـم أجلـى بهـا مـن معضـلات ... يـرق الفكـر عنهـا أن تراما
وأوردهـا ضـواء واردات ... بميـر العلـم وانتعـش الأوامـا
جـرى بالطالبيـن إلـى سـبيلٍ ... مـن الإرشـاد قـد أخفـى اكتتامـا
بهـا اتضـح الدليـل فمـا عبـاب ... إذا مـا قيـس والغـرر التوامـا
حـوى الأصليـن والشـرحين فيهـا ... وزاد علـى الـذي مشـى الإمامـا
لـو إسـماعيل عـاش إلـى زمـان ... لعـدَّك يـا علـي مسـكًا ختامـا
بـك اتسـعت مباحـث ناطقـات ... وقـد كانـت تضيـق بنـا افتهامـا
وكـم أرشـدت للإرشـاد غـاوٍ ... وكـم ثقفـت أعـوج فاسـتقاما
لقـد أبدعـت لـو تعطـي انتصـاراً ... مـن الإنصـاف أو ترعـى الذمامـا
وأيـن المنصفـون فدتـك نفسـي ... فأعـذر كل مـن أبـدى التعامـى
فيهنـك نشـرك العلـم احتسـابًا ... لوجـه الله شـكرًا والتزامـا
خلائقـك اللواتـي فـاح منهـا ... لأهـل العلـم نشـرا كالخزامـى
وكـم غمـرا أفـاد لديـك علمـا ... فـأدرك غايـة النعـم الجسـاما
فعـذرا أيُّهـا الأسـتاذ عـذرا ... فأنـت أجـل مـن أغضـى وحامـا
فـإنّ الدهـر أصدقـه خطـوب ... مـن الأيـام والنفـل اسـتهاما

عليك سلام ربك كل حين   وبلَّغك المنى دار السلاما
وصلى الله ما حنت ركاب   على المختار والآل الكراما
تعمهم وجمع الصحب دأبا   وتابعهم بإحسانٍ دواما

ومن شعره يرثي شيخه العالم العلامة الولي الصالح الزاهد العابد شجاع الدين عمر بن خميس الحضرمي قاضي جزيرة بتة بشرق أفريقيا المتوفى ٣ محرم سنة ٩٧٩هـ:

خليليَّ إن آنستما البرق لامعا   من الأفق الشرقي خير شآمُ
وإن هب من أرض السواحل نفحةٌ   من الريح أو منه استهلَّ غمامُ
فلا تعذلاني إن بكيت وإن جرى   بعين فؤادي أدمع ونعام
فإن بها تبكي الأماكن لي هوى   يؤرق عيني والعيون تنام
إلى بثه شوقي يزيد ولم أقر   برؤية خير منهم وإمام
فذاك شجاع الدين نجل إمامنا   كريمٌ نمته سادةٌ وكرامُ
على عمر القاضي كل عشية   وكل صباحٍ رحمةٌ وسلامُ[(١)]

♦ **العلامة الفقيه المحقق عبدالله بن عبدالرحمن العمودي:**

من مواليد قيدون بدوعن ونشأ بها نشأة صالحة، ثم ارتحل إلى شيخه بايزيد وتتلمذ عليه في المدرسة السلطانية بالشحر، وعندما ختم كتاب الإرشاد عليه امتدحه بقصيدة عظيمة قال في مطلعها:

أيا طالبا علم الشريعة إننا   لنحظى بإرشادٍ دقيق العبارة[(٢)]

ويبدو أنه تتلمذ عليه مع أخيه الشيخ محمد بن عبدالرحمن العمودي الذي أشار على زميله الشيخ عبدالله باسنجلة بكتابة تاريخه المشهور في وفيات أعيان القرن العاشر.

♦ **العلامة القاضي محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين باجمال:**

كان أعجوبة في العلم ونادرة في الفهم ولد بالغرفة سنة ٩٤٤هـ وتوفى بها في شهر شعبان سنة ١٠١٩هـ، وقد أزمع الرحيل إلى الشحر للتفقه على أستاذ أبيه العلامة علي بن علي

(١) تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٣٣١.

(٢) الدر الفاخر، مرجع سابق، ص ١٢٥.

بايزيد القيدوني وكان متوليا التدريس بالمدرسة السلطانية البدرية ويحط رحاله بها متفرغا لحضور دروسه، وفي وسط الحياة الشحرية أخذت شهرته تكبر وتتسع حتى غمرت البقاع الحضرمية وغيرها وتستقبله حضرموت كعالم كبير وفقيه نحرير يتصدى للتدريس والإفتاء والخطابة الجمعية.(١)

يقول ابن عبيدالله السقاف عند ذكره المدرسة البدرية:" وممن هاجر لطلب العلم بها: الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن سراج صاحب المؤلفات المشهورة التي منها: نظمه لـ "الإرشاد" و"شرحه"، وقد استحق من تخرجه بتلك المدرسة أن تولى القضاء بحضرموت من وادي عمد غربا إلى يبحر شرقا".(٢)

ويحدثنا عن تخرجه بشيخه بايزيد في كتابه الدر الفاخر، وعن ذلك الحفل البهيج الذي يقام في المدرسة السلطانية ويحضره الفقهاء والأعيان:" ولما ختمت الشرف الأول من الإرشاد بالمدرسة السلطانية سنة ثمان وستين وتسعمائة أشار علي بإنشاء قصيدة فيها نحوا من أربعين بيتا، وحضر عند الختم جمع عظيم من الفقهاء والفضلاء والأعيان، وأنشد بها الفقيه الفاضل النحوي المقري عبدالله بن عباد في ذلك المجلس، وطاب الوقت، وبكى الحاضرون وبكى شيخنا بكاء كثيرا، ولم يحضرني من القصيدة التي أنشأتها إلا هذه الأبيات:

يا طالب الإسعاد في الإرشاد ... اسمع فديتك منصفًا إنشادي
قف ساعةً تحظى بنيل شفاعةٍ ... ونفاعةٍ بل نيل كل مراد
هذا الإمام فقف لديه مسلِّمًا ... يا مُسلِمًا سلِّم عليه ونادِ
شيخ تجلى بالعلوم فعنده ... عقد اللآلي الكوكب الوقّاد
هو شيخنا ابن يزيد زاده ربنا ... فضلًا وشرَّفه مدى الآباد
فلقد ختمنا عنده إرشادنا ... فبدا لنا منه سنا الإيجاد(٣)

---

(١) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٨٢، ١٨٣).

(٢) إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ص ٢١٣، دار المنهاج، جدة ٢٠٠٥.

(٣) الدر الفاخر، مرجع سابق، ص ١٢٥، وأورد صاحب كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين ص١٨٤ ثلاثة أبيات منها بالمعنى فقد كان يكتب مقالاته وهو بمصر من حفظه ويعتمد على معلوماته التي قرأها وهو بحضرموت ولهذا وقع في أوهام كثيرة، وعنه نقلها المؤرخ سالم أحمد بن جندان في كتابه الدر والياقوت في ذكر بيوتات عرب المهجر وحضرموت (٣/ ٢٣٧) ونعت ناظمها بـ"الإمام العلامة والمؤرخ الكبير الفقيه الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن سراج باجمال الكندي المتوفى سنة ١٠١٩ تلميذ الشيخ الإمام أبي بكر بن سالم و من خواصه".

♦ **العلامة الفقيه الشيخ محمد بن عبدالرحيم بن مزاحم باجابر (الجابري)**

من أبرز العلماء الذين تولوا التدريس بالمدرسة السلطانية وتخرج عليه جماعة من الفقهاء والأعيان، كان ميلاده في بروم سنة ٩٣٦هـ، وتوفي بالشحر ليلة الخميس ودفن صباح التاسع من شهر ربيع الثاني سنة ١٠٠٦هـ، ومن أبرز مشايخه الأعلام العلامة الفقيه الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة.[(١)]

وفي محرم سنة ٩٨٣هـ طلب منه السلطان عبد الله بن بدر الكثيري القدوم من بلدة بروم إلى الشحر ليوليه التدريس بمدرسة أبيه السلطان بدر وألزمه بذلك ففعل وانتفع بتدريسه الأنام واستنارت بذلك وجوه الليالي والأيام.[(٢)]

نماذج من تلاميذه:

تتلمذ على يديه في المدرسة البدرية وتخرج بها جماعة من أفذاذ الفقهاء والأدباء منهم:

♦ **ابنه العلامة الأديب أحمد بن محمد باجابر:**

كان فقيها بارعا في فنون كثيرة وشاعرا مفوها وأديبا مبرزا ولد ببلدة بروم عام ٩٥٥هـ وتربى في كنف أبيه وتلقى علومه عليه وعلى عديدين من علماء الشحر وزبيد، ثم توطن الشحر مع أبيه ثم هاجر منها إلى الهند ونزل في ضيافة العلامة السيد عبدالقادر بن شيخ العيدروس بمدينة أحمد أباد وتتلمذ على يديه، وأشاد به كثيرا معجبا بعلمه وفضله وصلاحه وأدبه في كتابه النور السافر، ووضع كتابا في أخباره وماجرياته أسماه (صدق الوفاء بحق الإخاء)، وقد اختطفه الموت وهو لم يجاوز السادسة والأربعين في مدينة لاهور بالهند في ١٤ شوال سنة ١٠٠١هـ.[(٣)]

وللشيخ أحمد باجابر رحلات داخلية إلى حضرموت وخارجية إلى الحرمين واليمن وزبيد وغيرها، ومنها رحلته إلى بيت الله الحرام التي بدأها من بلدة الشحر ظهر يوم الثلاثاء

---

(١) تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ١٦٥، ٣٠٥، وقد وهم المؤرخان باوزير وبامطرف عندما أرخا عام وفاته ٩٨٣هـ السنة التي تولى التعليم فيها بالشحر. انظر الفكر والثقافة ص١٤٩ والشهداء السبعة ص٩٩، مرجعان سابقان.

(٢) النور السافر، مرجع سابق، ص١٧٦. تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٣٣٨.

(٣) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ٢٠٤، ٢٠٥).

عاشر ذي القعدة من سنة ٩٩٥هـ متجها إلى بندر الحديدة والتقى فيها بمشايخها ومنهم الشيخ عبدالقادر بن الصديق الشاذلي، ثم اتجه إلى القنفذة وسافر منها برا يوم الثلاثاء ثاني ذي الحجة إلى السعدية وأحرم منها بالحج إلى مكة المكرمة وبعد انقضاء مناسك الحج توجه إلى المدينة المنورة، وقد التقى فيهما بجملة من علمائها دارت بينهم مطارحات شعرية ونقاشات فقهية منهم العلامة أبوبكر بن الجمال الأنصاري والعلامة محمد بن عبدالعزيز الزمزمي والعلامة إبراهيم بن محمد بن علال وقرأ عليه في مؤلف والده المسمى "مثير شوق الأنام إلى بلد الله الحرام" في آخر صفر سنة ٩٩٦هـ، ثم عزم إلى جدة وسافر منها يوم التاسع من ربيع الأول إلى الحديدة ثم توجه إلى بيت الفقيه لزيارة البلاد التهامية كالضحي وزبيد، وقد أودع في رحلته تلك جميع المطارحات الأدبية والألغاز الشعرية والمناقشات الفقهية والإجازات العلمية، وتوجد منها نسخة مخطوطة يتيمة في مدينة زبيد. كما جمع شعره في ديوان ضخم يسمى "الروضة الفائقة في الأشعار الرائقة" توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة جامعة عليكرة بالهند برقم (٢٦/ ٢). (١)

♦ العلامة الأديب عبدالرحمن بن أحمد البيض باعلوي:

ولد بالشحر سنة ٩٥٥هـ وتلقى على مشايخها وحفظ القرآن الكريم في المدرسة السلطانية كالعلامة علي بن علي بازيد الدوعني والعلامة بن محمد عبدالرحيم باجابر البرومي، ثم رحل إلى تريم لطلب العلم وتتلمذ على الشيخ الكبير أبوبكر بن سالم وتردد عليه في عينات ومدحه بعدة قصائد، ثم عاد إلى الشحر متصدرا للتدريس والفتوى ومرتبطا بمشايخها وأدبائها وفي مقدمتهم العلامة أبوبكر بن محمد بافقيه والعلامة الأديب عبدالصمد بن عبدالله باكثير، حتى وفاته ٦ جمادى الأولى سنة ١٠٠١هـ. (٢)

وقد مدح شيخه العلامة الجابري لما وفد إلى الشحر للتدريس في المدرسة السلطانية:

شمس الهدى طلعت وغاب رقيبها ... ونجوم نحس الجهل آن مغيبها

بظهور مولانا ومالك عصرنا ... نجل الخلافة فحلها ونجيبها

(١) الحبشي، عبدالله محمد، رحلة باجابر الشحري، مجلة حضرموت ص ٤١، ٤٢، العدد الثاني يناير ٢٠٠٩.

(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين (١/ ١٨٨، ١٨٩).

مولى ملوك الأرض غير مدافع ومدافع لبعيدها وقريبها
عبد الله السلطان منصور اللواء مردي العداة بكفه تعذيبها
لما أتى للشحر يصلح أمرها وجميع داعية الفساد يذيبها
ودعى إمام العصر فرد زمانه شيخ العلوم فقيهها وأديبها
أعني الفقيه محمد بن مزاحم من زاحم العلما وحاز نصيبها
العالم الحبر المبرز في العلا سباق غايات الكرام خطيبها
جاد الزمان به علينا فاغتدت أيامه معلومة من طيبها
غفرت ذنوبك يا زمان جميعها إذ قد برزت إلى القلوب حبيبها
إن كنت ترغب في العلوم ونقلها بادر إليه وسله في تهذيبها
فعلى الخبير بها سقطت فسله عن ما شئت من عزِّيزها وغريبها
فالله يبقيه ويصلح شأنه وجميع أعداه اللئام يصيبها[(١)]

♦ **السيد العلامة المؤرخ محمد بن عمر بن محمد بن الطيب بن عبدالرحمن بافقيه باعلوي:**
المكنى بالطيب كما تذكره شجرة النسب العلوي،[(٢)] ولد في بندر الشحر يوم الجمعة ٢٨ ذي الحجة سنة ٩٧٠هـ،[(٣)] ونشأ بها مع أخيه أحمد تحت رعاية والدهما السيد عمر بن محمد بن الطيب وكان من أعيان الشحر وصاحب مروة وفتوة وجميل توفي بالشحر سنة ١٠١٧هـ.[(٤)]

وتلقى علومه على مشايخ أجلاء في مقدمتهم جده خال أبيه السيد الفقيه عبدالرحمن بن أحمد البيض آنف الذكر، وعمه السيد أبوبكر بن محمد بن الطيب بافقيه كان عالما عاملا زاهدا ورعا وليا صالحا ولد بالشحر في شهر ذي القعدة سنة ٩٣٧هـ وتوفى بها يوم الجمعة ليلة

(١) النور السافر، مرجع سابق، ص ١٧٦.
(٢) حيث ذكرت أن السيد عمر بن محمد بن الطيب خلف ولدين أحمد وطيب وهو المترجم له، وكذا يؤكده المؤرخ النسابة سالم أحمد بن جندان في كتابه الدر والياقوت ص ٧٩ عند ذكره ما ألف عن حضرموت وقال "... تاريخ الشحر للسيد طيب بافقيه".
(٣) تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٣٠٢.
(٤) المشهور، عبدالرحمن بن محمد، الشجرة العلوية في نسب فروع الدوحة النبوية ص ١٨٩، مخطوط.

٢٧ رجب سنة ١٠١١هـ ترجم له المؤرخ الشلي في المشرع الروي وعقد الجواهر والدرر.[(١)]

والعلامة محمد بن عبدالرحيم الجابري في المدرسة السلطانية عام ٩٨٣هـ، حتى تخرج به. ورحل إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين في شهر شوال سنة ٩٨٩هـ وكان الوقوف بعرفات يوم الجمعة ثم عاد إلى مسقط رأسه الشحر.[(٢)]

وفي أواخر القرن العاشر بدأ تأليف كتابه التاريخي الشهير المسمى (تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والسادة المربين والأولياء الصالحين) وانتهى منه يوم الاثنين ١٦ شعبان سنة ١٠٠٠هـ.

وقد وهم من جعل وفاته عام ١٠١١هـ كما يذكره بعض الباحثين، وقد خلط بينه وبين عمه السيد أبوبكر بن محمد المتقدم ذكره، وهو والد السيد محمد بن أبي بكر بافقيه الشحري صاحب تبالة وهو لا شك أن يكون أحد خريجي المدرسة السلطانية، وقد مدحه الشيخ الأديب عبدالصمد بن عبدالله باكثير (٩٥٥- ١٠٢٥هـ) بقصيدة يقول فيها:

لـي في تبالـة إخـوانٌ وأخـدانُ ... أكـرم بهـم فتيـة في الحـي جيـرانُ
ونحـن في روضـةٍ خضـرا مزخرفـةٍ ... تـدار فيهـا مـن الصهبـاء ألـوانُ
في حضـرة ابـن أبـي بكـر محمـد مـن ... في المشـكلات لـه حـلٌ وتبيـانُ
صدر المراتب قطب المجد لا برحت ... تسـعى إليـه جماعـاتٌ ووحـدانُ
محدِّقيـن إليـه محدقيـن بـه ... في روضـةٍ حولهـا بالزهـر ألـوانُ[(٣)]

ولكن وفاة الطيب بافقيه كانت بعد ذلك العام؛ لأنه كان ينقل عن كتاب النور السافر في تاريخه، وقد انتهى منه مؤلفه العيدروس سنة ١٠١٢هـ، وتشير إليه الشجرة العلوية وكتبت تحت اسمه (طيب ض ج) أي مات منقرضا في حياة أبيه فستكون وفاته في منتصف العقد الثاني من النصف الأول من القرن العاشر الهجري حوالي عام ١٠١٥هـ أوعام ١٠١٦هـ، وعمره ناهز الخامسة والأربعين.[(٤)]

---

(١) نفس المرجع السابق. تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ١٦٩.
(٢) تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٣٤٧.
(٣) إدام القوت، مرجع سابق، ص ٢١٧-٢١٨.
(٤) الشجرة العلوية، مرجع سابق.

♦ **السيد المعلم شهاب الدين أحمد بن عمر بادهمج:**

كان معلما ورعا زاهدا، تولى التعليم بالمدرسة البدرية كما يبدو، وتخرج عليه جماعة من العلماء وارتبط بعلاقة علمية مع الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة والشيخ علي بن علي بايزيد والشيخ الخطيب عمر بن محمد السبتي، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ٢٥ رمضان سنة ٩٦٥هـ ودفن بمقبرة الخور قبلي الشحر. (١)

ثالثًا: مدرسة باهارون:

من المدارس الشحرية العامرة في القرن العاشر هذه المدرسة المقامة في الجزء الشرقي من مسجد الشيخ عبدالله بن محمد باهارون، ويبدو أن تأسيسها قبل بناء المسجد بعدة عقود في عهد جده السيد العارف بالله عبدالله الصالح بن هارون بن حسن باهارون المتوفى سنة ٩٤٤هـ بتريم الذي كان يتردد على بندر الشحر مع أبيه في تلك الفترة. (٢)

ويذكر بامطرف أن الذي تولى التدريس فيها في تلك الفترة هو العلامة الفقيه يعقوب بن صالح الحريضي،(٣) ويقال له يعقوب بن رحمة نسبة إلى أمه فيما يبدو. (٤)

وكان الشيخ المعلم يعقوب في طليعة الأعيان والفقهاء المشاركين في الجهاد ضد الغزو البرتغالي على بندر الشحر عام ٩٢٩هـ، وكان أحد قواد المعركة السبعة الذين سقطوا شهداء في ساحات الشرف والحرية، حيث سقط قتيلا في حارة القرية في أول يوم من المعركة وهو يوم الجمعة العاشر من شهر ربيع الثاني سنة ٩٢٩هـ(١٥٢٣م). (٥)

رابعًا: مدرسة باهراوة:

تعد من المدارس العلمية الملحقة بمسجد باقرين لمؤسسه الشيخ الفقيه حسين باهرواة المتوفى سنة ٧٦٩هـ، ويعد آل باهراوة من فقهاء الشحر في القرون الثامن والتاسع والعاشر الهجرية منهم الفقيه عوض باهرواة المتوفى سنة ٨٨٣هـ،(٦) وقد تولى التدريس بها في القرن

---

(١) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ١٠٩، ١١٢.

(٢) باهارون، عبدالله بن عبدالرحمن، أنس السالكين في مناقب الصالحين ص ١١٩، ١٢٣.

(٣) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٤) العقد الثمين، مرجع سابق، ص ٤١.

(٥) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٦) تاريخ شنبل ص ١٩١-١٩٧.

العاشر جماعة منهم: المعلم الصالح أحمد بن محمد باهراوة وبعد وفاته تصدر فيه ولداه الفقيهان المعلم محمد بن أحمد باهراوة المتوفى يوم الجمعة ٢٣ شوال سنة ٩٤٢هـ، والمعلم الصالح عمر بن أحمد باهراوة المتوفى يوم الثلاثاء ٢٧ شوال سنة ٩٤٢هـ رحمهم الله تعالى. (١)

خامسًا: مدرسة بافضل:

مؤسسها العلامة الكبير عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل، وكان فيما يبدو يجمع بين التعليم في مدرسته المذكورة وبين مدرسة الجامع، ثم أناب ابنه الفقيه أحمد في مدرسة الجامع وتولى التعليم بمدرسته حتى وفاته سنة ٩١٨هـ، ثم تولى التدريس بها أبناؤه الفقهاء وفي مقدمتهم الشيخ أحمد بن عبدالله بافضل، ومكان هذه المدرسة واقع في حافة بلحاج وهو بالقرب من مدفن مؤسسها، وقد تخرج منها جماعة من الفقهاء والأعيان.

وقد كان لهذه المدرسة دور رائع في التصدي للهجمات البرتغالية على الشحر في عام ٩٢٩هـ، وكان مديرها في تلك الفترة الفقيه العلامة أحمد بافضل من أبرز القادة المقاومين، وكان هذا الإمام ممن قاتل قتال الأبطال وفعل الأفاعيل في هجماته وأرسل رسلا مستعجلين برسائل مؤثرة إلى حضرموت يستنفرهم للجهاد. (٢)

ويذكر المؤرخ بامطرف نقلا عن المؤرخ باسباع الشحري أن الشيخ أحمد بافضل تمركز مع طلابه في الحي الشمالي من مدينة الشحر المعروف الآن بحافة بالحاج، في مدرسة والده الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بافضل التي هو مدير لها، والتف حوله بنو بلدته التريميون المقيمون في الشحر، وقد قتل بالقرب من مدرسة والده المذكورة. (٣)

ويذكر عنه ابن عبيدالله: "أن الإفرنج - خذلهم الله - لما هاجموا الشحر واقتربوا من مدرسة الشيخ أحمد للهجوم عليها، نهض كأنه الأسد، واستنهض همم الطلبة بخطبة مؤثرة، فاقتلعوا أبواب المدرسة واقتسموها عودا عودا وحاربوهم". (٤)

---

(١) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ٥٥.

(٢) تاريخ الدولة الكثيرية، مرجع سابق، ص ٦٤، ٦٥.

(٣) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٧٣-٧٤.

(٤) إدام القوت، مرجع سابق، ص ٢١٣.

ثم تساءل ابن عبيدالله: وما أدري أهذه المدرسة هي التي بناها بدر والشهيد يدرس فيها عقبان بنائها أم غيرها؟ طبعا هي غير مدرسة السلطان بدر، وجاء هذا التساؤل من وهمه عندما جعل استشهاد الشيخ أحمد سنة ٩٥٩هـ وهو العام الذي عمرت وجددت فيه المدرسة كما تقدم، ولكن الحقيقة أن الغزو الإفرنجي متقدم على بناء المدرسة السلطانية بقرابة ثلاثين عاما وبهذا يزول الإشكال.

سادسًا: مدرسة بن إسماعيل:

وهي من مدارس الشحر القائمة في الناحية الغربية من المدينة حيث يوجد مقام مؤسسها الشيخ العارف بالله شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالرحمن السقاف الذي قطن الشحر في مطلع القرن العاشر وبنى مدرسته وزاويته العلمية ومسجده الذي مازال قائما إلى اليوم، وكان قد تلقى تعليمه على الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بافضل وابنه الشهيد أحمد، وقد نوه بشيخه بافضل في إحدى أنفاسه العلية التي تقرأ في صباح كل جمعة بعد قراءة البردة البوصيرية في مدح خير البرية، وكان للسيد شيخ دور في تشجيع السلطان بدر في الاهتمام بالتعليم وهو الذي أمره ببناء مدرسته المشهورة كما تقدم ذكره.(١)

وكان السيد شيخ بن إسماعيل فقيها عالما عاملا وشيخا معتقدا يؤثر الخمول وتتلمذ على يديه عدد من المشايخ والمريدين، وتوفي ظهر يوم الاثنين ٢٧ربيع الثاني سنة ٩٥٠هـ رحمه الله رحمة الأبرار.(٢)

سابعًا: مدرسة بابهير:

من المدارس العلمية المقامة في الشحر في مطلع القرن العاشر، وكان يدير التعليم بها الفقيه الشيخ فضل بن رضوان بافضل، ولما حدث الغزو البرتغالي على الشحر عام ٩٢٩هـ كان الشيخ فضل في مقدمة صفوف المجاهدين مع طلابه، وكان أحد قواد المعركة السبعة، وقد جاهد في سبيل الله حتى استشهد في اليوم الأول من المعركة في ساحة السوق بعد أن قاتل قتال الأبطال. (٣)

---

(١) انظر: التجلي الجميل، مرجع سابق، ص٤٧، ٤٨،

(٢) تاريخ حوادث السنين، مرجع سابق، ص ٢٥١، ٢٥٢. وأنس السالكين، مرجع سابق، ص٣٤٩،٣٤٨.

(٣) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٧٠-٧٤.

ومن أعلام آل باهير الفقيه الشيخ أحمد بن علي باهير ولعله كان متولي التعليم في تلك المدرسة، وتوفي متأثرا بالطاعون في شهر ذي الحجة سنة ٩٣٩هـ. (١)

ثامنًا: مدرسة آل السبتي:

وهي من المدارس المباركة في منطقة الشحر، ويعتبر آل السبتي من القضاة والفقهاء والخطباء الذين تديروا بلدتي الشحر والحامي وكان من أواخر من تصدر فيها الإخوان الفقيهان الشيخ العلامة أحمد بن محمد السبتي الذي تولى الخطابة في جامع الشحر منذ عام ٩١٩هـ وهو أول من خطب للسلطان بدر أبوطويرق في خطبة الجمعة سنة ٩٢٧هـ، وعاصر أحداث الغزو البرتغالي على الشحر والحامي، ثم توطن الحامي متوليا التدريس والإمامة والخطابة في جامعها إلى أن توفي بها سنة ٩٤٧هـ. (٢)

والشيخ العلامة عمر بن محمد السبتي الذي تولى الخطابة لجامع الشحر بعد انتقال أخيه أحمد إلى الحامي، قال عنه المؤرخ باسخلة: كان فقيها ورعا زاهدا متنسكا، صحب الفقيه عبدالله بن عمر بامخرمة صحبة أكيدة، وصحب السيد الفقيه المعلم شهاب الدين أحمد بن عمر بادهمج وغيرهما من الفقهاء والمشايخ، توفي بالشحر ليلة الأحد الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ٩٦٨هـ. (٣)

وهناك أيضا عدد من المدارس والزوايا العلمية كانت موجودة في مدينة الشحر في القرن العاشر الهجري، وتقدم دروسًا في الفقه واللغة العربية كمدرسة مسجد الشيخ عبدالرحيم بن عمر باوزير ومدرسة مسجد الشيخ أحمد بن جوبان ومدرسة مسجد الشيخ أحمد بن عمر باذييب، وزاوية باغشير وزاوية باعامر وزاوية باعديلة. (٤)

خاتمة

شهد القرن العاشر الهجري حراكًا علميًا واسعًا في شتى ربوع حضرموت الوادي والساحل، وانتقل مع الحضارمة إلى مهاجرهم في الهند وإفريقيا وجنوب شرق آسيا، وبرز في حضرموت عدد كثير من الفقهاء والأدباء والقضاة والمصلحين، ونشطت فيه حركة التأليف

---

(١) العقد الثمين الفاخر، مرجع سابق، ص ٤٨، ٤٩.

(٢) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص٣٩، والعقد الثمين الفاخر، مرجع سابق ص٣٩

(٣) المرجع السابق، ص ١١٢.

(٤) الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٣٨.

للكتب العلمية في العلوم الدينية من فقه وحديث وسلوك وتاريخ وتراجم، وبنيت فيه عدد من المدارس العلمية والزوايا الملحقة بالمساجد التي احتضنت طلاب العلم وتصدر للتعليم فيها كبار الفقهاء وما زالت آثارهم باقية إلى اليوم.

وقد تحدثت هذه الدراسة عن منطقة الشحر المعروفة تاريخيا في كتب التاريخ، ورصدت الحركة العلمية التي كانت في هذه المدينة وضواحيها، مما أدى إلى فتح عدد من المدارس العلمية التي كان لها دور تنويري واجتماعي للسكان، وتخرج منها خيرة العلماء الذين نقلوا تلك المعارف لمن بعدهم يتلقاها عنهم جيل بعد جيل إلى يومنا هذا، ومازالت مصنفاتهم العلمية شاهدة على ذلك الدور العلمي الذي اضطلعت به الشحر في القرن العاشر.

وقد حاولت هذه الدراسة حصر المدارس العلمية التي كانت مقصدا لطلاب العلم كما جاء ذكرها في بعض المصادر التاريخية أو ذكرت عرضا في سياق الحديث عن بعض الوقائع، وقد استقرأت ذلك العصر الذي عاش فيه العديد من الفقهاء والقضاة والأدباء مدللة ببعض تلك الشخصيات التي تعد أحد مخرجات تلك المدارس العلمية وببعض آثارها العلمية التي حفظها لنا الزمن في مكتبات المخطوطات الحضرمية، ضاربة عن ذكر العشرات من الأئمة الفقهاء وتتبع مآثرهم، مستكفية بتدليل الجزء على الكل.

آملين أن تعاد الحياة التعليمية لبعض تلك المدارس الشحرية بحلقات الدرس والتعليم وحفظ القرآن وتدريسه، مقتدين بأولئك الأعلام الذين نذروا حياتهم للعلم وتعليمه حتى لحقوا بباريهم، وتركوا لنا تلك المآثر والآثار الحضارية فرحمهم الله رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جنته الشاسعة، ونرجو أن يكون ما كتبناه في هذه الدراسة إحياء لذكراهم العطرة، ونتقدم بالشكر الجزيل لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر على استنطاق التاريخ وبعثه من رمسه بمثل هذه المؤتمرات العلمية القيمة.. والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

المخطوطة:

١. باحسن جمل الليل، عبدالله بن محمد، نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية، صورة من مسودة المؤلف، مكتبة الباحث.

٢. باهارون، عبدالله بن عبدالرحمن بن علي، أنس السالكين في مناقب الصالحين، نسخة مصورة بمكتبة الباحث.

٣. بن جندان، سالم بن أحمد، الدر والياقوت في أنساب عرب المهجر وحضرموت، الجزء الثالث نسب كندة، بخط السيد حسين بن محمد بن الشيخ أبي بكر.

٤. مدهر، عبدالله بن جعفر. التجلي الجميل شرح أنفاس سيدنا شيخ بن إسماعيل، مخطوط مكتبة الاحقاف رقم (٢٩٢٠).

٥. المشهور، عبدالرحمن بن محمد. الشجرة العلوية في نسب فروع الدوحة النبوية، الجزء المتضمن نسب آل علي بن الفقيه وآل علوي عم الفقيه، نسخة مصورة بمكتبة الباحث.

المطبوعة:

◆ **باهارون، محمد علوي:**

٦. الرحلة العلمية إلى حضرموت من القرن السادس حتى الخامس عشر الهجري، أبحاث ودراسات فعاليات ملتقى تريم الثقافي بمناسبة تريم عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٣٠هـ -٢٠١٠م، اللجنة العلمية لملتقى تريم الثقافي - حضرموت، ومنتدى ثلوثية بامحسون الثقافي - الرياض، الطبعة الأولى ٢٠١٢م،

٧. مدرس الجمعة الفقهي بجامع الشحر، مجلة سعاد، العدد (٩)، يناير ٢٠١٠، محرم ١٤٣١هـ، جمعية الشحر للثقافة والتراث.

◆ **باوزير، سعيد عوض:**

٨. صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة- عدن.

٩. الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي، دار الطباعة الحديثة ١٣٨١هـ ١٩٦١م.
١٠. باجمال، محمد بن عبدالرحمن بن سراج الدين، الدر الفاخر في أعيان القرن العاشر، تحقيق محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر ٢٠٠٨م.
١١. باسنجلة، عبدالله بن محمد (باسخلة)، تاريخ الشحر المسمى العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد صنعاء ٢٠٠٧م.
١٢. بافقيه، محمد بن عمر، تاريخ حوادث السنين ووفاة العلماء العاملين والأولياء والمربين، دراسة وتحقيق د. أحمد صالح رابضة، دار جامعة عدن للطباعة ٢٠١٠م.
١٣. بامطرف، محمد عبدالقادر، الشهداء السبعة، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٤م.
١٤. الحبشي، عبدالله محمد، رحلة باجابر الشحري، مجلة حضرموت، العدد الثاني يناير ٢٠٠٩، دار حضرموت للدراسات والنشر.
١٥. خرد، محمد بن علي، غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي، في طبقات الفقهاء من السادة آل أبي علوي، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.
١٦. السقاف، عبدالرحمن بن عبيدالله، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة ٢٠٠٥.
١٧. السقاف، عبدالله بن محمد بن حامد، تاريخ الشعراء الحضرميين، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٣هـ.
١٨. الشاطري، محمد أحمد، أدوار التاريخ الحضرمي، دارالمهاجر المدينة المنورة – حضرموت الطبعة الثالثة ١٩٩٤م.
١٩. شنبل، أحمد عبدالله، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة صنعاء الأثرية ٢٠٠٣م.
٢٠. العلوي، محمد بن هاشم، تاريخ الدولة الكثيرية، تريم للدراسات والنشر ٢٠٠٢م.
٢١. العيدروس، عبدالقادر بن شيخ، النور السافر في تاريخ القرن العاشر، نسخة الكترونية – المكتبة الشاملة.

توصيات المؤتمر

- طباعة الأعمال البحثية التي قدمت في المؤتمر.
- حث الباحثين الشباب على الاهتمام بالتاريخ الحضرمي.
- نشر مادة الأبحاث إعلاميًا عبر قناة حضرموت الفضائية.
- طباعة وتحقيق المؤلفات الحضرمية التي دونت في القرن العاشر الهجري في مختلف المجالات.
- نقل أحد المؤتمرات العلمية القادمة لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر إلى حضرموت الوادي ويخصص في مجال العمارة والفنون والتراث الآثاري والتاريخي والحضاري.

المحتويات

محور المصادر والتراجم والأعلام

المحور التاريخي

التاريخ والمؤرخون الحضارمة

(في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)

يضم هذا الكتاب الأبحاث التي شاركت في المؤتمر العلمي الثاني لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، وقد تناولت:

- البرتغاليون في مصادر القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي (قراءة تاريخية في النصوص).
- محمّد بن عمر الحضرميّ الشهير بـ(بحرق) (869 - 930هـ) حياته - آثاره - مكانته - أمور مشكلة في ترجمته.
- جهود العلامة بحرق العلمية في حضرموت من خلال كتابه رسالة في الطب.
- العلماء الحضارم في مكة المكرمة في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي.
- من أعلام القضاة بالسلطنة الكثيرية الأولى في القرن العاشر الهجري..الشيخ العلامة القاضي سالم بن محمد بامعيبد الشحري.
- الكوارث الطبيعية في حضرموت خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.
- التيار الديني المعارض للسلطان بدر أبو طويرق الشيخان: عمر بامخرمة ومعروف باجمال نموذجًا.
- العملة والتداول النقدي بحضرموت في القرن العاشر الهجري.
- الحياة العلمية في حضرموت في القرن العاشر العلوم التطبيقية نموذجًا.
- مدارس الشحر العلمية في القرن العاشر الهجري ودورها التنويري.

دار الوفاق
DAR AL WEFAQ

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع
واتس آب: 2001008170225+

9762018228